

دور الحرب النفسية الرقمية في تدويل الرأي العام العالمي تجاه القضية الفلسطينية : دراسة
تحليلية لمعركة طوفان الأقصى 7 أكتوبر 2023 .

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر في العلوم السياسية

تخصص علاقات دولية

إشراف الأستاذ الدكتور:

حسام حمزة

من إعداد الطالبة:

سعدودي فرح

أعضاء لجنة المناقشة :

الصفة	مؤسسة الانتماء	اسم ولقب الأستاذ
رئيساً	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	خواص مصطفى
مُشرفاً ومقرراً	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	حسام حمزة
ممتحناً	المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية	مليكة هارون

السنة الجامعية: 2025م-2026م / 1447هـ-1448هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ
أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ
وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ
وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ
سُلْطَانًا نَصِيرًا

الإسراء 80

صِدْقَ اللَّهِ الْعَظِيمِ

شُكْرُ وَتَقَاتُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي جَعَلَ الْقَلَمَ مَفْتَا حًا لِلْبَيَانِ، وَوَفَّقَنَا لِسُلُوكِ دَرَجَةِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى جَمِيلِ تَوْفِيْقِهِ وَلَطِيْفِ إِعَانَتِهِ، فَلَوْلَا فَضْلُهُ مَا اسْتَقَامَ لَنَا حَرْفٌ، وَلَا نَضُجَ لَنَا فِكْرٌ .

الحمد لله الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم، فله الحمد كما ينبغي لجلال وجهه و عظيم سلطانه، أنعم عليّ بنعمة السعي، وأعانني على اجتياز هذه الرحلة المعرفية حتى بلغت ختامها، فله المبتدأ و المنتهى. الحمد لله الذي ألهمني الصبر حين اشتد المسير، وبث في قلبي النور حين أظلمت الدروب، وأعانني حتى أتممت هذا العمل المتواضع، فله وحده الحمد و الثناء الجميل، والشكر أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا.

أتوجه بوافر الشُكْرِ والتَّقدير لأستاذي المُشرف، الدكتور حسام حمزة، الذي كان رفيقاً في الفكر، وداعماً في المنهج. شكراً لك أستاذي على نصائحك القيمة التي كانت بوصلة لي، وعلى دعمك المستمر الذي لم ينقطع، وعلى وقتك الذي خصصته لي رغم كثرة انشغالاتك، فقد كان حضورك العلمي ركيزة أساسية في إخراج هذا العمل إلى النور.

كما أتقدم بخالص الامتنان و الاعتراف بالجميل لأستاذي الدكتور ناصر عامر، الذي كان لنا درعاً أمان، وسنداً لا يميل، احتضننا بفيض نصحه وعاملنا كبناته، وحرص دوماً على تذليل الصعاب أمامنا وتسهيل كل ما استغلق علينا، فكنت أستاذي نعم الموجه و الناصح طوال هذا المشوار.

ويمتد الثناء و التقدير ليشمل كلّ الأساتذة الأفاضل الذين نهلتُ من علمهم طيلة سنواتي الخمس في هذا الصرح الأكاديمي، وإلى كافة الطواقم الإدارية بالمدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية الذين سهروا على توفير سبل النجاح، فشكراً لكم جميعاً على بصماتكم التي لن تمحى، وعلى ما بذلتموه من وقتٍ وجهدٍ وإخلاص.

ولكل من كان له أثر جميل أو دعوة صادقة في ظهر الغيب، شكري موصول و امتناني دائم فيكم يكتمل النجاح وبتشجيعكم نستمر.

هَذَا

"هناك نجاحات لا تُنسبُ لصاحبها بقدرِ ما تنسب لمن كانوا وقودًا لروحه، وسندًا لخطواته..."

إلى السند الذي لم يملّ يومًا من العطاء، من منحني اسمه لأفخر به، ومنحني قوته لأستند عليها...
والدي العزيز، إليك ثمرة جهدي، حفظك الله لي تاجًا و ذخراً.

إلى جنّتي في الأرض، ومن كان دعاؤها سرًّا لنجّاحي وتوفيقي، إلى من غمرتني بحنان لا ينضب...

أمي الغالية، شكرًا لأنك كنتِ وما زلتِ النور الذي يضيءُ دربي.

إلى عزوتي وسندي، من ألقاسم معهم الذكريات والحياة، إخوتي إبراهيم وعلي إلى نبض قلبي وأختي
الحبيبة أميرة، شكرًا لأنكم كنتم الدفء والملجأ، ولأنني بينكم كنتُ دائماً آخر العنقود المدللة.

إلى من اختاره قلبي ليكون رفيق دربي وسندي، خطيبي الغالي أشرف، شكرًا لوجودك الصادق، ولدعمك
الذي جعل الوصول ممكنًا، عسى أن تكون أيامنا القادمة نجاحًا لا ينتهي...

إلى عصافير العائلة وضحكاتها، إلى البراءة التي تمنحني الأمل، جاد، إياد، نورسين، تالين، أصيل،
وأركان...

إلى رفيقة الدرب و اللحظات الجميلة، إلى صديقتي الوفية، سندس، شكرًا لأنك كنت دائماً معي....

إليكم... أهدي ثمرة تخرجي.



الملخص:

تعالج هذه الدراسة مسألة مركزية في ميدان الإعلام الدولي والحروب النفسية، تتمثل في دور الحرب النفسية الرقمية في إعادة تشكيل الصورة الذهنية العالمية تجاه القضية الفلسطينية، من خلال نموذج تحليلي لأحداث طوفان الأقصى في 7 من أكتوبر 2023. ينطلق البحث من فرضية مفادها أن عملية طوفان الأقصى أحدثت تحولاً عميقاً في الرأي العام العالمي عبر كسر احتكار السردية التقليدية وتفعيل أدوات الحرب الرقمية. فقد استطاعت المقاومة الفلسطينية من خلال المنصات البديلة اختراق الحصار المعلوماتي وفرض سردية بصرية واجهت الدعاية المضادة. ومنه تسعى هذه الدراسة إلى تفكيك آليات التأثير النفسي العابر للحدود، واستقراء تحولات المواقف الجماهيرية في ظل بيئة رقمية تسودها الرقابة الخوارزمية و التوجه الإعلامي الممنهج. كما تهدف إلى إبراز أهمية الإعلام الرقمي كقوة مضادة في صناعة السردية وتعزيز مفاهيم العدالة الرمزية والتضامن الشعبي العالمي، رغم التهديدات الهيكلية والمضايقات السيبرانية.

الكلمات المفتاحية: الحرب النفسية الرقمية، الصورة الذهنية، طوفان الأقصى، الرأي العام العالمي، القضية الفلسطينية.

Abstract :

This study addresses a central issue in the field of international media and psychological warfare, namely the role of digital psychological warfare in reshaping the global mental image of the Palestinian cause, through an analytical model of the events of the Al-Aqsa Flood on October 7, 2023. The research is based on a hypothesis stating that Operation Al-Aqsa Flood brought about a profound shift in global public opinion by breaking the monopoly of the traditional narrative and activating the tools of digital warfare. Through alternative platforms, the Palestinian resistance was able to penetrate the information blockade and impose a visual narrative that countered the hostile propaganda. Consequently, this study seeks to deconstruct the mechanisms of cross-border psychological influence and to extrapolate shifts in public attitudes within a digital environment dominated by algorithmic censorship and systematic media bias. It also aims to highlight the importance of digital media as a counterforce in narrative construction and in promoting concepts of symbolic justice and global popular solidarity, despite structural threats and cyber harassment.

Keywords: *digital psychological warfare, mental image, Al-Aqsa Flood, global public opinion, the Palestinian cause.*

فَهْرَسُ الْمُحْتَوَيَاتِ

2	القرآن الكريم
3	شكرو تقدير
4	إهداء
5	الملخص بالعربية
6	الملخص بالانجليزية
8	فهرس المحتويات
10	فهرس الأشكال و الجداول
11	مقدمة
	الفصل الأول: المقاربة المفاهيمية والنظرية للحرب النفسية الرقمية وتحولات الرأي العام
24	تمهيد
25	المبحث الأول: ماهية الحرب النفسية وتطورها من المنظور الكلاسيكي إلى الحرب المعرفية
25	المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي للحرب النفسية
29	المطلب الثاني: التطور الكرونولوجي للحرب النفسية
40	المطلب الثالث: التحول نحو الحرب المعرفية
43	المبحث الثاني: الرأي العام العالمي والصورة الذهنية في الفضاء الرقمي
44	المطلب الأول: ماهية الرأي العام العالمي وآليات تشكيله
49	المطلب الثاني: الأطر النظرية المفسرة للرأي العام العالمي
55	المطلب الثالث: الدبلوماسية الرقمية وصناعة الصورة الذهنية الدولية
63	المبحث الثالث: آليات الحرب النفسية الرقمية وتحديات البيئة السيبرانية
64	المطلب الأول: دور الخوارزميات و الفقاعات الرقمية في هندسة الرأي العام
68	المطلب الثاني: الأساليب التكتيكية والتلاعب بالمعلومات
70	المطلب الثالث: السردية المضادة والمناعة المعلوماتية

73	 خلاصة الفصل الأول
	الفصل الثاني: تحليل صراع السرديات في معركة طوفان الأقصى وأثره على الرأي العام العالمي
76	 تمهيد
77	 المبحث الأول : السياق الجيوسياسي لطوفان الأقصى بوصفه حاضنة للحرب النفسية
77	 المطلب الأول : السياق الجيوسياسي للقضية الفلسطينية قبل 7 أكتوبر
83	 المطلب الثاني: 7 أكتوبر 2023 : التداخل بين البعد العسكري والبعد الإعلامي النفسي
87	 المطلب الثالث: ردود الفعل الدولية وإشكالية السردية المهيمنة
98	 المبحث الثاني : فاعلو الحرب النفسية الرقمية وآليات إدارة صراع السرديات
98	 المطلب الأول: فاعلو السردية الفلسطينية: طبيعة والأدوات
105	 المطلب الثاني: فاعلو السردية الصهيونية: البنية وأدوات التأثير
111	 المطلب الثالث: المنصات الرقمية بوصفها ساحة صراع
119	 المبحث الثالث: تجليات التحول في الصورة الدولية للقضية الفلسطينية
119	 المطلب الأول: تراجع السردية الصهيونية وصعود المركزية الفلسطينية عالمياً
122	 المطلب الثاني : الإزاحة الإعلامية وصناعة التشويش الرقمي
124	 المطلب الثالث: سيناريوهات القضية الفلسطينية في البيئة الرقمية
132	 خلاصة الفصل الثاني
134	 الخاتمة
138	 قائمة المراجع والمصادر

الرقم	العنوان	الصفحة
صورة رقم 1	خطاب أبو عبيدة " لا سمح الله "	103
شكل رقم 1	إحصائيات استخدام الهاشتاقات المتعلقة بالحرب على غزة على منصتي انستغرام وفيسبوك حتى نوفمبر 2023	118
جدول رقم 1	مقارنة مسار الرأي العام قبل وبعد أحداث أكتوبر 2023	121
جدول 2	جدول لمؤشرات التحول في الرأي العام الغربي	122

مُقَدِّمَة:

لقد أفرزت التحولات المعاصرة في بنية النزاعات الدّولية نمطاً جديداً من المواجهات يتجاوز الأبعاد المادية والصدام العسكري المباشر، لينتقل نحو ما يعرف بالحرب النفسية الرقمية. هذا المتغير الاستراتيجي الذي أعاد صياغة مفهوم الغلبة في القرن الحادي والعشرين. حيث لم يعد الحسم مرتبطاً بالسيطرة الجغرافية فحسب، وإنما بالقدرة على اختراق المنظومات الإدراكية وتشكيل الوعي الجمعي عبر الفضاء السيبراني. فجوهر هذه المواجهة يكمن في توظيف الوسائط الرقمية كأدوات إستراتيجية لتفكيك معنويات الخصم وإعادة هندسة صورته الذهنية أمام المجتمع الدّولي، مما حول الفضاء الرقمي إلى ساحة مركزية لإدارة الصراعات الرمزية.

ضمن هذا المنظور الاستراتيجي، تبرز القضية الفلسطينية كنموذج رائد لتحليل آليات صراع السرديات وتدافع القوى في الميدان الإعلامي، فبعد عقود من هيمنة المؤسسات الإعلامية التقليدية التي اتسمت بالأحادية وتهميش السردية الفلسطينية تحت ضغوطات هيكلية واقتصادية، أحدث بروز الإعلام الجديد إزاحةً بنيوية في جوهر العلاقة بين القائم بالاتصال والجمهور المستهدف. فقد منحت الخصائص التقنية للبيئة الرقمية من لامركزية وتفاعلية للفواعل الفلسطينية، قدرةً غير مسبوقة على بناء سردية مستقلة تتجاوز أطر الرقابة والمصادرة وتؤسس لخطاب اتصالي يتسم بالتوثيق اللحظي والانتشار الكوني.

وتأتي أحداث طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023 لتمثل المنعطف الأكثر حدة في تاريخ هذه المواجهة النفسيّة، حيث وضعت كفاءة الأدوات الرقمية في اختبار حقيقي لاختراق جدار التزييف الإعلامي. لقد كشفت هذه المرحلة عن أنماط مبتكرة من الاشتباك المعلوماتي سعت من خلالها السردية الفلسطينية إلى إضفاء الطابع الإنساني على الخطاب وتفكيك مفاهيم الردع والهيبة لدى الطرف الآخر مما أحدث تحولات ملموسة في اتجاهات الرأي العام العالمي وتوازنت القوى الرمزية في الساحة الدولية.

بناءً على ما تقدم، تأتي هذه الدراسة لتقصي نجاعة الأدوات الرقمية في إدارة المعركة الرمزية وتفكيك سردية الخصم عقب أحداث طوفان الأقصى وكذا رصد التحولات الإدراكية الناتجة عن توظيف الإعلام الجديد كأداة استراتيجية في إعادة صياغة الصورة الدولية للقضية الفلسطينية ضمن المواجهة النفسية المعاصرة.

(1) أدبيات الدراسة :

♦ الدراسة الأولى : ندى الشقيفي المريني (2011)، الحرب النفسانية الإسرائيلية : حقائق وأوهام :

تناول هذا الإصدار البحثي الحرب النفسانية الإسرائيلية كجهاز دعائي متكامل، حيث ركزت الباحثة ندى المريني على ما أسمته الهيمنة النفسية الممتدة من خلال دراسة الرموز والشائعات. تميز الطرح بقدرته على تتبع الخيوط الرابطة بين الأصول الصهيونية والأساليب التقنية الحديثة، وقد خلص البحث إلى أن الحرب النفسانية تمثل ركيزة أساسية في الأمن الصهيوني. إذ تهدف أساساً إلى تزييف الحقائق عبر تقديم الكيان الصهيوني كضحية وتشويه صورة الفلسطيني عالمياً. ورغم شمولية الطرح التاريخي، إلا أنه توقف عند حدود المعارك القديمة مما يفتح المجال أمام هذا البحث الراهن لتقديم قراءة نقدية معمقة لواقع الحرب النفسية في طوفان الأقصى وقياس مدى تأثيرها الفعلي على أرض الواقع.

♦ الدراسة الثانية: عبد الباسط محمد أبو ناموس : الحرب النفسانية التي استخدمتها المقاومة الفلسطينية في مواجهة العدوان الإسرائيلي على غزة 2014 :

تُصنّفُ هذه الدراسة ضمن البحوث التأسيسية التي عنيت برصد مرتكزات الحرب النفسانية لدى المقاومة الفلسطينية خلال عدوان 2014، حيث ركزت بصورة محورية على تحليل الدوافع الأمنية والعسكرية، واستقصاء فاعلية الأدوات الإعلامية و الدعاية الموظفة آنذاك في إدارة الصراع المعنوي . وتكتسي هذه الرسالة الأكاديمية صبغة استشرافية كونها قدمت رؤية نقدية لتطوير الرسائل الاتصالية وجدت تطبيقها العملي والمنظم في معركة طوفان الأقصى 2023 خاصةً في جوانب تعزيز جودة المحتوى الرقمي واستثمار تقنيات الاتصال الحديثة في توجيه الخطاب النفسي .

ويكمن التباين الجوهرى بين تلك الدراسة و الدراسة الحالية في طبيعة المتغيرات والمجال المكاني للتأثير، فبينما انحصرت الجهود البحثية السابقة في رصد أساليب المواجهة الميدانية داخل بيئة إعلامية تقليدية وبنطاق تأثير محلي، تذهب الدراسة الحالية إلى تبني مقاربة تحليلية مقارنة تُخضع خطاب طرفي النزاع الفلسطيني وكذا الصهيوني للمساءلة العلمية . حيث ينصب التركيز هنا على تفكيك الأطر المعرفية والخطابية الموظفة في الفضاء الرقمي المفتوح بغرض قياس مدى نجاعة الاشتباك السيبراني في إحداث إزاحة حقيقية في الصورة الذهنية الدولية للقضية الفلسطينية. وبذلك تنتقل الدراسة الحالية من

مستوى الوصف الإجرائي للحرب النفسية التكتيكية إلى مستوى تحليل استراتيجيات صناعة الرأي العام العالمي وتوازنات القوى الرمزية في العصر الرقمي .

♦ الدراسة الثالثة: عبد الله احمد مصطفى محمد(2022) : الإعلام الرقمي الجديد والقضية الفلسطينية التحديات والفرص والرؤى المستقبلية :

تتناول هذه الدراسة الدور الوظيفي للإعلام الرقمي الجديد في التعاطي مع القضية الفلسطينية، حيث ركزت على رصد التحديات البنيوية والفرص المتاحة لتفعيل السردية الفلسطينية في الفضاء الرقمي، وقد خلصت النتائج إلى أن الفجوة في توازنات القوى ونمط التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع الصهيوني القائم على العداء يشكلان عائقاً أمام حل الصراع. كما طرحت الدراسة رؤى مستقبلية لاستثمار الأدوات الرقمية المبتكرة في كسر الحصار الإعلامي وتجاوز الجدران العازلة بما يضمن تعبئة الرأي العام ومواجهة السياسات الاتصالية للاحتلال بطرق غير تقليدية .

تشارك هذه الدراسة مع التوجه البحثي الحالي في معالجة الاشتباك الاتصالي عبر المنصات الرقمية إلا أن مذكرتنا تمتاز برصد التحولات السردية الكبرى ومظاهر الانكسار في الهيمنة الإعلامية للطرف الآخر عقب أحداث طوفان الأقصى وهو ما يمنح البحث صبغة تحليلية تركز على تغيير الموازين الرمزية دولياً .

♦ الدراسة الرابعة: عبد الله بخاش : تأثير سرديات الدعاية والحرب النفسية الإسرائيلية في الرأي العام الفلسطيني خلال الحرب على غزة (25 يوليو – 16 تشرين الأول 2024) :

تندرج هذه الدراسة ضمن البحوث الحديثة التي واكبت تداعيات مرحلة ما بعد السابع من أكتوبر 2023 ، حيث ركز الباحث عبد الله بخاش على تحليل استراتيجيات الدعاية والحرب النفسية الإسرائيلية الموجهة نحو الجبهة الداخلية الفلسطينية . و قد اعتمدت الدراسة على مقارنة تحليلية لعينات من المضامين الإعلامية و الرسائل و الإشاعات التي تم بثها خلال فترة الحرب، مع ربطها بمدى استجابة الجمهور الفلسطيني و تفاعله معها. و عليه خلصت نتائج الدراسة إلى أن الاستجابة الشعبية الفلسطينية أظهرت قدراً عالياً من المناعة المعنوية، حيث أخفقت أدوات الدعاية الصهيونية في كسر إرادة الصمود رغم تطورات التقنيات المستخدمة.

تتقاطع هذه الدراسة مع بحثنا الحالي في تناولها لأبعاد المواجهة النفسية، إلا أن دراستنا تتميز بتبني مقارنة مقارنة لا تكتفي بتحليل السردية الصهيونية فحسب، لتشمل أداء السردية الفلسطينية وقدرتها على إدارة المعركة الرمزية دولياً، مع استقصاء أسباب الفاعلية والإخفاق في كلا الجانبين .

♦ الدّراسة الخامسة: بسمة خليل توم (2024) الحرب اللامتناظرة في غزة منذ طوفان الأقصى وانعكاساتها على قدرة الردع الإسرائيلي ومعادلة القوة في الصراع الفلسطيني-الإسرائيلي:

استقصت هذه الدراسة آليات تفعيل المقاومة الفلسطينية لاستراتيجيات الحرب اللامتناظرة في أعقاب عملية طوفان الأقصى واندلاع المواجهة العسكرية في غزة، حيث ركزت على تحليل الانعكاسات المتنامية لهذه الاستراتيجيات في تقويض منظومة الردع لدى الكيان الإسرائيلي وإعادة صياغة توازنات القوة في الصراع . وقد استندت الدراسة إلى المنهج الوصفي التحليلي لتفكيك أبعاد الظاهرة موضوع البحث

خلصت النتائج إلى أن نجاح المقاومة في توظيف أنماط الحرب اللامتناظرة بكفاءة وصمود مكنها من إلحاق خسائر جسيمة بالجيش الصهيوني مما أدى إلى تحول بنيوي في مواقع القوة والقدرة على التحكم في إدارة مسارات الصراع. وبموجب ذلك تحولت المقاومة إلى فاعل استراتيجي يمتلك القدرة على التأثير ولتقرير في الميدان العسكري والمسار التفاوضي خاصة بعد نجاحها في إثبات عدم جدوى نظرية الردع التقليدية أمام الأنماط القتالية و السلوك الميداني الحديث للمقاومة .

تتقاطع هذه الدراسة مع البحث الحالي في رصد التحولات الإستراتيجية لمعادلة القوة عقب أحداث أكتوبر 2023 إلا أن دراستنا تتمايز بالتركيز على جبهة الاشتباك الرقمي ودورها في إعادة صياغة الصورة الذهنية الدوليّة .

(2) إشكالية الدّراسة :

أضحت القضية الفلسطينية من أكثر القضايا حضوراً وتأثيراً في الفضاء الإعلامي العالمي، ومع تعاظم دور الوسائط التكنولوجية الحديثة شهدت أساليب المواجهة تحولاً جذرياً، حيث لم تعد تقتصر على الميدان العسكري فحسب، لتشمل بذلك الحرب النفسية الرقمية كأداة مركزية لصناعة الرأي العام وتوجيه السرديات . وقد فرضت أحداث طوفان الأقصى في أكتوبر 2023 واقعا جديدا ساهمت فيه المنصات الرقمية في إعادة صياغة الصورة الذهنية للقضية الفلسطينية دولياً وكسر احتكار الراوية الواحدة عبر تفعيل آليات الاشتباك النفسي والمعرفي . وعليه تطرح هذه الدراسة الإشكالية التالية : كيف ساهمت أدوات الحرب النفسية الرقمية في صياغة مواقف الرأي العام العالمي حيال القضية الفلسطينية بعد معركة طوفان الأقصى ؟

وينبثق عن هذه الإشكالية التساؤلات الفرعية التالية :

- ما هي العلاقة الارتباطية بين آليات الحرب النفسية الرقمية و تحولات الرأي العام العالمي في البيئة السيبرانية ؟
- كيف ساهم صراع السرديات الرقمية في معركة طوفان الأقصى في تحول الصورة الدولية للقضية الفلسطينية ؟

استنادًا على إشكالية الدراسة و الأسئلة الفرعية، يمكن صياغة الفرضيات العلمية كما يلي:

- فرضية رئيسية:

أدت الحرب النفسية الرقمية دورًا محوريًا في إعادة صياغة التوجهات الدولية تجاه القضية الفلسطينية، مستفيدةً من التحولات الإعلامية و الميدانية التي أفرزتها معركة طوفان الأقصى .

- فرضيات فرعية :

- توجد علاقة ارتباطية طردية بين تطور آليات الحرب النفسية الرقمية و تحولات الرأي العام العالمي، حيث تساهم هندسة الصورة الذهنية والتلاعب بالمعلومات في تغيير التوجهات الدولية في البيئة السيبرانية .
- يُسهم بروز فاعلين جدد وأدوات تأثير بديلة في صراع السرديات الرقمية لمعركة طوفان الأقصى، في تفكيك هيمنة الرواية الصهيونية وتحويل الصورة الذهنية الدولية للقضية الفلسطينية.

(3) حدود الدراسة :

تحدد معالم هذه الدراسة من خلال الأبعاد المنهجية التالية :

- الحدود الزمنية:

يغطي الإطار الزمني للدراسة الفترة الممتدة من 7 أكتوبر 2023 (تاريخ اندلاع معركة طوفان الأقصى) إلى غاية ماي 2026. و هي الفترة التي شهدت ذروة الاشتباك الرقمي و تحولا جذريا في السردية الدولية تجاه القضية الفلسطينية، وصولا إلى مرحلة تشكل واستقرار التوجهات الجديدة في الرأي العام العالمي .

- الحدود المكانية :

تتحدد جغرافية الدّراسة في الفضاء السيبراني العالمي، باعتباره الميدان المركزي الذي تمارس فيه آليات الحرب النفسية الرقمية العابرة للحدود الجغرافية . ومع ذلك ينصب التركيز التحليلي على صدى هذه التحولات وتجلياتها في المجالين العربي والغربي كونهما المسرح الأساسي لصراع السرديات وتشكل المواقف العالمية حيال القضية الفلسطينية .

(4) أسباب اختيار الموضوع :

أولاً : الأسباب الذاتية :

- تطوير القدرات التحليلية الشخصية في مجال العلاقات الدّولية من خلال التعمق في دراسة آليات الحرب النفسية الرقمية، واكتساب مهارات التحليل السياسي المعاصر التي تواكب التطورات الراهنة.
- الميل لتوظيف التقاطع المعرفي بين التكوين الأكاديمي في العلوم السياسية والعلاقات الدولية وبين الاهتمام الشخصي بمجال الإعلام بغرض فهم التفاعلات المعقدة بين صناعة الحدث السياسي وتوجيهه في البيئة السيبرانية .
- الالتزام الفكري اتجاه عدالة القضية الفلسطينية، والرغبة في استقصاء التحولات العميقة التي طرأت على مكانتها في الرأي العام العالمي في أعقاب معركة طوفان الأقصى.
- الطموح لتقديم إضافة علمية نوعية تساهم في إثراء الرصيد البحثي الشخصي، تؤهلنا لاستيعاب أعمق لتقاطعات التكنولوجيا والسياسة بما يخدم المسار الأكاديمي والمهني المستقبلي .

ثانياً : الأسباب الموضوعية :

- تنامي دور الفضاء السيبراني كساحة بديلة لإدارة الصراعات الدّولية، مما يفرض ضرورة علمية لدراسة تحول الحرب النفسية من الوسائل التقليدية إلى استراتيجيات التضليل الرقمي الممنهج.
- خطورة سلطة الخوارزميات والمنصة الرقمية في توجيه الرأي العام العالمي وقدرتها على صياغة مواقف الشعوب والحكومات تجاه الأزمات الدولية الكبرى بعيدا عن القنوات الدبلوماسية التقليدية.

- الحاجة الماسة لتأصيل علمي لأثر معركة طوفان الأقصى على موازين القوى الناعمة وكذا استكشاف كيف ساهم الإعلام البديل في كسر المركزية الإعلامية التي هيمنت على القضية الفلسطينية لعقود.
- نقص الدراسات الأكاديمية التي ترتبط بين التحولات التكنولوجية الحديثة وديناميكيات المواقف الدولية الراهنة، مما يجعل دراسة هذا الموضوع إضافة ضرورية لفهم آليات تشكيل الوعي الجمعي العالمي.

(5) أهمية الدراسة :

أولاً: الأهمية العلميّة :

- تسهم هذه الدراسة في إثراء الأدبيات العلمية ضمن حقل العلوم السياسية، من خلال تسليط الضوء على تقاطعات الحرب النفسية مع التطورات التقنية الحديثة في الفضاء السيبراني .
- تقديم قراءة تحليلية معمقة لدور صراع السرديات الرقمية في إعادة تشكيل القنوات الدولية، باتخاذ معركة طوفان الأقصى كنموذج ميداني راهن.
- فتح آفاق بحثية جديدة لدراسة تأثير الأدوات الرقمية كالخوارزميات والذكاء الاصطناعي في توجيه التوجهات السياسية الدولية في سياقات الأزمات الممتدة .
- إعادة طرح العلاقة بين القوة الناعمة السيبرانية والسيادة الإعلامية واستكشاف كيف تساهم المنصات الرقمية في كسر الهيمنة التقليدية على المعلومة.

ثانياً: الأهمية العملية :

- تبيان فعالية سلاح المعلومة كأداة إستراتيجية للتأثير السياسي، مما يفتح آفاقاً أمام المهتمين بالقضية الفلسطينية لتطوير استراتيجيات رقمية أكثر تأثيراً في الرأي العام العالمي .
- توفير مؤشرات حول آليات تشكل الوعي الجمعي الرقمي، مما يساعد على استيعاب كيفية بناء الصور الذهنية الدولية بدقة.
- المساهمة في رفع الوعي حول مخاطر التلاعب بالمعلومات و دورها في إدارة الصراعات الرمزية خاصة فيما يتعلق بالقضايا العادلة في العصر الرقمي .

- دعم جهود التوثيق الأكاديمي للتحويل الإعلامي الذي أحدثته تجربة طوفان الأقصى باعتبارها حدثاً فارقاً أعاد تعريف إدارة الصراع النفسي دولياً .

(6) أهداف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى:

- تأصيل المفاهيم الحديثة المتعلقة بالقوة الناعمة والدبلوماسية الرقمية وكيفية تقاطعها مع أدوات التأثير السياسي في العلاقات الدولية المعاصرة .
- تحليل آليات الحرب النفسية في العصر الحديث، والتعرف على كيفية انتقال مراكز الثقل في إدارة الصراعات من الميدان العسكري إلى بيئة صراع المعلومات.
- تفكيك استراتيجيات هندسة السرديات الموظفة خلال طوفان الأقصى، وفهم كيف تم استخدام المحتوى الرقمي كأداة لكسر احتكار المعلومة وتغيير الصورة الذهنية .
- تقصي طبيعة التحويل في مواقف الرأي العام الدولي حيال عدالة القضية الفلسطينية، ورصد الفوارق في الاستجابة الشعبية و الرسمية العالمية بعد الأحداث الراهنة .
- استجلاء دور الإعلام الجديد كبديل استراتيجي قادر على اختراق الرقابة التقنية، والمساهمة في بناء وعي جمعي عالمي متضامن مع الحقوق الفلسطينية .
- الخروج برؤية تحليلية حول مستقبل الصراع الرمزي في القضايا الدولية العادلة، وكيفية توظيف التطور التكنولوجي لخدمة السياسات الخارجية والمواقف السياسية .

(7) مناهج الدراسة :

تطلبت الدراسة الاعتماد على توليفة منهجية متكاملة للإحاطة بالأبعاد النظرية والميدانية للموضوع وفق التالي :

- **المنهج الوصفي :** تم الاعتماد على هذا المنهج لتوصيف وتأصيل المفاهيم المتعلقة بالحرب النفسية وتطورها وصولاً للحرب المعرفية، بالإضافة إلى تشخيص ماهية الرأي العام العالمي والصورة الذهنية في الفضاء الرقمي، وهو ما سمح ببناء قاعدة معرفية رصينة لفهم آليات الدبلوماسية الرقمية وهندسة المعلومات و تحديات البيئة السيبرانية التي توطر الظاهرة محل الدراسة .
- **المنهج التحليلي :** استخدم هذا المنهج كأداة رئيسية لتفكيك صراع السرديات القائم بين الفاعلين في السردية الفلسطينية وكذا الصهيونية، واستقراء دلالات الإزاحة الإعلامية وصعود المركزية

الفلسطينية عالمياً . كما ساعد هذا المنهج في تحليل مضمون التفاعلات الرقمية الناتجة عن أحداث طوفان الأقصى وكشف آليات عمل الخوارزميات والتلاعب بالمعلومات كمتغيرات استراتيجية في توجيه مواقف القوى الدولية .

- منهج دراسة حالة : تم اتخاذه كإطار منهجي لتركيز البحث على معركة طوفان الأقصى بوصفها حالة دراسة ميدانية ومفصلية، حيث مكن من الربط بين السياق الجيوسياسي للحدث وبين تجليات التحول الفعلي في الصورة الدولية للقضية الفلسطينية، مما يسمح باستقصاء مدى تغير السرديات المهيمنة واستشراف السيناريوهات المستقبلية للقضية في البيئة الرقمية بناءً على المعطيات الراهنة.

(8) الإطار النظري للدراسة :

- نظرية ترتيب الأولويات (Agenda Setting) : تم توظيف هذه النظرية لفهم كيف استطاعت المنصات الرقمية خلال أحداث طوفان الأقصى فرض القضية الفلسطينية كأولوية قصوى على أجندة الاهتمام العالمي . كما تركز من خلالها على قدرة الإعلام في كسر احتكار الوسائل التقليدية وتحويل أنظار الرأي العام الدولي نحو زوايا أحداث لم تكن مدرجة في الأجندات الإعلامية المهيمنة .

- نظرية الأطر الخبرية (Framing Theory) : تعد هذه النظرية الركيزة الأساسية لتحليل صراع السرديات، حيث تستخدم لتفكيك كيفية تأطير أحداث 7 أكتوبر وما تبعها من قبل الأطراف المتصارعة. وتسمح بدراسة الأساليب النفسية المستخدمة في اختيار وتأكيد جوانب معينة من الحدث (كالمقاومة مقابل الإرهاب، أو الحق في الدفاع مقابل الاحتلال) بهدف توجيه إدراك الجمهور العالمي بناء صورة ذهنية محددة تخدم أهداف الحرب النفسية .

- نظرية القوة الناعمة (Soft Power) : استخدمت هذه النظرية لتفسير التحول في موازين القوى الدولية من خلال الجاذبية والإقناع بدلاً من الإكراه العسكري . إذ تركز الدراسة على كيفية تحول السردية الرقمية الفلسطينية إلى أداة قوة ناعمة عابرة للحدود ساهمت في كسب تضامن الرأي العام العالمي وتعزيز الشرعية الدولية للقضية الفلسطينية في مواجهة آليات البروبغندا التقليدية .

- نظرية الغرس الثقافي (Cultivation Theory) : تم تبنيها لتحليل أثر التعرف المكثف والمستمر للمحتوى الرقمي المرئي القادم من الميدان في خلخلة القنوات السياسية القديمة كما تفسر هذه النظرية كيف أدى تراكم الصور و الفيديوها الواقعية إلى غرس وعي سياسي جديد لدى الشعوب الغربية مما ساهم في إزاحة الصور الذهنية المشوهة و استبدالها برؤية أكثر واقعية و تعاطفاً مع عدالة القضية الفلسطينية .

تأسيساً على المقاربات النظرية المعتمدة، تستند الدراسة إلى مجموعة من الإقتربات العلمية لتفكيك أبعاد الظاهرة المدروسة:

- الاقتراب النسقي (Systemic Approach): تم توظيفه لتحليل بنية التفاعل بين البيئة الرقمية كمدخلات استراتيجية و بين المواقف الدولية كمخرجات، حيث يتم التعامل مع أحداث طوفان الأقصى كمتغير حرك المنظومة الإعلامية والسياسية العالمية، مما سمح بدراسة التغذية العكسية للرأي العام العالمي وكيفية استجابته لرسائل الحرب النفسية الموجهة.
- الاقتراب الوظيفي (Functional Approach): تم التركيز من خلاله على تحليل الوظيفة السياسية للمنصات الرقمية في ظل الصراع الراهن، فلم تعد مجرد وسائط لنقل الخبر، بل تحولت إلى أدوات وظيفية لممارسة التعبئة وصناعة الوعي الجمعي وكسر الرقابة. هذا الاقتراب يفسر كيف أدى الإعلام وظيفة دفاعية للسردية الفلسطينية في مواجهة آليات التضليل الممنهج.
- اقتراب النخبة (Elite Approach): اعتمدت الدراسة هذا الاقتراب لرصد دور الفاعلين المركزيين في إدارة صراع السرديات سواءً من النخب الإعلامية الرقمية أو صناع المحتوى المؤثرين الذين قادوا الحرب النفسية الافتراضية. كما يسمح هذا الاقتراب بفهم كيفية قيام هذه النخب بتوجيه الجماهير الدولية و إعادة بناء الصورة الذهنية للقضية الفلسطينية بعيداً عن الأطر التقليدية.
- الاقتراب السلوكي (Behavioral Approach): تم تبني هذا الاقتراب لتحليل أنماط استجابة الجمهور العالمي تجاه تدفق المعلومات الرقمية من خلال تتبع التحولات في السلوك السياسي الدولي كحملات التضامن الرقمي، التضامن الشعبي، المظاهرات الطلابية .. الخ ، ومنه يهدف هذا الاقتراب إلى فهم الدوافع النفسية والسياسية التي جعلت الرأي العام العالمي يتبنى مواقف مغايرة نتيجة التأثير بآليات الحرب النفسية الرقمية.

(9) أدوات جمع البيانات :

حتى نتمكن من الوصول إلى نتائج دقيقة تتعلق بإشكالية الدراسة، كان من الضروري الاعتماد على مجموعة من الوسائط والأدوات العلمية لجمع المعلومات. إذ تعد هذه المرحلة من أهم مراحل البحث العلمي لارتباطها المباشر بطبيعة الإشكالية وكذا المنهج المعتمد. وفي إطار دراستنا التي تركز على آليات الحرب النفسية وتحولات الرأي العام خلال طوفان الأقصى تم اختيار الأدوات الآتية :

- المصادر والوثائق الإلكترونية: وذلك من خلال الاعتماد على التقارير الدولية، الدراسات الإحصائية، والبيانات الصادرة عن مراكز الأبحاث المهتمة بالفضاء السيبراني وذلك لتعزيز الرصد الموضوعي للتحويلات التي طرأت على الصورة الدولية للقضية الفلسطينية وجمع البيانات والمعلومات حول وحدة الحالة المدروسة .
- المقابلة (Interview): تم تبني المقابلة كأداة لاستقصاء آراء النخب الأكاديمية المتخصصة، حيث تم إجراء مقابلة مع الدكتور عزا لدين الرنتيسي المتحصل على شهادة الدكتوراه في الإعلام الرقمي من جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، وأستاذ الدراسات الإعلامية والرأي العام والمدرس بالجامعة الإسلامية بغزة وكذا بصفته خبيراً مختصاً في الخطاب الإعلامي للدبلوماسية الرقمية تجاه الشرق الأوسط. وقد تمحورت المقابلة حول ثلاثة محاور أساسية :
- المحور الأول: الحرب النفسية والرأي العام في البيئة السيبرانية.
- المحور الثاني: صراع السرديات وتحويلات الصورة الدولية للقضية الفلسطينية .
- المحور الثالث: الاستراتيجيات الإعلامية و السيناريوهات المستقبلية.

(10) هيكلية الدراسة:

تتوزع هذه الدراسة على فصلين أساسيين يزاوجان بين الإطار النظري والمقاربة التطبيقية، حيث يركز الفصل الأول على التأسيس المفاهيمي والمعرفي للبحث من خلال ثلاثة محاور أساسية، تبدأ بتقصي أبعاد التحول الاستراتيجي من الحرب النفسية التقليدية إلى الحرب المعرفية في الفضاء السيبراني، تلها معالجة آليات هندسة الوعي الدولي وصناعة الصورة الذهنية وتوجيه الرأي العام عبر المنصات الرقمية، لينتهي هذا الفصل ببحث استراتيجيات المواجهة وكيفية بناء المناعة المعلوماتية وتأسيس السردية السياسية المضادة. بينما ينتقل الفصل الثاني نحو الجانب التحليلي والميداني، ليسقط تلك الأطر النظرية مباشرة على معركة طوفان الأقصى من خلال مبحثين، يركز الأول على رصد تفاعلات صراع السرديات واستراتيجيات الخطاب الرقمي بين الفاعلين عقب أحداث أكتوبر 2023، في حين يخصص المبحث الثاني للمقاربة الميدانية للدراسة، والتي تجسدت في إجراء مقابلة علمية مقننة مع الدكتور عز الدين الرنتيسي، كأداة استكشافية نوعية لمعاينة مؤشرات التحول الفعلي في مواقف وتوجهات الرأي العام الدولي حيال عدالة القضية الفلسطينية.

11) صعوبات الدراسة:

واجهت هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات الموضوعية والميدانية التي فرضتها طبيعة الموضوع وسياقه الزمني ويمكن إيجاز أبرز هذه التحديات فيما يلي :

- **حادثة الموضوع :** تعتبر أحداث طوفان الأقصى من الوقائع الراهنة والمتسارعة، مما جعل عملية الإحاطة بكافة التطورات اللحظية للمعركة الرقمية تتطلب جهداً إضافياً . هذا التجدد المستمر فرض ضرورة مواكبة متغيرات الحرب النفسانية التي لم تستقر معالمها النهائية بعد في ظل غياب تراكم بحثي سابق يحلل هذا الحدث بعينه .
- **محدودية الرصيد المعرفي والمراجع التخصصية :** سُجل نقص ملحوظ في المراجع الورقية والكتب التي تعالج الحرب النفسانية الرقمية في سياقها المعاصر المرتبط بأحداث ما بعد 7 أكتوبر 2023 . حيث تقتصر أغلب الأدبيات المتوفرة على استنتاج الروابط النظرية والبحث في المقالات العلمية والتقارير الدولية الحديثة لسد هذا الفراغ المعرفي .
- **تعقيد الضبط المنهجي للمتغيرات الداخلية :** تمثل التحدي الأبرز في الربط المنهجي المتوازن بين تكتيكات الحرب النفسية وبين تحولات الرأي العام العالمي نظراً لتعدد الفاعلين وتداخل الأدوار بين ما هو إعلامي ونفسي وسياسي. هذا التداخل تطلب دقة عالية في التحليل لضمان بناء رؤية علمية متكاملة تتجنب الأحكام العامة أو العاطفية.
- **الموازنة بين شساعة الظاهرة والقيود الزمنية:** يُعدُّ هذا البحث من المواضيع المتشعبة والشائقة التي تفتح آفاقاً واسعة للتحليل السياسي والنفسي، غير أن الالتزام بأجال زمنية محددة لتقديم المذكرة حال دون الاستفاضة في كافة التفاصيل الفرعية لهذا الصراع الرقمي الضخم. هذا القيد استوجب التركيز على المحاور الجوهرية التي تخدم الإشكالية مباشرة لضمان جودة التحليل والالتزام بالجدول الزمني المسطر .

الفصل الأول:

المُقَارَبَةُ الْمَفَاهِيمِيَّةُ وَالنَّظَرِيَّةُ لِلْحَرْبِ النَّفْسِيَّةِ الرَّقْمِيَّةِ وَتَحَوُّلَاتِ الرَّأْيِ الْعَامِ

تمهيد:

على مر العصور و ما عقبها من حروب وصراعات، تعتبر الحرب النفسية من الأدوات الأكثر استخداما و ذلك لما لها من تأثير كبير على العقول و النفوس . فطبيعتها الناعمة جعلت منها أداة حيوية وإستراتيجية في إدارة الصراعات السياسية و العسكرية . وفي ظل التغيرات التكنولوجية المتسارعة، برز الإعلام الرقمي كقوة تتجاوز نقل الخبر لتفوق صياغة الوعي وهندسة الرأي العام العالمي وتوجيه مواقف الشعوب . الأمر الذي مهد لظهور حرب نفسية رقمية عابرة للحدود . وقد تجلت هذه الملامح بأكمل صورها و أكثرها تعقيدا في مسار القضية الفلسطينية التي طالما عانت من التهميش الإعلامي وتوجيه السردية وفق مصالح القوى الكبرى. وللإحاطة بكافة جوانب هذا الموضوع تم تقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث مترابطة، فيما يذهب المبحث الأول إلى المقاربة المفاهيمية والنظرية للحرب النفسية الرقمية وتحولات الرأي العام، يتناول المبحث الثاني الرأي العام العالمي والصورة الذهنية في الفضاء الرقمي، لينتهي الفصل بمبحث ثالث يستعرض آليات الحرب النفسية الرقمية وتحديات البيئة السيبرانية

إن الرؤية المعرفية المؤطرة لهذا الفصل ترفع عن كونها مجرد رصد مفاهيمي جاف، لتصبح ضرورة إستراتيجية تهدف إلى كشف الآليات الخفية التي تصنع الحقيقة الرقمية وتوجه مسارات الوعي الجمعي. فالسياق الدولي المعاصر لم يعد يعترف بالحدود التقليدية للصراع بل أصبحت فيه السيادة تنتزع عبر السيطرة على الفضاء المعرفي و هندسة السرديات التي تسبق وترافق الفعل الميداني . ومن هذا المنطلق يسعى الفصل الأول إلى تفكيك الشيفرة الوراثية لتطور الحرب النفسية ليس من باب الترف الفكري، وإنما لاستيعاب كيف تُحوّل المعلومات إلى أسلحة فتاكة قادرة على قلب موازين القوى وإعادة صياغة الرأي العام العالمي تجاه القضايا العادلة . هذا الربط المنهجي بين التأصيل النظري والواقع الرقمي المتغير هو ما يسمح لنا بفهم أعمق التحولات الجيوسياسية التي فرضتها لحظة طوفان الأقصى كنموذج لزلزال إدراكي حطم قيود التضليل و أسس لسردية عالمية جديدة .

❖ المبحث الأول: ماهية الحرب النفسية وتطورها من المنظور الكلاسيكي إلى الحرب المعرفية:

تبرز الحرب النفسية في بيئة دولية تتميز بالتغير والتفاعل، جوهرًا للصراع الاستراتيجي كما تعد سلاحا يسبق الرصاصة الأولى. فالتاريخ لا يكتب بالأسلحة فحسب إنما تتم صياغته في العقل البشري. إذ أصبح النصر يقاس بمدى التأثير المعرفي والسيطرة على الإدراكات لا بحجم الدمار المادي، فقد تطور مسارها تاريخياً من تكتيكات الخداع الكلاسيكية وصولاً إلى عصر الحرب المعرفية Cognitive Warfare. لذا فإن فهم هذا السلاح يتطلب تفكيك بنيته المفاهيمية وتتبع جذوره الكرونولوجية كضرورة إستراتيجية لفهم كيف تدار الحروب الحديثة وكيف تشكل الروايات الكبرى التي توجه الوعي وتصنع المواقف.

• المطلب الأول: التأصيل المفاهيمي للحرب النفسية :

إن مصطلح الحرب النفسية، ليس مجرد مفهوم عابر في الدراسات الإستراتيجية بقدر ما لا يمثل حقلاً معرفياً متداخلاً يتجاوز التوصيف العسكري البحت ليمتد نحو أبعاد سوسيولوجية ونفسية واتصالية بالغة التعقيد. وتكمن الصعوبة المنهجية في ضبط هذا المفهوم في سيولته التاريخية، ما أدى إلى تباين المقاربات المفاهيمية بين القواميس اللغوية، العقائد الحربية والموسوعات الإعلامية. لذا سيتطرق هذا المطلب إلى محاولة ضبط لمفهوم الحرب النفسية إلى جانب معرفة أهم عناصر التي تركز عليها باعتبارها مهمة جداً لفهم كيفية تنفيذ وتأثير هذه الأخيرة.

أولاً: المقاربة اللغوية:

في المعاجم و القواميس العربية تجذّرت تحت كلمة " أرجف " ففي لسان العرب يقصد ' بأرجف القوم ' الخوض في الأخبار السيئة وإشاعة الفتن والمرجفون هم أولئك الذين يختلقون الأنباء المحبطة التي تسبب زعزعة واضطراب¹ بين الناس . كما يؤكد القاموس المحيط هذا المعنى موضحاً أن أرجف القوم تعني الانغماس في نقل الأخبار والفتن وما شابهها . ومن هنا جاء وصف المرجفون في المدينة

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب ، مجلد 9 بيروت : دار صادر، (د ت) ، ص 113

ليدل على من يسعون لنشر القلق و عدم الاستقرار¹. هذا التأصيل اللغوي يكشف أن جوهر الظاهرة منذ القدم، هو زعزعة الاستقرار الذهني للخصم عبر سلاح الكلمة قبل السيف.

عرف قاموس كامبريدج الحرب النفسية على أنها : استخدام الأنشطة التي تسبب الخوف والقلق في الأشخاص الذين ترغب في التأثير فيهم دون الإضرار بهم جسدياً².

أما في موسوعة بريطانيا فقد اعتبرت الحرب النفسية استخدام الدعاية ضد العدو، مدعومة بالتدابير العسكرية أو الاقتصادية أو السياسية التي قد تكون مطلوبة. تهدف هذه الدعاية عموماً إلى إضعاف معنويات العدو، وكسر إرادته للقتال أو المقاومة، وأحياناً لجعله متعاطفاً مع موقف الطرف الآخر. كما تُستخدم الدعاية لتقوية عزيمة الحلفاء أو مقاتلي المقاومة. ويمكن اعتبار تشويه الشخصية والتلاعب بمعتقدات أسرى الحرب عن طريق غسل الأدمغة والتقنيات المرتبطة بها شكلاً من أشكال الحرب النفسية³.

ثانياً : المقاربة الاصطلاحية :

وبالانتقال من الحيز اللغوي إلى الفضاء الاصطلاحي، يمكننا تصنيف التعددية المفاهيمية للحرب النفسية إلى ثلاثة أبعاد أساسية وهي :

✓ البعد العسكري الكلاسيكي:

ويمثله باول لينبارجر : Linebarger Paul حيث عرفها في كتابه "الحرب النفسية " على أنها استخدام الدعاية ضد العدو إلى جانب التدابير التنفيذية الأخرى ذات الطابع العسكري أو الاقتصادي أو السياسي التي قد تلزم لتكملة الدعاية⁴.

✓ البعد الاتصالي والإعلامي :

أما موسوعة ساج " SAGE " للدراسات السياسية والعسكرية، فتقدم تمييزاً دقيقاً يُخرج المفهوم من التعميم، إذ تُعرّف الحرب النفسية (Psychological Warfare) كإستراتيجية شاملة تُشن وقت النزاعات الكبرى لتقويض معنويات الخصم ككل، في حين تُفرد مصطلحاً مستقلاً لـ

¹ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي تحرير محمد الشامي و زكريا جبار احمر، القاموس المحيط ، القاهرة ، دار الحديث 2008، ص. 622

² Cambridge University Press. (n.d.). [Psychological Warfar] In Cambridge dictionary. Retrieved March 9, 2026, from : <https://dictionary.cambridge.org>

³ Britannica, T. Editors of Encyclopaedia. (n.d.). Psychological warfare. In Encyclopaedia Britannica. Retrieved March 9, 2026, from : <https://www.britannica.com>

⁴ Paul Linebarger. Psychological warfare .(Washington DC : Infarnity Journal Press ,1948) p.40

العمليات النفسية (PSYOPS) وتعتبرها أنشطة تكتيكية وفنية موجهة بدقة نحو جمهور مستهدف (Target Audience) لتحقيق مآرب ميدانية محددة، وهو التمييز المعتمد في العقيدة العسكرية الغربية وأدبيات حلف الناتو¹.

✓ البعد المعرفي الرقمي:

تُدرج الحرب النفسية الرقمية اليوم كأداة رئيسية ضمن ما يُعرف بالجيل الرابع من الحروب، وهو المفهوم الإستراتيجي الذي صاغه ونظر له لأول مرة الباحث وليام ليند (William S. Lind) وزملائه عام 1989 في مجلة (Marine Corps Gazette) للإشارة إلى الحروب غير المتناظرة التي تتجاوز المواجهة العسكرية إلى مواجهة تذوب فيها الخطوط بين المدني والعسكري وتستهدف الوعي والبيئة النفسية، وتأتي كتابات الباحثة أنا سيمونز لتؤكد على هذا الدور المحوري للمؤثرات النفسية في حروب المستقبل².

استناداً إلى التحليلات السابقة، نجد نقاط اتفاق مشتركة و ذلك في كون الحرب النفسية سلاحاً غير فتاك يستهدف الإرادة والسلوك و أيضاً كونها عملية ممنهجة و مخططة مسبقاً أي ليست عشوائية تهدف في الأخير إلى تغيير السلوك بما يخدم مصلحة القائم بها، أما بخصوص نقاط الاختلاف والتباين فيمكن في حصر النطاق، فبينما القواميس اللغوية والعسكرية تحصرها في التخويف تذهب المقاربات الحديثة إلى توسيع النطاق ليصل إلى السيطرة الإدراكية أين حُوّلت الحرب من صراع ميداني إلى صراع معرفي شامل.

وبناءً على هذا الاستنتاج النقدي نضع التعريف الإجرائي التالي : "الحرب النفسية هي عبارة عن منظومة متكاملة من الجهود الاتصالية والعملية الممنهجة، تستهدف البنية الذهنية والمعرفية للطرف الآخر " الخصم ومن ساندته " من خلال تحطيم روحه المعنوية وإعادة تشكيل خارطته الإدراكية وذلك بدفعه لتبني قرارات و اتخاذ سلوكيات تخدم أهداف الطرف القائم بالهجوم مستبدلة بذلك اليقين بالشك، التماسك بالارتباك وأهم شيء صناعة الضغط النفسي الذي يفوق في تأثيره الضغط العسكري الميداني".

- عناصر الحرب النفسية :

بداية بالرسائل المخبرانية، فهي تشكل المحتوى المركزي للحرب النفسية إذ يتم إعدادها وفق تحليل محكم محدد بدقة بخصوص العدو أو الجهة المعادية المستهدفة، ويتم صياغتها من خلال

¹ Sage Publications (n.d) **Psychological Warfare** , In the SAGE encyclopedia of war : social science perspectives . Retrieved April 03, 2026,from : <https://sk.sagepub.com>

²حسن علي محمد الحاج ، الحرب الناعمة : الأسس النظرية و التطبيقية ،(المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية)، 2018 ، ص 33

دراسة كل نقاط ضعفه النفسية السياسية وحتى الاجتماعية. تتفرق الرسائل المخبرانية وتختلف أنواعها، فمنها التي تشمل الدعاية السوداء تخدع المتلقي بمصادرها، والدعاية الرمادية تتسم بالغموض، أما الدعاية البيضاء فهي من مصدر واضح وموجهة بعناية.

فيليب تايلور يُقرّ بأن: "الرسائل المخبرانية في الحرب النفسية غالباً ما تستخدم لزرع الشك والانقسام داخل الجماعة المستهدفة أو لتقويض ثقتها بقيادتها كما يوجد هناك رسائل تصاغ للجمهور المستهدف تتغير حسب الحاجة، فمنها رسائل لجمهور الداخل تظهر العدو بمظهر الشرير تهدف للقتل والتدمير، ورسائل لجمهور العدو تظهر عدم وجود أمل في كسب الحرب وأن الهزيمة واقعة لا محالة، ورسائل لعموم المتلقين تتضمن إيراد أدلة عن العدالة والأخلاق في الميدان¹."

إن قوات العمليات النفسية أصبحت خبيرة في سلوك الإنسان، الأمر الذي جعلها تنتهز الفرصة بتوصيل رسائل وذلك عن طريق استخدام بدهيات الإنسان وعقليته وتفكيره كاستخدام التكرار مثلاً، فمن خلال تكرار رسالة معينة يبدأ الناس بتصديقها وجعلها حقيقة وقد تستغل في بعض الأحيان عقائد وخرافات لتوصيل رسالة ما أو نشر أخبار كاذبة غير مكتملة على أنها حقيقة.

ثانياً، الجمهور المستهدف، وهو الآخر يعد مهماً جداً بعد الرسائل المخبرانية كونه الفئة التي توجه إليه هذه الأخيرة، فمن خلال معرفة نوع الجمهور تحدد طبيعة المحتوى وشكل الرسائل وأسلوب إيصالها².

وينقسم الجمهور المستهدف إلى ثلاث فئات: جمهور العدو، الجمهور الداخلي، الجمهور الحيادي³:

- جمهور العدو: ينقسم إلى عسكريين و سياسيين، الهدف منه هو إقناع العدو بأن لا أمل له في النصر والهزيمة لا محال و أن انتهاء الحرب هو الخيار الأنسب مقابل خسارة أقل .

¹ تايلور فيليب، قصف العقول "الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي"، (عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1978)، ص 112.

² Yakoov Katz , IDF launches Psychological Warfare Unite, (the Jerusalem post , July 19, 2011)

³ حيدر عبد الرحمن الحيدر، الامن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية ، دراسة دكتوراة منشورة ، كلية الدراسات العليا (اكاديمية الشرطة ، مصر ، 2002)، ص 33.

- الجمهور الداخلي: يعتبر الهدف الأكثر أهمية فعندما تسعى دولة ما لتعبئة كل إمكانياتها من أجل خوض حرب، فهي تحتاج لإقناع مواطنيها بقبول هذه الحرب حتى وإن كانوا معرضين لأن يصبحوا ضحاياها.
- الجمهور الحيادي: وهم الفئة التي ليست لهم علاقة بالحرب والهدف هنا هو كسب تأييدهم .

تُختار الفئة المستهدفة بناءً على الهدف المنشود من العملية النفسية، فقد تصمم للتأثير على معنويات الجنود أو إثارة الغضب الشعبي ضد القيادة أو لتعزيز التوترات الطائفية والعرقية. وهذا ما قاله الباحث ياكوف كاتز " إن العمليات النفسية تركز بشكل كبير على تقسيم الجمهور إلى شرائح دقيقة و استهداف كل شريحة بمحتوى مخصص و مصمم لضمان اكبر قدر من التأثير¹ .

ثالثا وهي وسائل الإيصال والتي تعتبر الأداة التنفيذية لنقل الرسائل النفسية للجمهور المستهدف، وتختلف هذه الوسائل بحسب البيئة فهناك الوسائل التقليدية مثل الإذاعة والمنشورات والوسائل الحديثة عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، البودكاست، ألعاب الفيديو، الفيديوهات وحتى الرسائل النصية . كما تتم أيضا عن طريق رمي وإسقاط منشورات، إصدار جرائد وتوزيعها ووضع ملصقات وبوسترات، استخدام مكبرات الصوت في ميادين القتال ، أضف إلى ذلك استخدام المعونات الإنسانية² . بناءً على هذا التأصيل المفاهيمي، تبرز الحاجة إلى تتبع المسار الكرونولوجي للحرب النفسية وذلك لفهم كيفية انتقالها من التكتيكات التقليدية إلى الاستراتيجيات الرقمية الحديثة إذ لا يمكن استيعاب ماهية هذا السلاح اليوم بمعزل عن محطاته التاريخية التي صاغت هويته المعرفية و تطور أدواته عبر العصور .

● المطلب الثاني : التّطوُّر الكرونولوجي للحرب النفسيّة :

تطور الحرب النفسية لم يكن مجرد تراكم زمني للأحداث، بقدر ما يمكن القول على أنه تحولاً جذرياً في فلسفة إدارة الصراع وذلك بانتقاله من تكتيكات ميدانية تعتمد على الخداع والترهيب اللحظي إلى استراتيجيات مؤسسية معقدة تعتمد على القوة الناعمة كتمتم للقوة الصلبة، ولكي نفهم جيداً الجذور التاريخية لهذه الأخيرة، جاء هذا المطلب دارساً لمراحل تطورها لما هي عليه الآن حرب نفسية حديثة رقمية.

¹ Yakoov katz , Op. cit .

² Keir Giles , *The next of russian information warfare* , (Nato strategic communications , center of excellence) p 11

✓ الحرب النفسية في العصور القديمة :

لم يكن مصطلح الحرب النفسية مستقلاً في فترة الحضارات القديمة، إلا أن استعمالها كان متغلغلاً بطريقة غير مباشرة أو كأسلوب غير عسكري يهدف لبث الرعب وإضعاف الطرف العدو نفسياً وتحقيق النصر بأقل تكلفة مادية وبشرية ممكنة. فبدأت الحرب النفسية في العصور القديمة كونها تكتيكات فطرية مرتبطة بشخصية القائد، ركنها الأساسي هو الترهيب اللحظي، فمن ملحمة انمركار في العراق القديم¹ إلى استخدام الفرس للرموز المقدسة "القطط" في معركة بلوزيوم². كما تجلّى هذا التكتيك عند الإغريق عن طريق توظيف فن الخطابة كوسيلة للسيطرة على إدراك ومشاعر الجماهير.

وقد احتلت الخطابة مكانة مركزية في الفكر السياسي الكلاسيكي، إذ تشير الأدبيات الأكاديمية الغربية وبخاصة لدى المفكرين مثل شيشرون أو أليكسي دو توكفيل إلى أن الخطابة كانت صاحبة الشأن في الجمهوريات القديمة، فقد كان كل شيء في يد الشعب وكان الشعب في يد الخطباء. ويأتي هذا التوظيف في سياق تبيان أثر الكلمة والخطاب على توجيه الجماهير، بالرغم من أن الفيلسوف اليوناني سقراط كان من أشد المعارضين للخطابة السفسطائية القائمة على التضليل، وهو ما خلّده أفلاطون في محاورة غورجياس³.

✓ الحرب النفسية في العصور الوسطى :

شهدت الحرب النفسية في هذه المرحلة تطوراً نوعياً، خاصة بعد ظهور الدين الإسلامي لقوله عزوجل (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم و ما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم و انتم لا تظلمون)⁴ هنا تترجم الآية التأسيس لمبدأ الردع النفسي كوسيلة لحماية السلم، إذ يتجاوز الأمر الحشد المادي التأثير في عقلية العدو وإرادته. كما استخدم النبي محمد ﷺ أساليب راقية نفسية لإرباك العدو عبر التحالفات وهو مانجده في غزوة الخندق وأيضاً في صلح الحديبية وذلك عن طريق استغلال

¹ صموئيل كريمر ، ألواح سامر ، المحرر احمد فخري ، المترجم ، طه باقر (القاهرة : مكتبة الخانجي د.ت) . ص. 63 – 68
² أيمن حسين مسعود التويب، مصر القديمة و الغزو الفارسي الأول، (مجلة جامعة القدس المفتوحة للدراسات والأبحاث 2013). ص. 298.
³ مصطفى الدباغ ، المرجع في الحرب النفسية (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، 1998)، ص. 15.
⁴ سورة الانفال ، الآية 60

المفاوضات¹. كما لعب التكبير في عصر النبوة دورا كبيرا باعتباره شعار كل حرب إذ يثير حماس ويلقي في قلوب الأعداء الرعب والخوف.

اعتمد المسلمون في معاركهم على الاستخبارات العسكرية فكان عليه الصلاة والسلام يرسل العيون في صفوف العدو ، كإرساله معبد الخزاعي إلى قريش أثناء غزوة حمراء الأسد فتكلم كثيرا على جيش المسلمين على أنهم مجهزون بالعتاد العسكري وإصرارهم الكبير على الثأر والانتقام ، فأثر ذلك في نفوسهم وكان الانسحاب حلهم². وفي إطار التطور التاريخي لأساليب التأثير والسيطرة على العقول، شهد عام 1622 منعطفاً هاماً بتأسيس البابا غريغوري الخامس عشر لـ (Congregation de Propaganda Fide) والتي ركزت جهودها الإستراتيجية على إدارة الوعي وتوجيه ولاءات الشعوب وتثبيت العقيدة الكاثوليكية في مواجهة المد البروتستانتي، ضمن ما عُرف بالإصلاح المضاد (Counter-Reformation) ، إذ مثلت في عمقها إحدى أبرز المحطات التاريخية لتنظيم الحملات النفسية والإقناعية الموجهة والممنهجة، عابرة لحدود التأثير في المنظومة الإدراكية للجماهير³.

✓ الحرب النفسية في الحربين العالميتين :

باتت الحرب النفسية خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، سلاحا رسميا تديره دول بواسطة أجهزة خاصة تستهدف كل من المدنيين والعسكريين . غير أن الحربين سابقتا الذكر أحدثوا تغييرا كبيرا في تأصيل الحرب النفسية إذ أصبحت جزءا من الإستراتيجية العسكرية الشاملة .

مع بداية القرن العشرين ، و تحديدا في بداية الحرب العالمية الأولى بدأ الاستخدام المنظم لهذه الحرب بوسائل مختلفة مباشرة كانت أم غير مباشرة . فكان الفرنسيون و البريطانيون السباقين في استخدام الحرب النفسية من خلال إلقاء الكتب المحبطة للمعنويات والنشرات والجرائد على الجنود الألمان بواسطة الطائرات والبالونات وقذائف المدفعية والبريد . وقد شهد عدد من الشخصيات الألمانية على نجاعة وفعالية الحرب النفسية من خلال الدعاية الناجحة لبريطانيا، كقول الجنرال الألماني لودندورف Ludendorff: " لقد نومتنا دعاية العدو مغناطيسيا مثلما تفعل الأفعى بالأرنب " ⁴ . ولإثبات تطور الحرب النفسية في ذلك الوقت جاء في صحيفة أخبار الجيش الثامن،

¹ علي محمد الصلابي، السيرة النبوية (القاهرة، مكتبة التوبة ، 2003)، ج2، ص 412 – 415
² صفى الرحمان المباركفوري، الرحيق المختوم، بحث في السيرة النبوية، (قطر وزارة الاوقاف و الشؤون الاسلامية 2007)، ص 284 – 288.

³ برهان شاوي ، الدعاية و الاتصال الجماهيري عبر التاريخ (بيروت : دار الفارابي ، ج1، 2012)، ص37.

⁴ تايلور فيليب، مرجع سابق ، ص، 272.

عشية الاعتراف الألماني بهزيمته في هذه الحرب : " لقد أوقع العدو بنا الهزيمة في مجال دعاية المنشورات، فإن إطلاق السهام المسمومة من مخبأ آمن لم يكن أبدا فنا ألمانيا . ومع ذلك ، فلقد تبين ان النضال هو مسألة حياة أو موت وانه يتعين على المرء أن يقاتل عدوه بأسلحته ومع ذلك فإن روح منشورات العدو تحوم متسللة ممتنعة عن القتل".¹

هذا وقد اتخذت الحرب النفسية في الحرب العالمية الأولى صورا مختلفة تهدف بالأساس إلى التأثير في سياسة الخصم وسلوكه ومن أهم صورها²:

- ✓ العمل على خلق روح الكراهية وتوجيهها ضد العدو والعمل على تحطيم معنوياته .
- ✓ إقناع الرأي العام المحلي بشرعية وعدالة موقف الحلفاء وزيادة الروح القتالية و الاحتفاظ بها عاليا
- ✓ تنمية روح الصداقة بين الحلفاء وتقوية إيمانهم بأنهم على حق وبأن النصر سيكون حليفهم ليحصلوا على تأييدهم الفعال وعلى تعاونهم الأكيد .
- ✓ تنمية وتقوية روح الصداقة مع الأمم الحليفة .

أما في الحرب العالمية الثانية، فقد شهدت الحرب النفسية تطورا واسعا، نتيجة التطور الكبير في وسائل الإعلام والاتصال، العلوم التقنية وحتى ازدهار العلوم الأخرى ذات الصلة بالحرب النفسية، حيث ظهرت مدارس عديدة منها : الحرب النفسية الأمريكية، الحرب النفسية الألمانية، وحتى الروسية . انبثق منها قانونٌ يمكن من خلاله قياس قوة الدولة إذ يضم القدرة الاقتصادية والعسكرية من جهة والأهداف الإستراتيجية للأمة والإرادة الوطنية من جهة أخرى .³ وهذا معناه أنه بدون الروح المعنوية العالية والإرادة القوية والعزيمة فإن القوة الاقتصادية والعسكرية لا تساوي شيئا إذ لم تصاحبها الإرادة والروح المعنوية الصادقة .

أما في الجبهة اليابانية، فقد برزت الحرب النفسية عبر ما عُرف باسم طوكيو روز (Tokyo Rose)، وهو اسم جماعي أطلقه الجنود الحلفاء على المذيعات اللواتي كنّ يقدمن مواد إذاعية باللغة الإنجليزية بهدف إحباط معنويات الجنود الأمريكيين. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الشخصية الأبرز والأشهر تاريخياً التي ارتبطت بهذا الاسم هي إيفا توغوري داكينوا (Iva Toguri D'Aquino)

¹ المرجع نفسه ، ص 276.

² ميلود حمزاوي، الحرب النفسية الحديثة ، (الفا للوثائق للنشر و التوزيع ، 2024)، ص34،

³ محمد محمود المصري، الدولة العبرية و الحرب النفسية (غزة ، 2004) ص 54.

وهي مواطنة أمريكية من أصل ياباني، تمت محاكمتها لاحقاً بتهمة الخيانة، ثم صدر بحقها عفو رسمي من الرئيس الأمريكي جيرالد فورد عام 1977¹.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية نشب صراع كبير بين المذهبين المنتصرين (المعسكر الغربي والمعسكر الشرقي)، الأمر الذي أدى إلى بروز حرب نفسية أكثر خطورة، حيث شن الطرفان ضد بعضهم البعض عمليات مكثفة ومنظمة شملت الدعاية الإعلامية وحشد مراكز الأبحاث بالإضافة إلى مراكز الاستخبارات لينصّب كل هذا في دحض مشروع الطرف الآخر مع إثبات عدم أهميته للعالم الآخر².

✓ الحرب النفسية في الحرب الباردة :

تمثل الحرب الباردة منعطفًا استراتيجيًا مهمًا، حيث انتقلت فيه الحرب النفسية من نشاط طارئ مصاحب للحروب العسكرية إلى نشاط قانوني دائم يحمل سمة الاستمرارية والشمولية. ففي هذه المرحلة لم يعد الهدف تدمير العدو جسدياً بل إخضاعه، عبر صراع الأيديولوجيات بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي، فقد برزت في هذه الفترة ثقافة جديدة تهدف إلى ترسيخ صورة نمطية تعبر عن أخلاقيات ومواقف الشعوب في المعسكرين المتصارعين، فبينما ركزت الدعاية السوفييتية على تصوير المواطن الأمريكي في صورة الجشع مصاص الدماء عمدت الدعاية الأمريكية إلى رسم صورة الشخص الروسي على أنه جامد بطيء لا يمكن الوثوق به. هذا الأسلوب لم يكن مجرد تراشق إعلامي بل كان استهدافاً سيكولوجياً لزعزعة الثقة في النموذج الحضاري للخصم.

كما شهدت الحرب الباردة انفجاراً في وسائل بث الحرب النفسية حيث لم تعد تقتصر على المنشورات بل شملت الصحافة، الإذاعة والتلفزيون وحتى السينما والمسرح والأهم من ذلك هو توظيف النظام التعليمي والبحث العلمي لخدمة القضايا السياسية مما جعل الحرب النفسية عملية تربية واجتماعية تستهدف صياغة عقول الملايين وتوجيه ولاءاتهم.

سارت الحرب النفسية وفق أطر ومضامين اختلفت باختلاف الفكر السياسي السائد، فكانت نحو الفكر الاشتراكي عبر توجيه دعاية مشككة من قبل الولايات المتحدة وحلفائها لتقويض النموذج السوفييتي أما بالنسبة للفكر الرأسمالي شنت الدول الاشتراكية هجمات نفسية تصف الفكر الرأسمالي بالاحتكاري والاستغلالي المتسلط على مقدرات الشعوب. أما بخصوص دول العالم النامي وخصوصاً

¹ تايلور فيليب، مرجع سابق، 198-225

² المرجع نفسه، ص 369-375.

الدول العربية والإسلامية فقد أصبحت ساحة لتجريب أساليب التضليل وحشد مراكز الاستخبارات لدحض مشاريع الطرف الآخر .

وبانتهاء الحرب الباردة، وبالخصوص انهيار الاتحاد السوفياتي تغيرت النظرة إلى الحرب النفسية وغابت معادلة توازن الرعب، الأمر الذي جعل من أمريكا تبحث عن عدو محتمل يعيد التوازن إلى وضعه السابق، وقد وجدت ضالتها في أحداث 11 من سبتمبر إذ عملت على تجنيد الشعب الأمريكي وتوحيد صفوفه ضد الخطر القادم من أسامة بن لادن إذ تم تصويره على أنه قوة عظمى تهدد الأمن القومي الأمريكي. وفي هذا السياق تبلورت الإستراتيجية الدعائية الأمريكية وفق محورين متقابلين قسماً العالم إلى محور الخير الذي تمثله أمريكا وحلفاؤها ومحور الشر الذي يضم القوى المعارضة لها، موجّهة بذلك حرباً نفسية نحو كل من الجبهة الداخلية " المجتمع الأمريكي " لحشد التأييد الشعبي للعمليات العسكرية وتبرير تكاليف الحرب، المجتمعات المستهدفة متمثلة في كل من العراق وأفغانستان وسوريا وإيران وذلك لزعزعة استقرارها النفسي وتمهيد الطريق للتدخل الميداني والفئة الثالثة وهي شعوب العالم " الرأي العام العالمي " وذلك من أجل ضمان اصطفاقيهم وتأييدهم ودعمها في الحرب على الإرهاب .

بهذا يمكن القول أن فترة الحرب الباردة هي التي حددت معالم الحرب النفسية المعاصرة في ظل النظام العالمي الجديد بأنماطها الحديثة وأساليبها المبتكرة ، تحولت فيها من أداة عسكرية مساعدة للآلة الحربية المادية وقت الأزمات و الحروب ، إلى أداة مستقلة يستخدمها رجال السياسة و الاقتصاد لتحقيق أهدافهم العلنية و الخفية . لتتبلور أهمية الحرب النفسية وتبرز نفسها على أنها عملية مستمرة ودائمة في كل الأزمنة و الأوقات وهو التصور الأكثر ملائمة لفهمها في الحاضر.¹

✓ الحرب النفسية الحديثة، المعاصرة:

لم تبق الحرب النفسية على حالها السابق، بل تطورت لتصبح أكثر فاعلية وتعقيدا وذلك نتيجة التقدم الكبير في وسائل الاتصال والإعلام الرقمي بالإضافة إلى ظهور الفضاء السيبراني الذين جعلوا منها أداة في يد كل من الدول والشركات والمجموعات المسلحة وحتى الأفراد . من أبرز مظاهر هذا التطور استخدام وسائل التواصل الاجتماعي كمنصات لتوجيه الرأي العام، الإشاعات عن طريق تقنيات الذكاء الاصطناعي المختلفة وغيرها والتي تخدم غايات معينة . كما انه بعض الأنظمة عملت على إنشاء

¹ مريم شارف، عبد المجيد بوجلة، الحرب النفسية دراسة في المفهوم والوسائل (مجلة الساوره للدراسات الانسانية و الاجتماعية ، العدد 2)، ص378.

جيوش الكترونية من أجل مهاجمة المعارضين وبث الأخبار الكاذبة المزيفة وإثارة الخوف وحتى أشغال الرأي العام في مختلف القضايا¹.

وفي هذا السياق، يبرز الصراع الفلسطيني الصهيوني كنموذج حي ومستمر لتوظيف الحرب النفسية، إذ هناك مجموعة من الإجراءات التي طبقتها إسرائيل منذ تأسيس الدولة عام 1948، وحتى انتفاضة الأقصى عام 2000 حيث هدفت في مجملها إلى قهر المواطن الفلسطيني وإذلاله وإضعاف ثقته بنفسه وطمس الهوية الفلسطينية من خلال أساليب الحرب النفسية المختلفة الموجهة للمجتمع و الفرد على حد سواء وعليه تجلت هذه الإجراءات عبر ترسانة من الأساليب .

تتمثل الأساليب المباشرة للحرب النفسية في توظيف أدوات واضحة كالنشاط الدبلوماسي شاملا بذلك التحالفات والاتفاقيات الثنائية أو المتعددة الأطراف وكذا التكتلات والتدخل في شؤون الآخرين و المناورات الدبلوماسية التي تهدف إلى إرباك الخصوم أو إيهامها بموازين قوى وهمية وهذا ما أكده جوزاف ناي في كتابه القوة الناعمة². كما يعتبر العمل العسكري من أهم العمليات التي تستخدم لأغراض نفسية تفوق الميدان القتالي وذلك من خلال شن ضربات استباقية أو حتى القيام بمناورات حدودية أو عرض عسكري يقصد به بث الخوف والرعب والرغبة و من ثم إرسال رسائل ردع . أما الجهود الاقتصادية، هي الأخرى التي يمكن ضمها، بكل ما تحتويه من محاصرة ومقاطعة وتضخيم وقروض وتزوير للعملات... الخ³

أما الأساليب الغير المباشرة فهي تستهدف البنية النفسية و القيمة للجهة المستهدفة أي بمعنى غير قتالية، ويأتي في مقدمتها الإعلام، وذلك من خلال التلاعب بالمضامين الإعلامية لتوجيه الرأي العام وتفكيك القيم التقليدية، وبث أنماط تخدم الطرف الموجه عاملة بذلك على التضييل الثقافي و الخرق القيمي وتغيير الميول والاتجاهات . تلهم الأنشطة الاستخبارية للتسميم السياسي عن طريق نشر الخلافات الداخلية وزرع الفتن الطائفية والعرقية فضلا عن إثارة الفتن والاضطرابات . كما يعتبر استعراض القوة من بين أهم النقاط كونه أسلوب يهدف إلى خلق الرعب في نفس العدو عن طريق عرض عسكري ضخيم أو إجراء تجارب أسلحة جديدة⁴.

¹ Christopher Paul and Miriam Matthews, **The Russian "Firehose of falsehood" Propaganda Model** (Santa Monica, CA : RAND Corporation, 2016), 3-9.

² Joseph Nye, **Soft power: The means to success in World politics** (New York: Public Affairs , 2004) , 68-69.

³ Colin S , Gray, **Modern Strategy** (Oxford :Oxford University Press, 1999) , 175.

⁴ سعد العبيدي، الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد و اتجاهات التحصين في المنطقة العربية و الاسلامية ، 2011 ، متاح على الرابط www.annabaa.org/nba55/harbnafsia.htm . تاريخ الاطلاع : 2026/03/24 .

بالإضافة إلى ما سبق ، هناك أساليب أخرى للحرب النفسية منها :

- الدعاية :

تختلف تعاريف الدعاية، فمن الدعاية في مجال الصحافة والإعلام إلى الدعاية في مجال العلوم السياسية ، أما الدعاية كوسيلة من وسائل الحرب النفسية فقد اعتبرها البعض مرادفة للحرب النفسية . تعتبر من أكثر الأساليب فعالية ، كونها شكلا من أشكال الاتصال المنظم الذي يهدف إلى التأثير على الرأي العام وتوجيهه من خلال عرض معلومات مختارة أو مضللة لتحقيق أهداف سياسية ، نفسية أو حتى أيديولوجية .

ويعرف فيليب تايلور الدعاية بأنها : " المحاولة المتعمدة المدبرة لإقناع الناس بأن يفكروا ويسلكوا بالطريقة المطلوبة، وأنها وسيلة لغاية " كما يعتبرها جزءا لا يتجزأ من أدوات الدولة في إدارة الصراعات وليست مجرد كذب سياسي¹ . وتختلف أنواعها على النحو التالي:²

*دعاية بيضاء : فيها تعلن هوية المصدر بوضوح ، والمعلومات فيها موضوعية وواقعية مع وجود نية واضحة للتأثير على المتلقي، هدفها ترسيخ رواية رسمية أو وجهة نظر معينة لدى الجمهور المستهدف .

*دعاية سوداء : وهي الأكثر خداعا و تضليلاً، أيضا عكس الدعاية السابقة أين يتم فيها إخفاء المصدر الحقيقي أو حتى انتحال هوية مزيفة ،هدفها زرع البلبلة والشكوك تجاه الجمهور المستهدف .

*دعاية رمادية : وفيها لا يتم الإعلان عن المصدر بشكل واضح ولا تكون بالضرورة كاذبة بالكامل، لكنها تحمل مزيجا بين الحقيقة والتضليل .

*دعاية سوقية : هي الدعاية المصممة لأهداف عريضة أو بعيدة المدى وعادة تصدر من المستويات العليا وتوجه إلى القوات أو الشعب أو المناطق بأكملها .

وعليه وظف الكيان الدعاية السوداء لترسيخ مقولة " ارض بلا شعب لشعب بلا أرض " بهدف تجريد الفلسطينيين من حقه التاريخي وإقناع العالم بشرعية الوجود الصهيوني .

¹ تايلور فيليب، مرجع سابق ، 3-5 .

² سامي عوض ، مرجع سابق ، ص 240 .

- الإشاعة :

الإشاعة من أكثر الأدوات استعمالاً في الحرب النفسية، فهي عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق تتناقل من شخص لآخر، تعتمد على المبالغة في أخبار معينة و الترويج لها و نقلها على نطاق واسع أو خلق أخبار لا أساس لها من الصحة. كل ذلك لهدف التأثير على الرأي العام تحقيقاً لأهداف سياسية أو عسكرية أو حتى اقتصادية، كما أنها لا تعتمد على الخيال بصفة كلية فقد تعتمد على جزء من الحقيقة من أجل إمكانية تصديقها وتقبلها من الناس، تكمن خطورتها في كونها غالباً ما تصدق من قبل الناس في ظل غياب المعلومة الصحيحة أو الشفافية الإعلامية .

يميز فيليب تايلور بين أنواع عديدة للإشاعة على غرار، إشاعة الخوف التي تبث الذعر، إشاعة الأمل التي تخلق آمالاً كاذبة و الإشاعة العدوانية التي تستهدف الخصوم¹.

تهدف الإشاعة في الحرب النفسية إلى:

+ تدمير القوى المعنوية و تفتيتها، و بث الشقاق و العداء.

+ بث الرعب في النفوس و الهجوم بالإشاعة .

+ استخدام الإشاعة كستار لإخفاء الحقيقة و الحط من شأن مصادر الأنباء

وفي صلب موضوعنا، استخدمت الإشاعة كأداة رعب ميداني خاصة في نكبة 1948 لتضخيم أخبار المجازر ، الأمر الذي دفع لتفكيك القوى المعنوية للمدنيين و دفعهم للنزوح .

- غسيل الدماغ:

يمكن تسميتها أيضاً الحرب الدماغية ، و هي كل محاولة للسيطرة على العقل البشري ، وتوجيهه لغايات مرسومة بعد أن يتم تجريده من معلوماته و مبادئه السابقة كما تعني هذه العملية أية محاولة لتوجيه الفكر أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد الحر أو ضد إرادته أو عقله . ويعد هذا الأسلوب الأخطر إطلاقاً في الحرب النفسية طويلة الأمد كونه يذهب إلى تهديم البنية المعرفية للفرد و إعادة بلورتها بما يخدم مصالح الجهة المسيطرة .

¹ تايلور فيليب، مرجع سابق ، ص 85-88.

يعرف مصطفى الدباغ عملية غسيل الدماغ بأنه أسلوب من أساليب الحرب النفسية يستخدم لتغيير اتجاهات الأفراد متبعاً وسيلة تقنية محددة وذلك عن طريق الإقناع القسري المقنن¹.

بدأ استخدام مصطلح غسيل الدماغ خلال الحرب الكورية، حين اتهم الصينيون والشيوعيون الكوريون باستخدام تقنيات نفسية لإعادة برمجة عقول الأسرى الأمريكيين وإجبار بعضهم للإدلاء بتصريحات معادية لبلادهم أمام الإعلام².

عملية غسيل الدماغ تمر بمراحل مختلفة والتي أطرها كيرت ليوين كالتالي: التشكيك بهوية الفرد وقيمه وذاتيته ثم مرحلة تقبل التغيير أين يتأثر الفرد بما قدم له من محاضرات أو مقابلات بعدها تأتي مرحلة إعادة التجميد والتي تهدف إلى تثبيت الوضع الجديد أين يبدو معقولاً وسليماً وبالتالي يتحقق الانسجام مع الوضع الجديد³.

وقد اتضح مؤخراً أن عملية غسيل الدماغ ليست مقصورة على الفرد فقط وإنما قد تمتد آثارها لتصل إلى الجماهير أو إلى مجموعة معينة من الناس، وذلك من خلال وسائل الإعلام المختلفة. حيث يتم العمل على تغيير أفكار الجمهور وقناعاته واتجاهاته من خلال عملية غسيل دماغ مخطط لها إعلامياً، عبر جرعات يومية متكررة في أشكال الإعلام المختلفة وقد أطلق على هذا النوع من غسيل الدماغ "غسيل الدماغ الجماهيري" والتي يعمل إلى جانبها عدد من أساليب الحرب النفسية المختلفة من غزو ثقافي، تضليل إعلامي ودعاية، إشاعة وحتى التخريب الفكري التي تؤدي مجملها إلى إحداث تغيير في القيم والاتجاهات لدى الأفراد و الجماهير⁴.

- إلقاء الرعب و الفوضى:

يُعد إلقاء الرعب من الأساليب السيكلولوجية الكلاسيكية التي تستهدف "غريزة البقاء" لدى الخصم عبر التهديد والوعيد، لخلق حالة من الشلل الإدراكي تمنعه من اتخاذ قرار المواجهة. وهو أسلوب ضارب في القدم استُخدم تاريخياً لإحداث الانهيار النفسي قبل الصدام المادي، كما نلمسه في رد النبي

¹ مصطفى الدباغ، مرجع سابق، 127.

² المرجع نفسه، 130.

³ Kurt Lewin, *Frontiers in group dynamics: Concept, method and reality in social science (social equilibria and social change Human Relations, 1947)* p5

⁴ المرجع نفسه، 146.

ﷺ على تهديدات أبي سفيان حين كتب الأخير يهدد بخراب الديار؛ فجاء الرد النبوي حازماً لكسر كبرياء الخصم وقلب موازين الرعب بقوله: "فوالله ما لكم عندي جواب إلا أطراف الرماح وأشفار الصفاح" ...¹

وفي صلب واقعنا المعاصر، تم تطبيقه اتجاه الفلسطينيين عن طريق الردع و استعراض القوة المفرطة لزرع اليأس في النفوس وإيصال رسالة مفادها " اللاجدوى من المقاومة " وهو ما يؤول إلى إضعاف الثقة بالنفس و بالقضية .

غير أن التطور الكبير في مجال الحرب النفسية الموجهة ضد الشعب الفلسطيني كانت بشكل كبير على صعيد الإشاعة و العملاء ، تلك التي اعتمدت عليها الدعاية و الحرب النفسية الإسرائيلية منذ عام 1967 غير أنها عرفت تزايداً في هاتين الوسيلتين منذ الانتفاضة الأولى 1987 وحتى العام 2007 .

○ التشكيك بقدرات الخصم وإضعاف الثقة بالنفس :

تعتبر من الوسائل الحديثة التي تلجأ إليها أطراف الصراع في الحرب النفسية من خلال فرض حالة من التشكيك بقدرات الخصم وإضعاف ثقته بنفسه وبالتالي تحطيم معنوياته وثقته بأسلحته التي يملكها، الأمر الذي يجعل من الخصم عاجزاً، غير قادر على تحقيق النصر وهو ما يعني الاستسلام وانتصار الطرف الآخر دون قتال وعلى أساسها يتم حق الدماء في كلا الطرفين² .

إضعاف الثقة بالنفس والتشكيك بقدرات الخصم يتم أيضاً من خلال إضعاف الأفراد في قدرة الدولة للقيام بواجباتها ومهامها المختلفة سواء من الناحية العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية وإظهار عجزها عن تحقيق وتلبية حاجات المواطنين في مختلف النواحي، مثلاً كان من وسائل هتلر في حربه النفسية ضد انجلترا تشجيع فكرة " *Encouragement Of Factoids* " والتي تعني اختراع مقاطع وصور ذهنية للتأثير على الناس، للإيحاء بأن انجلترا في حالة ضعف متزايد في الفوضى السياسية والاقتصادية. ومن مظاهر التشكيك وإضعاف الثقة نجد أيضاً بث عدم الثقة بين الجنود والضباط، والتشكيك في قدرة الأسلحة التي يمتلكها في تحقيق النصر في المعركة³

انطلاقاً من ما تم ذكره، يتضح أن هذا التتبع الكرونولوجي وما رافقه من تنوع في الأساليب يثبت أن استراتيجيات التأثير لم تتوقف عند حدود التراكم الزمني، بل بلغت ذروتها مع التداخل العميق بين التكنولوجيا وعلم الأعصاب . وهو ما يستوجب الانتقال من رصد المحطات التاريخية إلى تشريح الجيل

¹ أبو الشباب ، احمد عوض ، مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة ، القسم الثاني (المكتبة العصرية ، بيروت ، 1999)، 397.

² المرجع نفسه ، 399.

³ عبد الرحمن محمد العيسوي، الحرب النفسية و الدعائية (منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت، 2004)، 30.

الأحدث من هذه الصراعات ، حيث لم يعد الهدف السيطرة على الميدان بل اختراق المنظومة الإدراكية للإنسان .

● المطلب الثالث : التحوّل نحو الحربِ المعرفيّة :

الانتقال من الحرب النفسية الكلاسيكية نحو الحرب المعرفية لم يعد يقتصر على التطور التقني في الوسائل فحسب، بل هو تحول جذري في فلسفة الصراع وأهدافه الإستراتيجية . فبينما ركزت الحروب النفسيّة سابقا على استهداف العواطف وحتى المواقف (خوف، يأس ، إحباط) ، جاءت الحرب المعرفية المعاصرة بصورة حادة، جعلت من العقل البشري هو الميدان للحرب ، مستهدفةً كيفية إدراكه للواقع وطريقة معالجته للمعلومات .

يقرّ الجميع بتغير طريقة الحرب، على غرار ظهور حروب متجددة متغيرة ومنه ظهور تعريفات جديدة مثل الحرب المعرفية *Cognitive Warfare* ، والتي تتعامل مع العقل البشري كساحةٍ للمعركة ومجالا للنزاع والهيمنة أيضا، وقد اكتسبت أهمية متزايدة من خلال ارتباطها بمستوى إنتاج المعلومات وتدفعها وكذا محدودية العقل البشري . غير أن أدواتها واستراتيجياتها باتت على طاولات البحث لدى كل من الجيوش الكبرى والصغرى ، فهي تمثل ساحة صراع أساسية بين الناتو والولايات المتحدة من جهة وروسيا و الصين و إيران والدول الأخرى المستهدفة من جهة أخرى . ومنه، يمكن تعريف الحرب المعرفية على أنها " مفهوم جديد من الحروب الفكرية والذهنية التي تستهدف العقل البشري كساحة معركة وذلك عن طريق زرع قضايا معينة في ذهن المستهدف من خلال محو ثوابته الفكرية السابقة وتسطيحها و حتى الاستهزاء بها وإيجاد ولاءات جديدة يؤمن بها"¹.

إن هذه الحرب أسقطت أنظمة، وغيّرت أخرى، خربت تحالفات كما غيرت الكتف الذي حملت عليه البندقية في كثير من الساحات دون إطلاق رصاصة واحدة. هذه المعركة يدور رحاها بالنسبة للفلسطينيين منذ لحظة الاحتلال عام 1948 واندلاع حرب الرواية والسرد لما حدث وسيحدث وما يحدث الآن . فيما يمكن القول أن هذه الحرب تحمل ضحرا كبيرا غير الأضرار المادية بل تلك المتمركزة في العقول والهويات ومواقف الشعوب وقدرتها على الصمود و المقاومة . فلكلّ حربٍ أدواتها، وأدوات الحرب المعرفيّة هي في جانبٍ منها تقنيات التضليل والدعاية التي تهدف إلى استنفاد مستقبلات المعلومات

¹ أجاسم الحريري، الحرب المعرفية بين الدول : الجذور و الوسائل و سبل المواجهة ، (مركز دراسات الوحدة العربية، ديسمبر 2025)
على الرابط : <https://doi.org/10.65506/26126> تاريخ الاطلاع : 2026/03/25

نفسياً، وتدفع الجميع بوعي أو دونه لتوفير معرفة لا تقدّر بثمن أو حتى بطريقة مجانية، ويمكن بعد ذلك تحويل هذه المعرفة إلى سلاحٍ بسهولة، حيث أنها توفر للعدوّ وسيلة لتجاوز ساحة المعركة التقليديّة بنتائج إستراتيجية مهمّة، التي يمكن استخدامها لتغيير المجتمعات بشكل جذري.¹

أصبح العقل البشري مجالاً متنازعا عليه في صميم صراعات القرن الحادي والعشرين فقد أدركت الدّول أن التطور المتسارع في تكنولوجيا المعلومات تتيح عمليات تأثير متطورة تستهدف عمليات صنع القرار على المستويين الفردي والجماعي . وبالأستفادة من علم الأعصاب والذكاء الاصطناعي وقوة الحوسبة و الخوارزميات، تسعى الحرب المعرفيّة إلى تغيير العمليّات المعرفيّة وتشويه الإدراك واستغلال التحيزات الذهنيّة لدى الفئات المستهدفة كما يتوافق هذا النهج مع الإستراتيجية العسكرية الحديثة التي تحقق أهدافها بشكل متزايدٍ من خلال عمليات المنطقة الرمادية غير الفتاكة التي تعيد تشكيل ساحة المعركة مع الحفاظ على الغموض الاستراتيجي في تحديد المسؤولية للبقاء دون عتبة الحرب. كما تدمج الحرب المعرفية المعاصرة التكتيكات النفسية والمعلوماتية والبنوية وحتى السياسيّة والقانونية لتشكيل التصورات والسرديات من خلال إنشاء بنية واقع فائقٍ يتماشى مع الأهداف الإستراتيجية، وقد أدى انهيار وسائل الإعلام الموثوقة كحكم للحقيقة، إلى زعزعة استقرار بيئة المعلومات. إذ تتجاوز الحرب المعرفية الآن مجرد السيطرة على المعلومات لتشمل تسليح الإدراك بشكل مباشر ، ويتجاوز نهج المعلومات الجانبية الدعاية التقليدية نحو تفعيل هيمنة السرد وتحويلها إلى سرد مسلح مما يحول أسراب الروبوتات وشبكات المتصدين و عقد التضليل إلى أدوات للسيطرة على ساحة المعركة المعرفية " فبينما تسعى الحرب المعرفية إلى التأثير على الإدراك البشري والتلاعب به لتحقيق ميزة استراتيجية تبرز الاستخبارات المعرفية كدرعٍ وسيفٍ في آن واحد في ساحة المعركة الجديدة إذ توفر قدرات دفاعية ضد التلاعب الأجنبي وتمكن في الوقت نفسه من تنفيذ تطبيقات و تكتيكات هجومية لمواجهة عمليات العدو في ساحة الحرب المعرفيّة.²

تتجاوز الحرب المعرفية في جوهرها حدود التضليل التقليدي لتتحول إلى استراتيجية إعادة تشكيل إدراكي شاملة حيث ينصب التركيز فيها على استغلال الثغرات السيكلولوجية والخلفيات السلوكية للأطراف الفاعلة فمن منظور هذه الإستراتيجية لم يعد كسب المعرفة رهيناً بتحطيم العتاد العسكري أو ممارسة الشلل الاستراتيجي المادي بقدر ما هو رهين بالقدرة على اختراق المنظومة

¹ أحمد مصطفى جابر، الحرب المعرفية : تدمير الثقة واختطاف العقل البشري (مجلة الهدف الإخبارية ، افريل 2022) على الرابط :

<https://hadfnews.ps/post/98500> تاريخ الاطلاع : 2026/03/25

² باسم علي خريسان، دور الذكاء الاصطناعي في الحرب المعرفية (المعهد العراقي للحوار 2025)، ص 10-13.

الإدراكية للخصم وإعادة بناء تصوراته حول الذات والآخر والبيئة الاستراتيجية . ويستند هذا المسار إلى قناعة مفادها أن الإدراك البشري كائن مرن قابل للتعديل طالما انه يتشكل عبر التراكم التجريبي. مما يفتح المجال أمام تقنيات التدخل المعرفي لزراعة ارتياب وظيفي يربك عملية صنع القرار ويعطل القدرات النقدية. وبذلك تصبح الغاية النهائية ليست مجرد الانتصار في الميدان بل ضمان بقاء الحرب في عقول الخصوم حتى بعد صمت المدافع و هو ما يجعل من السيطرة على حرب العقول المرجعية الأساسية لبناء استقرار امني مستدام أو فرض هيمنة استراتيجية طويلة الأمد¹.

عند إسقاط الأطر النظرية على الواقع الميداني، نجد أن الكيان الصهيوني قد انتقل في معركة طوفان الأقصى 2023 من الدعاية الكلاسيكية إلى الهندسة الإدراكية الرقمية الشاملة وتجلّى ذلك في توظيف إستراتيجية الغمر بالمعلومات المضللة information Flooding خلال الساعات الأولى للصراع عبر ترويج روايات الصدمة الوجدانية كقصّة 40 طفلاً مقطوعة رؤوسهم²، حيث لم يكن الهدف إثبات واقعة بقدر ما كان تسليح السردية بغية تعطيل التفكير النقدي العالمي وانتزاع تفويض أخلاقي دولي للإبادة الجماعية . وبالتوازي مع ذلك فُعلت آليات الرقابة الخوارزمية الممنهجة عبر كبرى منصات التواصل الاجتماعي banning shadow لخلق بيئة معلوماتية معزولة تمنع وصول الرواية الفلسطينية وهو ما يمثل ذروة السيطرة على المجال الإدراكي للمجتمعات الغربية³. وفي المقابل برزت المقاومة المعرفية الفلسطينية من خلال ما يمكن تسميته بدبلوماسية المسافر صفر⁴، حيث أحدثت سيولة الصورة الحية والمقاطع الموثقة ميدانيا خرقاً في الدرع المعرفي للكيان. فنجحت الحقيقة البصرية الصادقة في تفكيك بنية الواقع الفائق hyper reality التي حاول الاحتلال بناءها، مما أدى إلى انكسار الدرع المعرفي الصهيوني وتحول بوصلة الرأي العام العالمي لا سيما في الأوساط الجامعية الدولية، فمن التلقي السلبي إلى النقد والمواجهة المعرفية للسردية الاستعمارية .

¹ عامر مصباح ، استراتيجية حرب العقول ، (المجلة الجزائرية للسياسة العامة ، العدد 2 ، 2013) ص 107-110.

² موقع الجزيرة:تحقيق : " حسابات إسرائيلية روجت كذبة قطع رؤوس الأطفال قرب غزة " في 2023/10/15 ، اطلع عليه يوم :

<https://www.aljazeera.net/news/2023/10/15> على : 2026/04/4

³ الخوارزميات وطوفان الاقصى...حرب على فلسطين ، على الرابط :

<https://www.ultrasawt.com/%D8%A7%D9%84%D8%AE%D9%88%D8%A7%D8%B1%D8%B2%D9%85%D9%8A%D8%A7%D8%AA-%D9%88%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A%D9%86/%D9%81%D8%B1%D8%A7%D8%B3-%D8%AF%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D9%8A/%D9%82%D9%88%D9%84>

⁴ منير أديب ، المسافة صفر في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي ، (العربية في 18 نوفمبر 2023) اطلع عليه يوم 2026/4/4 على :

<https://www.alarabiya.net/politics/2023/11/18>

ترتقي الحرب المعرفية إلى مستوى أعلى باستخدام التكنولوجيا المتطورة ووسائل التواصل الاجتماعي، واحدة من أمثلة هذه الحرب كانت عملية الطائر المحاكي، حيث شنت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ووكالات المخابرات المركزية CIA حملة دعائية ضخمة ضد الإتحاد السوفيتي السابق، ففي إطار هذه العملية نشرت معلومات مضللة وزرعت قصص كاذبة في وسائل الإعلام فقد تم اعتماد العديد من كبار الصحفيين الأمريكيين و دفع لهم مبالغ كبيرة للتأثير في الرأي العام على الصعيدين الوطني والدولي ووفقاً للتقارير فقد أصدرت تعليمات لمحطات وكالة المخابرات المركزية في جميع أنحاء العالم لتطوير السياسيين والمحريين بشكل خاص للرد على الآراء السلبية ونفيها¹.

يفضي هذا المسار المفاهيمي والتطبيقي للحرب المعرفية إلى حتمية دراسة المستهدف الأول من هذه الاستراتيجيات، وهو الجمهور العالمي. إذ تمثل القنوات الجمعية اليوم الجهة الحساسة في حسم الصراعات الدوليّة والميدان الفعلي الذي تختبر فيه قوة السرديات وتتشكل عبره الصورة الذهنية وكذا توجيه المواقف.

❖ المَبْحَثُ الثَّانِي: الرَّأْيُ الْعَامُ الْعَالَمِي وَالصُّورَةُ الذَّهْنِيَّةُ فِي الْفَضَاءِ الرَّقْمِيِّ :

لقد أضى الرأي العام العالمي في الوقت الراهن سلطة معنوية تتعدى حدود الدول الجغرافية حيث شكل الفضاء الرقمي مختبراً حقيقياً تتم فيه صياغة التوجهات كما تبنى فيه الولاءات. وفي ظل ما يحدث في العالم من أزمت دولية متسارعة لم يبق الرأي العام في صورته التي تقتصر على التلقي السلبي وإنما أصبح فاعلاً مؤثراً في شرعية السياسات الدولية. وعلى إثره أسهمت ثورة الاتصالات و الإعلام الرقمي في إحداث تغييرات مهمة على صعيد معرفة الشعوب المختلفة بما يجري على أرض فلسطين المحتلة ومُجريات الصراع مع الاحتلال الصهيوني. فباتَ للصوت الفلسطيني أثره وصداه وسط المجتمعات الأخرى مما أثر ذلك على مزاج الرأي العام العالمي . لذلك سنحاول في هذا المبحث التعرف على مفهوم الرأي العام العالمي وآليات تشكيله مع التركيز على أطره النظرية وصولاً إلى كيفية صناعة الصورة الذهنية الدولية في بيئة رقمية تتميز بالصراع.

¹ الطائر المحاكي هكذا تفضح الاصوات المزيفة ، العربية على الموقع : <https://www.alarabiya.net/technology/2024/01/15> تاريخ الاطلاع : 2026/4/4.

● المَطْلَبُ الأوَّل : مَا هِيَ الرَّأْيُ الْعَامُ الْعَالَمِيُّ وَالْيَاتُ تَشْكِيلُهُ :

تعود الجذور الدلالية اللغوية لمصطلح " الرأي العام " إلى الأدبيات الغربية كتعريب للمفهوم الانجليزي Public Opinion والذي يجد مرادفه في الفكر الفرنكفوني تحت مسمى Opinion Publique وبالتحليل السيميائي للمصطلح نجد أن لفظ Public ذا نشأة فرنسية تحيل إلى الكتلة البشرية أو المجموع الشعبي وقد تبلورت صبغتها السياسية والقانونية المعاصرة تزامناً مع التحولات التي أفرزتها الثورة الفرنسية¹. أما الشق الثاني للمصطلح فيعود اشتقاقه إلى الجذر اللاتيني Opioe وهو مفهوم يرتبط بالنشاط الذهني والتمثل الفكري للعقل . ومن هذا المنطلق يمكن القول أن الرأي العام في جوهره يمثل الحصيلة الفكرية أو الموقف الجماعي لتلك الكتلة التي نصطلح عليها اليوم بالجماهير ومن الجدير بالذكر أن السياق العربي شهد تحولاً دلاليًا في ترجمة المفهوم حيث انتقل من رأي العامة بمفهومه التقليدي إلى الرأي العام بمفهومه المؤسساتي وهو انتقال يحمل في طياته فروقات جوهرية سواء من الناحية الاستمولوجية أو الفلسفية².

على الرغم من رواج هذا المصطلح في وقتنا الحاضر، واتفق مجمل الباحثين على أنه مهم جدا ومؤثر في حياة الجماعة، إلا أنهم لم يستطيعوا الوصول إلى تعريف واحد جامع، ولعل السبب وراء ذلك يكمن في اختلاف التخصصات والخبرات للباحثين والمتصلين بالرأي العام وبذلك اختلاف الرؤى وزوايا النظر.

✓ تعريفه حسب القاموس والمعجم :

يورد معجم المصطلحات الإعلامية تعريفاً للرأي العام بكونه المحصلة النهائية لوجهات نظر أغلبية أفراد الجماعة، بحيث لا تتفوق عليها أي رؤية أخرى في زمان ومكان محددين حيال قضية جوهرية تثير اهتمام الجماعة سواء اتخذ هذا الاهتمام شكل نقاشات صريحة أو ضمنية، ولوسائل الإعلام دور في إلقاء الأضواء على المسائل العامة التي ينبغي أن يلم بها الشعب إماماً صحيحاً في حين قد يتغافلها شعب آخر بسبب الجهل أو قصور المعرفة³.

معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية يعرفه على أنه وجهات نظر وشعور سائد بين جمهور معين في فترة زمنية معينة اتجاه قضية أو موقف أو مشكلة⁴.

¹ محمد جاسم قلحي، الإعلام و الرأي العام (دار الشروق ، عمان ، 2020) ، ص 47.
² مختار التهامي، دراسات في الإعلام و السياسة ، (منشورات جامعة الجزائر ، 2022) ، ص 121.
³ مختار التهامي، مرجع سابق، ص 89.
⁴ إبراهيم إمام، الإعلام و المجتمع ، (المؤسسة الجامعية للدراسات ، 2018) ، ص 106.

✓ حسب التعريفات الأجنبية :

هربرت بلومر Herbert Blumer : يعد من رواد علم الاجتماع الذين أصلوا لمفهوم الرأي العام باعتباره نتاجاً لعمليات تفاعلية بين الجماعات المختلفة، ضمن سياقات اجتماعية وسياسية محددة. حيث يرى أن الرأي العام لا يترادف بالضرورة مع رأي الأغلبية أو الاتجاه الشائع بل يمكن أن تبرز آراء جماعات الأقلية لتلعب دوراً محورياً وأكثر فاعلية في صياغة التوجهات العامة والتعبير عنها. فالرأي العام في نظره يمثل محصلة جماعية تتجاوز مجرد التراكم العددي للأصوات لتصبح قوة دافعة قادرة على اتخاذ مواقف فعلية تجاه قضايا معينة مما يجعله ينطوي على صيرورة تهدف في نهايتها إلى إيصال الموقف الجماعي إلى مراكز صنع القرار والتأثير فيهم¹.

✓ حسب التعريفات العربية :

حميدة سميسم : الرأي العام السائد الذي ينبع من الأفراد وغايته الجماعة، بعد السؤال والاستفهام والنقاش، تعبيرا عن الإرادة والوعي اتجاه قضية ما في وقت معين. شرط موافقته للشريعة والسير في حدودها من أجل تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم².

الدكتور إسماعيل سعد : الرأي العام هو حصيلة أفكار و معتقدات و مواقف الأفراد والجماعات اتجاه شأن أو شؤون تمس النسق الجماعي كأفراد وتنظيمات ونظم، التي يمكن أن تؤثر في تشكيلها عمليات الاتصال التي قد تؤثر نسبيا أو كليا في مجريات أمور الجماعة الإنسانية على النطاق المحلي والدولة³.

نخلص إلى تعريف إجرائي مفاده أن الرأي العام : "هو خلاصة لآراء مجموعة من الناس أو الرأي الغالب أو الاعتقاد السائد لدى غالبية الشعب أو الجمهور اتجاه قضية معينة أو ظاهرة أو موضوع في مختلف الأصعدة سواء الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية وحتى السياسية وغيرها كما قد تحمل طابعا محليا أو وطنيا، إقليميا أو دوليا ."

وبناءً على ما تقدم يتضح أن الرأي العام العالمي هو الحالة التي تتجاوز فيها المواقف حدود الدولة القومية لتتحول إلى إجماع قيمي عابر للحدود إذ يمثل ائتلافا وجدانيا وعقليا لقطاعات واسعة من شعوب العالم تجاه أزمة دولية كبرى، وفي الفضاء الرقمي المعاصر أضحت الرأي العام العالمي بمثابة فاعل غير دولاتي، يستمد قوته من سيولة المعلومات وحرية التدفق، مما يجعله قادراً على إعادة صياغة الصورة

¹ سمير محمد حسين، الرأي العام "الأسس النظرية والجوانب المنهجية" (دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2019)، ص 90.

² ابراهيم امام، مرجع سابق، ص 67.

³ سعد اسماعيل "التصال و الراي العام مبحث في القوة الأيديولوجية" (دار المعرفة الجامعية ، مصر ، 1979) ص 17.

الذهنية للأطراف المتصارعة وفرض الرواية الأكثر أنسنة وصدقاً، حرفياً مثلما تجسد في الانزياح العالمي نحو عدالة السردية الفلسطينية عقب أحداث طوفان الأقصى .

كما هو معروف في تطورات قضية الرأي العام، فهي تبدأ بقضية أو رأي لدى شريحة من الجمهور بحيث تثير شعور هذا الجمهور الذي يبدي اهتماماً بها، فتحتل بمساحة لديه من المناقشة و إبداء الرأي فيها ثم يبرز قادة يحملون هم هذه القضية في البيئات المستهدفة، و يستخدمون مختلف وسائل الإعلام لتبني مواقف من القضية. وهم عادة ما يكونون من فئة الحياد التي ليس لها موقف سلبي مسبق من توجهات القضية، فيما تسعى في ذات الوقت لنقل المعارضين لمسار القضية. بعد هذه المرحلة يتكون ما يعرف بالرأي العام المتنور لدى الجمهور الذي يعبر عن موقفه تجاه القضية و الذي بدوره ينجح في التأثير في السياسة المتبناة في الدولة أو المجتمع الدولي تجاه القضية. وصولاً إلى إنهاء الأسباب التي تسببت في هذه القضية و اجتثاثها، ليتلاشى الرأي العام حينها نظراً للوصول إلى حل .

القضية الفلسطينية مثل أي قضية تنطبق عليها الخطوات السالف ذكرها لإحداث عملية تغيير وصولاً للتحرر الوطني، وكلما كان على سقف المهنية والاحترافية في حشد الرأي العام والاستفادة من الوسائل والأساليب في سبيل تحقيقه، كان الحل بمستوى أفضل، فيما أن التكاسل والتخامل ينعكس بصورة حل باهت ضعيف ما يعني أن الاستفادة من علوم الاتصال لا سيما الرأي العام والعلاقات العامة والإعلام له أهمية كبيرة في تحقيق الأثر بعمومه وبشكله وصورته¹.

تجدر الإشارة إلى دور الإعلام في تشكيل الرأي العام كون العلاقة البنيوية الوظيفية القائمة بينهما بالغة الأهمية والتأثير، حيث تلعب وسائل الإعلام بمختلف أشكالها " المطبوعة، المسموعة، المرئية " دوراً فاعلاً في تزويد الجماهير بالأخبار والمعلومات اللازمة حول الأحداث الجارية التي تدور في المجتمع أو الدولة وحتى العالم، وهذا يلقي على هذه الوسائل مسؤولية تقديم هذه المعلومات بصورة موضوعية ودقيقة وصحيحة. غير أن في بعض الأحيان تكون بعض الأخبار كاذبة، وعليها أن تفصل بين الرأي والحقيقة². ففي ظل التطور البنائي للدولة انتشرت وسائل الإعلام لتمس كل النقاط وكل الشرائح والفئات العمرية أين أصبح بإمكانية الجميع الإطلاع على الأحداث السياسية . فهناك جمع من الأحداث المتسارعة والبنىات التي تركز عليها غير معروفة إلا عن طريق هذه الوسائل التي ترسم لنا واقعاً قد

¹ عبد الله محمود عدوي، الرأي العام و القضية الفلسطينية، (المكتب الفني في الملقى للنشر، 2021)، ص 60-61.

² محي الدين عبد الحليم، الرأي العام (المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، 2009)، ص 83.

مضى . لذلك يبرز اليوم الدور الهام الذي يلعبه الإعلام في تشكيل الرأي العام والتأثير فيه وذلك عن طريق¹:

- بعث الاستقرار في الرأي العام
- تغيير الرأي العام
- تحديد الخيارات أمام المتلقي
- الترفيع والإعلاء للقضايا و الشخصيات.

آليات تشكيله :

تعد آليات تشكيل الرأي العام المحرك الخفي الذي يوجه بوصلة الشعوب اتجاه القضايا سواءً المحلية أو الوطنية و حتى الدولية نذكر أهمها²:

- المجتمع و فئاته : لا يتكون الرأي العام ولا ينتشر إلا بوجود جمهور وبالتالي فالجماعة مقوم هام من المقومات الرئيسية للرأي العام بخصائصها وصفاتها ونوعها وتاريخها وعاداتها وحتى أهدافها ومصالحها .
- التنشئة الاجتماعية : هي عملية تعلم وتعليم وتربية تهدف إلى إكساب المرء سلوكا ومعايير واتجاهات ملائمة لأدوار اجتماعية معينة وصياغة أنماط سلوكهم الجماعي كي تفضي تلك التفاعلات إلى تشكيل وبلورة الرأي العام
- العادات والتقاليد : يعتبر التراث الحضاري الثقافي لكل امة من العوامل المساعدة لتشكيل الرأي العام فكثيرا ما يسلتهم الفرد رأيه من القيم والعادات والتقاليد .
- التعاليم الدينية : يعتبر الدين عنصرا أساسيا في صناعة الرأي العام فضلا على انه مصدرا من مصادره إذ يساهم بتعاليمه وما يتضمنه من قيم و أوامر ونواهي في إثبات الرأي داخل الجماعة.
- القيمة المعرفية : وهي حصيلة الفرد أو الجماعة من معارف ومعلومات وخبرات متنوعة موروثة كانت أم مكتسبة .
- المؤسسات التعليمية : من وسائل نقل المعرفة والتراث والخبرة وتكوين المواطن وبالتالي فهي تساهم في ترسيخ مجموعة من المبادئ. هي الأخرى تؤثر تأثيرا كبيرا في الرأي العام .

¹ عصمان سليمان موسى ، الرأي العام في الغرب و العالم العربي ،(وقائع المؤتمر الدولي لمعهد الصحافة وعلوم الاخبار بتونس ، نوفمبر

2008) ص 69.

² المسعود عينة ،مراحل صناعة الرأي العام و آليات تكوينه (جامعة زيان عاشور ، الجلفة ، 2021) 134-138 .

- الإعلام إخباري : يقصد به العمليات التي يترتب عنها نشر معلومات وأخبار معينة تقوم على أساس الصدق و الصراحة واحترام عقول الجماهير وبذلك تكوين الرأي العام.
- وسائل الاتصال الجماهيري: تتميز بالمقدرة على توصيل الرسائل في اللحظة نفسها وبسرعة إلى الجمهور وبذلك خلق رأي عام وتنمية اتجاهات وأنماط من السلوك غير موجودة لدى الجمهور وتتمثل هذه الوسائل في : الصحافة، الإذاعة، التلفزيون، السينما، الكتب والتسجيلات المسموعة، الانترنت....الخ
- الأحداث الجارية: تشكل الأحداث والتغيرات والظروف البيئية وطبيعة سلوك الناس والتحديات والحاجات والمشكلات عامل تغيير في الرأي العام .
- النسق السياسي العام : أصبح الرأي العام يؤدي دوراً أساسياً في تحديد طبيعة النسق وفي تشكيل الأفكار السياسية وذلك نتيجة انتشار الديمقراطية وازدياد قوة وفعالية وسائل الإعلام وانتشار التعليم والثقافة الأمر الذي مهد لظهور الرأي العام كعامل فعال في اتجاهات الفكر السياسي .
- القادة والزعماء : يتوجب على القائد أن يتصف بالقدرة على الإقناع وكسب الثقة والتجارب مع الآمال والمخاوف والنبوغ والتوجيه وتحديد الأهداف ورسم الخطط لبلوغها وبهذا تؤدي الزعامة دورا هاما في بلورة الرأي العام .

وعليه، فإن آليات تشكيل الرأي العام لم تعد حبيسة النطاق القومي للدولة حيث انتقلت لتصبح آليات عابرة للحدود إذ تلاشت سيادة الدول على المعلومة لصالح التفاعل الإنساني المشترك. هذا التحول جعل من الرأي العام العالمي سلطة موازية لا تكتفي بنقل الخبر بل تعيد صياغة القيم الأخلاقية والسياسية عالمياً مما يجعله المحرك الأساسي لإدارة الأزمات الدولية الكبرى في العصر الرقمي .

يتطلب اكتمال الرؤية التحليلية لمسار الرأي العام ربط آلياته السابقة الذكر بالقواعد العلمية المفسرة لأصل الظاهرة . وهو ما تجسده المقاربات التي حاولت ضبط تفاعلات الجمهور وفق أبعاد نظرية وتاريخية متكاملة .

• المَطْلَبُ الثَّانِي: الأطُرُ النَّظَرِيَّةُ الْمُفَسِّرَةُ للرَّأيِ العامِ العَالَمِيِّ :

يعد الانتقال من رصد آليات تشكيل الرأي العام إلى فهم خلفياته العميقة، فرض تساؤل جوهري حول كيفية تحول الأحداث الميدانية إلى قناعات دولية، فالفعل السياسي في الفضاء الرقمي لا يتشكل عفويا أو من فراغ بل يخضع لعمليات ذهنية وتفاعلية تفسرها مجموعة من المقاربات النظرية الرابطة بين سلطة المعلومة وصناعة الموقف الدولي . وعليه تتحدد المسارات التفسيرية لهذا التحول من خلال الأطر التاريخية التالية :

✓ النظرية الإدراكية :

إن الفكرة الأساسية التي تقوم عليها النظرية الإدراكية في تغيير الاتجاه هي أن التكيف لا يشمل فقط تغيير الفرد لذاته لتتوافق مع متطلبات البيئة، ولكن أيضا يشمل تغيير إدراكه للمتطلبات البيئية لتتلاءم مع احتياجاته¹.

وتركز النظرية الإدراكية على أهمية المعنى الذي يعطيه المتلقي للرسالة، ومن ثم فإننا إذا أردنا التنبؤ بتأثير رسالة ما تجاه فرد معين فلا بد أن نعرف كيف يدرك هذا الفرد الرسالة فعلى سبيل المثال يفترض (آش) 1984 أن المعنى الحقيقي لأي عبارة يتحدد من خلال قائلها . وقد لاحظ كل من (شريف) و(كانتريل) 1936-1945 في وصفهما لتأثير الإدراك على تغيير الاتجاه أن هناك نوعين من التأثير هما² :

- انتقائية الإدراك : وتتناول الجزء الذي يوليه الفرد اهتمامه من العالم الخارجي
- الإطار المرجعي : ويتناول العوامل المحيطة بالفرد والتي تؤثر على أحكامه .

تصنف نظرية الحكم الاجتماعي ، التي صاغها مظفر شريف و كارل هوفلاند عام 1961 كواحدة من أبرز النظريات الإدراكية في مجال التواصل و التأثير ، تنطلق من فرضية أساسية مفادها أن المتلقي لا يتعامل مع الرسائل الإقناعية بناءً على قوة الحجج والبراهين وحدها بل من خلال عملية مقارنة ذهنية . كما تفترض أن المتلقي في سعيه لتجديد الموقف الذي تتبناه الرسالة قد يخضع لمشتتات إدراكية يطلق عليها تأثيرات الاستيعاب والتباين³.

¹ أحمد يوسف ،الاعلام الجديد " المفهوم الوسائط و التأثيرات " (الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 2017)،ص102.

² سمير حسين محمد،مرجع سابق،ص65.

³ شيماء ذو الفقار زغيب ،"نظريات في تشكيل اتجاهات الرأي العام "(الدار المصرية اللبنانية ،القاهرة ، 2004) ص 26.

تتجسد المقاربة الإدراكية في سياق القضية الفلسطينية من خلال عملية إعادة الهيكلة المعرفية التي أصابت العقل الجمعي العالمي عقب أحداث طوفان الأقصى، فبعد عقود من الاستقرار الذهني القائم على سرديات أحادية الجانب، أحدث التدفق الرقمي الكثيف والمباشر للمعلومات حالة من التنافر المعرفي لدى المتلقي الدولي، مما أجبره على مراجعة قناعاته السابقة وتفكيك الصورة النمطية الموروثة عن الصراع. فيمكن القول أن هذا التحول الإدراكي لم يقتصر على استقبال الخبر بل امتد لعملية معالجة ذهنية عميقة حولت القضية من مجرد صراع حدودي بارد، إلى قضية تحرر وطني وأخلاقي. إذ ساهمت المشاهد الحية في كسر المرشحات الإدراكية التي فرضها الإعلام التقليدي لسنوات، مما أدى في النهاية إلى بناء خارطة إدراكية جديدة تضع الحق الفلسطيني في صدارة الوعي القيمي العالمي وتجعل من صورة الصمود والمعاناة، المرجعية الأولى لإصدار الأحكام السياسية والأخلاقية الدولية.

✓ نظرية ترتيب الأولويات¹:

يرتبط هذا الاتجاه بما يعرف "بالوظيفية التقريرية للإعلام"، والتي تتمحور حول دراسة الأثر الذي تتركه الوسائل الاتصالية في تشكيل مدركات الجمهور حول القضايا العامة. وقد تم تصنيف هذه العملية البحثية بحثيًا ضمن مدخل "وضع الأجندة"، والمقصود به قدرة التغطية الإعلامية على منح قضية أو مشكلة ما حيزًا من الأهمية والبروز كقضية اجتماعية ملحة. وتفترض هذه النظرية أنه حتى في حال عدم نجاح الإعلام في توجيه الناس "كيف يفكرون"، فإنه ينجح بفاعلية في توجيههم نحو القضايا التي يجب أن يفكروا فيها وبذلك تتشكل مدركات الجمهور حول ثقل وأهمية القضايا المختلفة بناءً على كثافة التركيز الذي تمنحه إياها الوسائل الإعلامية. وقد مرت دراسات الأجندة بمراحل تطويرية عديدة حيث ركز المستوى الأول (خلال الفترة من 1972 إلى 1992) على دراسة انتقال تراتبية أهمية الموضوعات من وسائل الإعلام إلى الجمهور. ليعقب ذلك المستوى الثاني الذي جاء كامتداد متكامل مع الأول مهتمًا بدراسة انتقال ترتيب أولويات العناصر والسمات في التغطية الإعلامية وكيفية تأثير ذلك على اهتمامات الجمهور ورتبتهم للأولويات. أما المرحلة الثالثة فقد اتجهت نحو دراسة صورة المرشحين السياسيين والاهتمام السياسي للناخبين كأجندة بديلة مع كشف الدور الذي تلعبه الاتجاهات والعوامل السيكلوجية في تشكيل تلك الأجندة وصولاً إلى المرحلة الرابعة والراهنة والتي تطرح سؤال جوهرياً حول

¹ جمال مجاهد، "الرأي العام وقياسه الاسس النظرية والمنهجية" (دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، 2010)، ص 220.

من يصنع أجندة الإعلام ؟ إذ تعنى بدراسة التأثيرات المحتملة لمصادر الأخبار و المعلومات في صياغة وترتيب أولويات الوسائل الإعلامية نفسها .

ولا ينبغي أن يفهم من هذه النظرية أنّ وسائل الإعلام قادرة على تغيير أو تعديل الاتجاهات، وإنما يقتصر دورها على العمل كقناة توصيل للمعلومات اللازمة لتكوين رأي حول موضوع معين. فوسائل الإعلام تعمل أساسا لنقل المعلومات عن الأحداث والأفكار والحركات الاجتماعية خارج حدود المعارف الشخصية لذا نتوقع من التغطية الإعلامية إلا تغير الكثير من المدركات عن مدى أهمية المشكلة على النطاق الشخصي، ولكن تُغير أكثر من المدركات عن تضميناتها الاجتماعية الأوسع أي "أهميتها العامة".¹ وقد نتج عن العديد من الدراسات التي أجريت في الربع الأخير من القرن العشرين، أن ترتيب الأولويات يتأثر بمجموعة من المتغيرات ترتبط في الغالب بالآتي²:

- طبيعة القضايا
- أهمية القضايا
- الخصائص الديموغرافية للجمهور
- الاتصال الشخصي المباشر وغير المباشر
- البعد الزمني (توقيت الإثارة و المدى الزمني لإحداثها)
- نوع الوسيلة

وقد أسفرت نظرية وضع الأجندة عن بعض النتائج أهمها³:

- تؤثر وسائل الإعلام في تركيز انتباه الجمهور نحو الاهتمام بموضوع ما، أو أحداث وقضايا بعينها فالجمهور لا يعلم من وسائل الإعلام عن طريق هذه الموضوعات فقط بل يعرف كذلك ترتيب أهميتها من خلال كم المعلومات وموقعها من الصحيفة .
- تنتقل أجندة ترتيب الأولويات من وسائل الإعلام إلى الجمهور
- أجندة وسائل الإعلام تبني وترتب أجندة الجمهور، و هناك علاقة ارتباطية إيجابية قوية بين أهمية الموضوع في وسائل الإعلام و أهميته لدى الجمهور والرأي العام .
- بناء وترتيب أجندة أولويات الرأي العام وتوجيه اهتماماته وظيفة تضاف إلى وظائف وسائل الإعلام .

¹ جمال مجاهد ، مرجع سابق ،ص219-220.

² زهير عبد اللطيف عابد، "الرأي العام و طرق قياسه" (دار البازوري العلمية للنشر والتوزيع ،دت، عمان) ص 170-171.

³ جمال مجاهد، مرجع سابق،ص 221.

- أجندة وسائل الإعلام تحدد الرأي العام بما يفكر فيه .
- هناك من الدلالات ما يؤكد دور أجندة وسائل الإعلام في التأثير على قرارات و أحكام وتقديرات صناع السياسة .

إن ترتيب أولويات -وضع أجندة- كوظيفة تأثيرية لوسائل الإعلام ، تتمثل عمليا في كونها نصيرا أكبر في صنع الثقافة السياسية للجمهور حيث أنها ترتبط بين تصور إدراك الناس للواقع السياسي وبين الاهتمامات السياسية اليومية بالإضافة إلى الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في الحياة الاجتماعية من خلال ما تحققه من إجماع حول بعض القضايا و الاهتمامات عند الجمهور والتي يمكن أن تترجم فيما بعد باعتبارها رأيا عاما .

لا تكتمل القيمة العلمية لنظرية ترتيب الأولويات إلا بإسقاط مفاهيمها على المشهد الدولي الراهن حيث يمكن التماس دور الأجندة الرقمية في إعادة صياغة الموقف العالمي تجاه القضية الفلسطينية وفق :

- استعادة المبادرة في صنع الأجندة :

إذا كانت المرحلة الرابعة تسأل من يصنع أجندة الإعلام فقد أثبت طوفان الأقصى أن الميدان الرقمي نجح في انتزاع سلطة وضع الأجندة من المؤسسات الغربية التقليدية فلم يعد البيت الأبيض أو CNN هما من يقرران ما هو المهم بل فرضت عدسة المقاتل و صرخة الضحايا في غزة نفسها كأولوية عالمية أجبرت الجميع على الانشغال بها.

- نقل القضية من الهامش إلى المركز :

نجحت التغطية المكثفة في تحويل القضية الفلسطينية من ملف سياسي بارد مكون في رفوف الأمم المتحدة إلى قضية اجتماعية ملحة تتصدر نقاشات العائلات و الطلبة في أمريكا و أوروبا هذا الانتقال من النطاق الشخصي إلى الأهمية العامة و هو جوهر نجاح الأجندة حيث أصبح الفرد العالمي يشعر أن ما يحدث في غزة يمسه أخلاقيا و سياسيا

- كسر تراتبية الاهتمامات الدولية :

قامت أحداث طوفان الأقصى بعملية إزاحة كبرى ، فبعد أن كانت الحرب الأوكرانية أو الأزمات الاقتصادية هي من يحدد أجندة العالم، تراجعت كل الملفات لصالح الملف الفلسطيني مما يثبت قدرة الأحداث الصادمة المدعومة بزخم رقمي على إعادة ترتيب أولويات العالم رغمًا عن إرادة القوى المهيمنة .

✓ نظرية دوامة الصمت :

تشير معظم الدراسات والأدبيات الخاصة بدراسات تشكيل الرأي العام إلى أن نظرية دوامة الصمت تعد من أكثر النظريات العلمية شمولية في تقديمها كنظرية حيوية وديناميكية توضح عملية تكوين الرأي العام . وترجع هذه النظرية إلى الباحثة الألمانية (إليزابيث نوبل نيومان) . إذ تقوم هذه النظرية على فرض رئيسي محتواه أن وسائل الإعلام حيثما تتبنى اتجاهًا ثابتًا ومتسقًا من إحدى القضايا لبعض الوقت فإن الرأي العام يتحرك في اتجاه وسائل الإعلام نفسها . حيث تفسر نيومان حدوث تأثير وسائل الإعلام بهذا الشكل في ضوء سعي الأفراد إلى القبول الاجتماعي، وخشيتهم من العزلة الاجتماعية، فإذا ما اعتقد الأفراد أن آرائهم الشخصية تتفق مع آرائهم الأغلبية في المجتمع، فالأكثر احتمالًا أن يعبر الأفراد عن آرائهم علنية، مقابل ذلك تقل احتمالات تعبير الأفراد عن آرائهم في حالة إدراكهم أن آرائهم لا تتفق مع رأي الأغلبية في المجتمع¹ .

وتفترض نيومان أن أفراد الجمهور في سعيهم نحو معرفة الاتجاهات السائدة في المجتمع اتجاه قضايا مختلفة، يعتمدون بشكل رئيسي على متابعة رسائل الإعلام في تقييمهم لمناخ الرأي السائد. وفي تحد لنظرية الإدراك الانتقائي والتي تحد من تأثيرات وسائل الاتصال، ذكرت نوبل أن الحياة الواقعية تختلف عن الدراسات التي يتم التحكم فيها في المعمل إذ بينت نتائج دراستها التي أجرتها على المدى الزمني الطويل أن تأثيرات وسائل الاتصال تزيد إلى الحد الذي يجعل عملية الإدراك الانتقائي صعبة² .

من جهة أخرى، يقدم كاتز كيفية حدوث دوامة الصمت في الواقع العملي لتشكيل الرأي العام تجاه القضايا المثارة ، وذلك من خلال مجموعة من الافتراضات والعناصر الفرعية³ :

- كل فرد من أفراد المجتمع لديه رأي .
- لاعتبارات تتصل بالخوف من العزلة الاجتماعية، فمن غير المتوقع أن يعبر هؤلاء الأفراد عن آرائهم إذ ما أدركوا أنهم غير مؤيدين من الآخرين .

¹ زهير عبد اللطيف عابد ، مرجع سابق ، 178.

² المرجع نفسه ، 179.

³ المرجع نفسه ، 180-181.

- يوظف الأفراد طرقاً إحصائية ظاهرية لفحص البيئة المحيطة و مسحها، بحثاً من علاقات التأييد
 - تشكل وسائل الإعلام المصدر الرئيسي للحصول على المعلومات لبعض الأفراد حول توزيع الآراء في المجتمع ومن ثم حول مناخ التأييد أو عدم التأييد ولكن من غير المعروف مدى الأهمية النسبية لهذه الجماعات .
 - يتجه حديث وسائل الإعلام نحو خطاب اتصالي أحادي الاتجاه وغالباً ما يكون في الرأي المسيطر أو بمفهوم آخر تسيطر وجهة نظر واحدة على أداء وسائل الإعلام .
 - تتجه وسائل الإعلام نحو تحريف وتوزيع الآراء في المجتمع، ويتأثر هذا التحريف بوجهات نظر الإعلاميين أنفسهم .
 - حينما يدرك الأفراد أن آرائهم لا تحظى بالتأييد من جانب الآخرين ، فإنهم سوف يفقدون الثقة و ينسحبون من المناقشات العامة الجماهيرية ويؤثرون بالصمت ، إلا أنهم لا يغيرون من آرائهم الذاتية في الغالب .
 - يترتب على ذلك السيطرة على المجتمع وسلب قوته و خاصة في غالب الحوار .
- ومنه، تبعاً لهذه النظرية نجد أن الناس الذين يفهمون من التقارير الإعلامية أن اتجاهات الرأي تسير عكس وجهات نظرهم، سوف يحجمون عن التعبير عن آرائهم بخوفهم من العزلة الاجتماعية و التي تعتبر القوة الدافعية الأولية فيما بين الأفراد التي تبرر عدم الرغبة في التعبير عن الآراء عندما يكون الأفراد في جانب الأقلية، لذا و حتى إذا كان هؤلاء الأشخاص يشكلون أغلبية عددية، فإن الفشل في توصيل رؤيتهم إلى تقوية المعارضة، يخلق حلزون الصمت¹.
- يمكن توظيف نظرية دوامة الصمت في سياق طوفان الأقصى وذلك من خلال تحليل كيف سعى الإعلام الغربي في بداية الأزمة إلى فرض اتجاه ثابت وموحد يتبنى الرواية الصهيونية حصراً، مما خلق مناخاً عاماً يدفع الأفراد المؤيدين للقضية الفلسطينية إلى الصمت خشية أن يتعرضوا للعزلة الاجتماعية أو حتى النبذ . وبموجب افتراضات نيومان فإن سيطرة وجهة نظر واحدة على أداء وسائل الإعلام أدت إلى تحريف توزيع الرأي الحقيقي . وجعلت الأفراد الذين يدركون أن آرائهم لا تحظى بالتأييد ينسحبون من المناقشات العامة و يفقدون الثقة في التعبير عن مواقفهم . ومع ذلك فإن تدفق السردية الفلسطينية من المسافة صفر كسر هذا الحلزون من خلال توفر بيئة رقمية بديلة قللت من حدة

¹ جمال مجاهد ، مرجع سابق ، 224.

الإدراك الانتقائي وشجعت الأغلبية الصامتة على التعبير عن آرائهم علانية . مما حول دوامة الصمت إلى حراك عالمي فاعل .

يقودنا استعراض الأطر التفسيرية السابقة الذكر إلى برهنة ، أن الرأي العام لا يتوقف عند حدود الاقتناع اللحظي وحسب، بل يمتد ليتراكم ويتحول إلى تمثيلات ذهنية مستقرة تجاه الأطراف الفاعلة في الأزمات وهي النتيجة التي تتجسد عمليا في بناء الصورة الذهنية الدولية التي تعمل كقالب معرفي يحكم على عدالة القضايا وتوجهات الروايات المتصارعة .

• المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الدِّبْلُومَاسِيَّةُ الرَّقْمِيَّةُ وَصِنَاعَةُ الصُّورَةِ الذِّهْنِيَّةِ الدَّوْلِيَّةِ :

تعد الدبلوماسية الرقمية في جوهرها الأداة الاتصالية الأكثر فاعلية التي تستخدمها الدول والفاعلون في الفضاء السيبراني لتحقيق مآرب الحرب النفسية، فهي تتجاوز مجرد وسيلة للتمثيل السياسي، لتتحول إلى منصة عمليات إدراكية تستهدف صياغة وتوجيه الصورة الذهنية لدى الجمهور العالمي. لذلك فإن اعتبار الدبلوماسية الرقمية أداة ضمن هذا الصراع يعني أنها الوسيلة التي يتم من خلالها تمرير السرديات وحشد التأييد الكوني وحتى ممارسة الضغط النفسي على الخصم عبر كشف رواياته وتفنيدها أمام الرأي العام وبذلك تصبح مخرجات هذه الأداة أي الصورة الذهنية المتشكلة هي السلاح الحاسم في كسب شرعية المعركة أو فقدانها .

الدبلوماسية بمعناها العام تعني فن وعلم إدارة العلاقات والتمثيل و المفاوضة فقد عرفها هنري كيسنجر على أنها " تكييف الاختلافات من خلال المفاوضات " ¹ وعليه فإن الدبلوماسية هي مجموع القنوات والمؤسسات الموظفة من طرف الدولة نفسها أو طاقمها الدبلوماسي لتحقيق أهداف السياسة الخارجية . إلى أنه وبسبب التحولات التي أحدثتها الثورة المعلوماتية دفعت إلى إعادة تعريف الدبلوماسية حيث ذهب جوردن سميث إلى تعريفها بأنها " فن التقدم و الحفاظ على المصالح القومية من خلال تبادل المعلومات بين الحكومة و الدول الأخرى " وعليه فالدبلوماسية الرقمية هي من الأشكال الجديدة المتمخضة عن تطور تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ، مكملةً للدبلوماسية التقليدية ويمكن تعريفها عملية توظيف الانترنت وتكنولوجيا الاتصال الحديثة للتواصل مع جمهور خارجي بهدف خلق بيئة تمكين للسياسة الخارجية لبلد ما ².

¹ علاء ابو عامر، الوظيفة الدبلوماسية: نشأتها مؤسساتها قواعدها قوانينها (دار الشروق للنشر و التوزيع الاردن ، 2001) ، 21.
² ساعد طيايية، الدبلوماسية العامة ... قوة ناعمة جديدة (مجلة الاستاذ الباحث للدراسات القانونية و السياسية ، مجلد 1 العدد 3 ، ديسمبر 2017) ص 87.

يعرفها كل من كورنيليو جولا وماركوس هوكمس في كتاب الدبلوماسية الرقمية والنظرية والممارسة : هي شكل من أشكال الدبلوماسية العامة كما تنطوي على استخدام التكنولوجيات الرقمية ومنصات وسائل الإعلام الاجتماعية مثل التويتر والفيسبوك واليوتيوب من قبل الدول للتواصل مع الجمهور الأجنبي بطريقة غير مكلفة"¹

ويؤكد الجميع أن الدبلوماسية الرقمية هي امتداد وتطور في العمل الدبلوماسي وليست بديلا على الدبلوماسية التقليدية لأنها لا تحل محلها أو تلغيها بل تتعايش و تتكامل معها. بحيث تستطيع أن تساعد في عرض مواقف السياسة الخارجية للرأي العام المحلي و الأجنبي . وعلى هذا النحو، تعتبر كل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية من أوائل الدول في العالم التي اعتمدت النمط الجديد من الدبلوماسية فمثلا في عام 2016 احتلت بريطانيا المركز الأول عالميا من خلال جهود الدبلوماسية الرقمية للوزارة الخارجية البريطانية تلتها فرنسا ثم الولايات المتحدة الأمريكية².

هذه الأخيرة تتميز بجملة من المميزات نذكر أهمها³:

- المركزية و اللامركزية : عن طريق تخفيف العبء عن الجهاز البيروقراطي و تقليص التكاليف إلى جانب توفير قنوات اتصال أكثر سهولة داخل المؤسسات بما يسهم رفع مستوى الكفاءة والفعالية .
- التفتح و الاندماج : من خلال إنشاء روابط الكترونية افتراضية بين مختلف المجتمعات ، الأمر الذي يعزز فرص التفاعل و يسهم في التعبير عن الهوية الذاتية
- الشفافية : حيث تساهم في إحداث نوع من الانكشاف العالمي و تشجع على بناء التكتلات والتحالفات حول القضايا الدولية
- التعبئة : من خلال دعم عملية اتخاذ القرار عبر تحقيق التوازن بين تدفق المعلومات و الحاجة إلى التوجيه السليم
- السرعة : تتميز الدبلوماسية الرقمية بقدرتها على تجاوز قيود الزمان و المكان و الحدود الجغرافية وهو ما ينعكس إيجابا على تسريع وتيرة احتواء الصراعات وتعزيز التدخل الإنساني .

¹ وائل عبد العال ،الدبلوماسية الرقمية و مكانتها في الخارجية الفلسطينية ،بحث مقدم الى جامعة بيرزنت(مركز تطوير الاعلام 2018)

ص 9.

² صالح سليمان، وسائل الاعلام و الدبلوماسية العامة،(دار الفكر ، القاهرة ،2015) ص 20

³ الياقوت عرعار، آفاق الدبلوماسية الرقمية،(ملتقى وطني حول الدبلوماسية الرقمية ، جامعة غرداية . د ت) ،5.

✓ - الافتراضية: عن طريق استخدام الوسائط التكنولوجية حيث تصبح الدبلوماسية الافتراضية امتداد حقيقيا للدبلوماسية التقليدية وقد تظهر في هذا السياق مفهوم الدبلوماسية الضخمة الذي يعبر عن شبكة تفاعلات سريعة تضم الفاعلين الرسميين وغير الرسميين.

وانطلاقا مما سبق، فإن الدبلوماسية الرقمية ليست مجرد أداة تكنولوجية لتسهيل التواصل بين الفاعلين الدوليين بل الأمر يتجاوز ذلك لتصبح وسيلة استراتيجية لإدارة الانطباعات و التأثير في الرأي العام العالمي ، ففي ظل التحول الرقمي و تسارع تدفق المعلومات أصبحت الدول تعتمد بشكل متزايد على الفضاء الرقمي من اجل بناء صورة ذهنية ايجابية عنها لدى الجماهير الدولية، وعليه يبرز مفهوم "الصورة الذهنية" كأحد المخرجات الأساسية للممارسة الدبلوماسية الرقمية باعتبارها تعكس كيفية إدراك الدول و تمثيلها في الوعي العالمي .

✓ مفهوم الصورة الذهنية :

تعود الجذور التاريخية لمصطلح الصورة الذهنية إلى عمق النصف الثاني من القرن العشرين حيث برز كأداة محورية في مجال العلاقات العامة و الاتصال المؤسسي في الولايات المتحدة الأمريكية . فكان لصدور مؤلف " تطوير صورة المنشأة " Developing the corporate image للكاتب " لي بريستل " Lee Bristel عام 1960 أثر بالغ في تعميم هذا المفهوم و تداوله بين أوساط الفاعلين في الميادين التجارية و السياسية والإعلامية على حد سواء . وقد شهد المصطلح نضجاً أكاديميا لافتا في سياق العلاقات الدولية عام 1965 بصدور كتاب السلوك الدولي International Behavior ل هيربرت كيلمان ومجموعته البحثية الذين قدموا رؤية نفسية-اجتماعية عميقة لدور الصورة في التفاعلات الدوليّة والسياسية¹.

وفي سياق متصل ركزت الدراسات الإعلامية والسياسية اهتماماتها على صورة القيادات محللة العلاقة التبادلية بين كاريزما القائد وانطباعات الشعوب فمن جهة تُدرس الصورة التي ينتهي إليها الشعب ومن جهة أخرى يرصد أثر هذه الصورة في توجيه السلوك الجماهيري، وانطلاقا من هذا الدور تضاعف حرص الحكومات الديمقراطية على استمالة الجمهور و كسب تأييده لكونه القوة الفاعلة التي تضمن بقاء السياسات أو زوالها الأمر الذي أدى إلى تشابك المصالح والاتجاهات مع تعاظم قوة الرأي

¹ علي عوجة، "العلاقات العامة و الصورة الذهنية" (عالم الكتب ، ط3، القاهرة ، 1999) ، ص3.

العام وهكذا أضحت هناك حاجة ماسة لفهم الدوافع الإنسانية ومطالب الجماعات كجزء أساسي من العملية الإقناعية والإدارة اليومية للمنظمات بمختلف قطاعاتها .

كما امتدت الأبحاث الإعلامية لتشريح صورة المجتمع ككل سواء عبر ما ترسخه وسائل الاتصال الجماهيري من انطباعات تجاه النخب والقيادات، أو من خلال رصد ردود أفعال الجمهور تجاه القضايا العامة، إذ يختزل هذا المفهوم في جوهره دلالات قيمية وإيحاءات رمزية تتراوح بين السلب والإيجاب وذلك تبعاً للمرجعية الفكرية والمنظومة القيمية السائدة. فالفرد وفي إطار سعيه لتحقيق مصالحه يجد نفسه أمام مسارين في التنظيم الاجتماعي إما الانصياع للنمط السائد و تحقيق الامتثال الاجتماعي أو الخروج عن القواعد الضابطة وهو ما يقود في النهاية إلى ما يصطلح عليه بظاهرة " التعلل الإعلامي"¹.

الصورة مصطلح مشتق من كلمة لاتينية تعني محاكاة Imitation ومعظم الاستخدامات السيكلولوجية القديمة والحديثة لهذا المصطلح تدور حول نفس المعنى ومن ثم توجد معانٍ متقاربة مترادفة مع هذا المعنى في مجال الاستخدامات السيكلولوجية مثل النسخة. إعادة الصورة الأخرى ولهذا وجب التركيز على فهمها والإحاطة بأهم معانيها².

يعرف قاموس "ويبستر" الصورة الذهنية في طبيعته الثالثة بأنها : مفهوم عقلي شائع بين أفراد جماعة معينة يشير إلى اتجاه هذه الجماعة الأساسي نحو شخص معين أو نظام ما أو طبقة بعينها أو فلسفة سياسية أو قومية معينة أو أي شخص آخر، أي الصورة التي ترسم للآخر وإن كان فيه إغفال لعوامل رسم هذه الصورة ثم النمط الذي تتخذه³

ويرى كينيث بلدينج في كتابه الرائد "الصورة" أن الصورة الذهنية تتكون من تفاعل معرفة الإنسان بعدة عوامل منها : المكان الذي يحيا فيه الفرد، موقعه من العالم الخارجي، العلاقات الشخصية وروابط الأسرة والزمان و المعلومات التاريخية والاجتماعية التي يحصل عليها⁴.

أما Grand Larousse Universal تعرفها : الرمز أو التمثيل المادي لحقيقة غير مرئية وتصور ذهني تكون انطلاقاً من إدراك سابق والرؤية الداخلية المرتبطة بالذاكرة والمشاعر التي لدينا عن كائن أو عن شيء ما.⁵

¹ المصدر نفسه، 03

² شاكر عبد الحميد ، علم نفس الابداع (دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع ، مصر ، 1995)، ص223.

³ علي عوجة ، مرجع سابق ، ص04 .

⁴ عاطف عدلي العيد ، "الاتصال و الرأي العام" (دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1993) ، ص268.

⁵ علي عوجة ، مرجع سابق ، ص05

لقد تعددت مدلولات وتعريفات الصورة الذهنية، وإن كان ما تقدم يمس جانباً معيناً دون الإلمام الشامل حيث نخلص أخيراً إلى تعريف نتبناه مفهومًا إجرائيًا وهو التقديم الذي قدمه علي عوجة حول الصورة الذهنية على أنها : الناتج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد أو الجماعات إزاء شخص معين أو نظام معين أو منظمة محلية أو دولية أو أي شيء آخر يمكن أن يكون له تأثير على حياة الإنسان وتتكون هذه الانطباعات من خلال التجارب المباشرة وغير المباشرة كما ترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم بغض النظر عن صحة المعلومات التي تتضمنها وهي تمثل بالنسبة لأصحابها واقعاً صادقاً ينظرون من خلاله إلى ما حولهم ويفهمونه أو يقدرونه على أساسها . ولقد أصبحت اليوم وسائل الإعلام من أهم أدوات تكوين وبناء الصورة الذهنية¹ .

لا تقتصر الصورة الذهنية على الانطباعات الفردية فحسب بل تمتد لتشكل ركيزة أساسية في القوة الناعمة للدول وعلاقاتها الدولية فالعالم اليوم لا يتعامل مع الدول بناءً على جغرافيتها فقط بل أيضاً استناداً على الصورة المخزنة عنها في العقل الجمعي العالمي وتتحدد هذه الصورة الدولية من خلال الأبعاد التالية² :

- البعد القيمي و الأخلاقي :

إذ يعكس مدى التزام الدولة أو القضية بالمنظومة القيمية العالمية (حقوق الإنسان، الديمقراطية، العدالة) فالدولة التي تسوق لنفسها كراعية للقيم تكتسب رصيداً إدراكياً إيجابياً والعكس صحيح .

- البعد الإعلامي و الرقمي :

ففي ظل دبلوماسية الشاشة أصبحت الصورة الدولية تُصنع في الفضاءات المفتوحة فلم يعد كافياً في أن تكون الدولة محقة بل يجب أن تمتلك القدرة على إدارة السمعة وتسويق سرديتها أمام العام العالمي الذي بات شريكاً في الحكم على شرعية السياسات .

- الثبات و التغير في الصورة :

كون الصورة الدولية تتميز بالبناء التراكمي فحتماً يصعب تغييره بسرعة إلا في حالات الأزمات الكبرى أو الأحداث الصادمة حيث تعمل الحروب أو الثورات كمحفز لإعادة تقييم الصورة القديمة إما بتعزيزها أو انهيارها التام لتبدأ عملية بناء صورة بديلة .

¹ المصدر نفسه ، 20٠

² المصدر نفسه ، ص 30.

تستوجب الدبلوماسية الرقمية لبناء صورة ذهنية والتأثير بواسطتها على الجماهير الخارجية مجموعة من المقومات نذكر منها¹:

✓ القدرة على الإبداع والابتكار : كان للقفزة النوعية في وسائل الاتصال والانترنت دورا كبيرا في بروز جيل جديد من الدبلوماسيين الذين يتطلب إعدادهم، تدريباً نوعياً يركز على المبادرة والابتكار، فلم تعد الدبلوماسية الرقمية مجرد أداء روتيني ينفذ الاملاءات إنما غدت في حاجة ماسة إلى فكرة ابتكارية تستطيع استيعاب ومواكبة التحديات الراهنة للسياسة الخارجية وقد افرز هذا الواقع مفاهيم مستحدثة لعل أهمها مفهوم " المبتكرون الدبلوماسيون The Leading innovators in diplomacy " حيث خلص مؤتمر مالطا عام 2012 إلى أن الابتكار يستلزم امتلاك رؤية ثقافية معمقة وفهما دقيقا للتحولات الدولية، مع القدرة على توظيف الفرص المتاحة فالدبلوماسي التقليدي الذي يتقيد بالتعليمات الصارمة والروتين المؤسسي الجامد يفتقر للمرونة اللازمة لمواجهة المتغيرات العالمية المتسارعة عبر أفكار إبداعية وهذا ما عززه مؤتمر مالطا 2012 بترسيخ مفهوم الثقافة الدبلوماسية الابتكارية القائمة على النظم الاتصالية الحديثة ذات الطابع غير رسمي .

✓ البحث العلمي : وذلك كونه يساهم في تطوير قدراتهم على بناء علاقات دولية تقوم على استغلال المعطيات الثقافية وفهم المزاج العام للشعب .

✓ المشاركة : باعتماد مبدأ " ثقافة المشاركة " حيث أن الدور الدبلوماسي لم يعد محصوراً في المحترفين الذين تدربوا على الطرق الرسمية التقليدية فاليوم أصبح بإمكان أي فرد أن يمارس دوراً دبلوماسياً وذلك بفضل الانفتاح الرقمي الذي يركز على الحوار والتفاعل .

✓ المواطن الدبلوماسي: تعتبر الدبلوماسية الرقمية المواطن عنصراً أساسياً في بناء صورة الدولة وتحسينها لدى الشعوب الأخرى وتشمل دبلوماسية المواطن كل الأنشطة التي يقوم بها الأفراد لتقوية الروابط المجتمعية وتحقيق أهداف الدولة العامة .

تعد الصورة الذهنية الدولية للقضية الفلسطينية نموذجاً حياً لصراع السرديات في الفضاء العالمي، فبشكل عام عانت هذه الصورة لعقود من محاولات " النمطية الاختزالية " التي فرضتها الهيمنة الإعلامية التقليدية. حيث حُصرت القضية طويلاً في إطار الأزمة الإنسانية أو النزاع الحدودي المعتمد على لغة الأرقام الصماء مع محاولات مستمرة لربط الهوية الفلسطينية بمفاهيم العنف وتغيب السياق

¹ عائشة بوعشبية ، خبرة وفي ، مرجع سابق ، 33.

التاريخي للاحتلال مما جعل المدركات الدولية تتسم بنوع من الجمود الإدراكي الذي يميل لتصديق الرواية الصهيونية بوصفها واحة للديمقراطية وسط محيط مضطرب.

إلا أن أحداث طوفان الأقصى "7 أكتوبر 2023" مثلت زلزالاً صوريا أعاد هندسة هذه المدركات بشكل خاص وغير مسبوق حيث انتقلت القضية من هامش الاهتمام الدولي إلى قلب الوعي القيمي الكوني فقد ساهم التدفق الرقمي الكثيف والمباشر في أنسنة القضية وتحول الفلسطيني في الوعي العالمي من مجرد ضحية سلبية أو رقم في نشرة الأخبار إلى إنسان صاحب حق تاريخي يمارس صموداً أسطورياً مما أدى إلى تشكل صورة ذهنية دولية جديدة تضع الحق الفلسطيني كقضية تحرر وطني وأخلاقي تتجاوز حدود الجغرافيا وأصبحت الكوفية والرموز الفلسطينية أيقونات عالمية للحربة والعدالة لدى شعوب العالم وخاصة فئة الشباب والطلبة في أكبر الجامعات الدولية.

وفي خضم هذا التحول الإستراتيجي، برزت معركة التضليل الإعلامي الغربي كأداة أخيرة لمحاولة حماية الصورة الذهنية القديمة للكيان و تشويه الرواية الفلسطينية الصاعدة، حيث شهدت التغطية الإعلامية الصهيونية والغربية لعملية طوفان الأقصى حملة واسعة من التضليل الممنهج إذ سعت المنابر الإعلامية العبرية والأمريكية والأوروبية إلى وسم المقاومة الفلسطينية بالإرهاب متجاهلة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في الدفاع عن نفسه وتقرير مصيره و حماية بقائه فوق أرضه لذا فيما يلي تفكيك لكيفية تعاطي الوسائل الإعلامية مع هذا الحدث :

- الإعلام العبري¹ :

تبنت الصحافة العبرية خطاباً يمزج بين التحذير من الإخفاق العسكري وبين محاولة رفع الروح المعنوية فعلى سبيل المثال ذهبت صحيفة معاريف الإسرائيلية إلى التأكيد بأن شبح الفشل لا يزال يطارد الاحتلال في حربه على غزة خاصة في ظل تعدد الجبهات المفتوحة التي استنزفت قدرات الجيش الصهيوني وأنهكت قواه، وقد شددت الصحيفة أن تحقيق النصر لا يرتبط حصراً بتفكيك البنية العسكرية لحركة حماس في رفح، غير أن هذا الواقع الميداني كشف زيف ادعاءات رئيس الحكومة ووزرائه الذين اعتبروا احتلال رفح صخرة وجود الكيان معتبرة بذلك تلك التصريحات ترهات لا تقلل من حجم

¹ الإعلام الإسرائيلي : إسرائيل لا تفهم حماس و طوفان الأقصى اشبه بهجمات سبتمبر 2023، على الرابط : <https://www.aljazeera.net/news/2023/10/8/%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%B1%D9%8A-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D9%84%D8%A7-%D8%AA%D9%81%D9%87%D9%85-%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%B3> تاريخ الإطلاع : 2026/04/05.

التحديات الوجودية التي تشكلها الجهات الأخرى وفي سياق رصدتها لميزان القوى أوردت الصحيفة أن الكيان الصهيوني بات تواجه القتال على سبع جهات مختلفة وهي : غزة ، الضفة الغربية ، حزب الله ، لبنان ، سوريا ، العراق واليمن ، بالإضافة إلى المواجهة المباشرة مع إيران وقد خلصت الصحيفة إلى تحذير شديد اللهجة مفاده أن هذه الجهات السبع ستلازم الكيان الصهيوني لسنوات طويلة مما سيجبرها على إعادة النظر كلياً في بنيتها العسكرية ومكانتها الإقليمية في المنطقة . وتأسيساً على ما سبق يمكن القول أن ثمة تحولاً لافتاً قد أصاب الرأي العام الصهيوني حيث بدأت تتشكل صورة ذهنية مغايرة تعترف بأن الصراع الراهن لا يمكن حسمه عسكرياً في ظل تعدد جهات القتال.

- الإعلام الأمريكي " سكاي نيوز " ¹ :

لم يكن الإعلام الأمريكي بمنأى عن أجندة التضليل ، حيث تدفقت كميات هائلة من المعلومات الزائفة و المضللة حول معركة طوفان الأقصى مستندة بشكل أساسي على الرواية الإسرائيلية التي روجت لها الماكينة الدعائية الصهيونية و تلقفتها اكبر الشبكات الغربية و نشرتها دون أدنى تدقيق أو تمحيص . وتعد شبكة سكاي نيوز الأمريكية نموذجاً صارخاً لهذا الانحياز إذ سخرت منصاتها لتلميع صورة الاحتلال وتبني أخباره في مقابل تهميش كامل للسردية الفلسطينية التي غابت عن التغطية أو حصرت في زوايا ضيقة و نادرة لا تعكس حقيقة ما يجري على الأرض.

إن ملامح الانحياز في سكاي نيوز لم تتوقف عند جحيم التغطية فحسب بل امتدت لتشمل لغة المصطلحات وصياغة العناوين حيث عمدت الشبكة في كثير من الأحيان على التلاعب بالألفاظ لتفادي تسليط الضوء على فظاعة المجزرة المرتكبة. وعليه يتضح جلياً أن الدعم الأمريكي للكيان الصهيوني تجاوز المستويات العسكرية و السياسية ليصبح دعماً إعلامياً استراتيجياً يهدف لترسيخ وجود الاحتلال .

- الإعلام البريطاني " صحيفة الغارديان " ² :

كشفت أحداث طوفان الأقصى على زيف شعارات حرية التعبير في الإعلام البريطاني حيث مارست صحيفة الغارديان قمعاً فكرياً علناً برفضها تجديد عقد الرسام الكاريكاتيري الشهير " ستيف بيل " بعد

¹ عبد الرحمن ابو العلا ، لا شيء يعلو فوق شيطنة المقاومة ، 2023 ، على الرابط : www.aljazeera.net/news/2023/10/19/860 تاريخ الإطلاع : 2026/04/05 .

² كيف تشارك وسائل الاعلام البريطانية في تبرير العدوان الاسرائيلي على غزة ، 23/1/2023 ، على الرابط : <https://arabicpost.net/%D8%AA%D8%AD%D9%84%D9%8A%D9%84%D8%A7%D8%AA/2023/10/31/%D9%88%D8%B3%D8%A7%D8%A6%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-8%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B1%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9/> تاريخ الإطلاع : 2026/04/05 .

مسيرة 40 عاماً وذلك لمجرد رسمه كاريكاتيراً ينتقد سياسات نتياهاو تجاه قطاع غزة وهو ما اعتبره الصهيونية العالمية معاداة للسامية. فلم يتوقف انحياز الصحيفة عند هذا الحد بل ساهمت في شرعنة المجازر ضد المدنيين عبر تبني ادعاءات مضللة تروج لوجود شبكة أنفاق معقدة تحت الأحياء السكنية والمرافق العامة، زاعمةً أنها تستخدم لتخزين الأسلحة و إيواء القيادات . مما صعب من عملية تحديد المواقع بدقة وبرر استهداف المناطق المكتظة بالسكان، إن هذا السلوك يثبت أن الإعلام الغربي ليس مجرد ناقل للخبر بل شريكاً في صياغة صورة مغلوطة تخدم المصالح الصهيونية و تستهدف طمس الهوية والحقوق الفلسطينية.

إن استقراء هذه النماذج الإعلامية الثلاثة يكشف عن إستراتيجية الهيمنة على الإدراك التي يمارسها الإعلام الغربي و الصهيوني فالمسألة لم تكن مجرد تغطية إخبارية بل عملية هندسة اجتماعية تهدف إلى قولبة الوعي العالمي ضمن أطر سردية محددة مسبقاً، وبذلك أصبحت الصورة الذهنية هنا ليست مجرد انعكاس للواقع بل أداة جيوسياسية استخدمت بذكاء لتطويع المواقف الدولية و صناعة رأي عام يتماشى مع المصالح الإستراتيجية للقوى المهيمنة وهو ما يفسر حدة التضيق على أي صوت يخرج عن هذا الإجماع.

بناءً على ما تقدم فإن استقرار الصورة الذهنية في الوعي الجمعي العالمي لا يشكل نهاية المطاف في الصراعات الدولية ، بل يمثل المنطلق الذي تتأسس عليه عمليات التأثير العميق في الروح المعنوية للأمم، حيث تتحول هذه الانطباعات إلى ميدان خصب لممارسات أكثر تعقيداً تستهدف تقويض إرادة الخصم وتوجيه عواطف الجماهير وفق استراتيجيات تتجاوز الأساليب التقليدية للمواجهة . وهي الاستراتيجيات التي تجد الدبلوماسية الرقمية وسيلتها الأبرز لرسم هذه الصورة وتصديرها، الأمر الذي يفرض علينا ضرورة الانتقال إلى تشرح الآليات العملية التي تدار بها هذه المواجهات وهو ما سنتناوله بالتفصيل في المبحث القادم عبر رصد آليات الحرب النفسية الرقمية و تحديات البيئة السبرانية.

❖ المبحث الثالث: آليات الحرب النفسية الرقمية وتحديات البيئة السيبرانية :

لم تعد الحرب النفسية في العصر الراهن حبيسة المناشير الورقية أو خطابات الإذاعية الموجهة بل انتقلت إلى فضاء سيبراني مفتوح لا يعترف بالحدود الجغرافية أو السيادة الوطنية ، لذا فإن الحرب النفسية الرقمية تمثل الجيل المتطور من الصراع المعرفي حيث تعرف أنها الاستخدام الاستراتيجي والممنهج للوسائل الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي للتلاعب بإدراك الجماهير وصياغة ميولهم و تفتيت تماسكهم النفسي

عبر تدفقات معلوماتية فائقة السرعة. كما يمكن تعريف الحرب النفسية الرقمية على أنها، استخدام جميع الوسائل الدعائية و غير الدعائية في خطاب المنصات الإعلامية الصادرة عن الدول من خلال مواقع التواصل الاجتماعي للتأثير على معنويات الشعب وإرادته و اتجاهاته و معتقداته وأساليب تفكيره و أنماط سلوكه من خلال تضمين أساليب الحرب النفسية مثل التضليل الإعلامي ونشر الشائعات فبركة الأخبار والصور ومقاطع الفيديو وحتى التحريض وخلق حالة من التشكيك بين المواطنين ومؤسسات الدولة... الخ

تتميز هذه الحرب في البيئة الرقمية بمجموعة من الخصائص التي تمنحها فاعلية استثنائية، فهي تتسم بالآنية والسرعة الفائقة في نقل الشائعات و تفتيت الوعي الجمعي قبل تمكن الجهات الرسمية من الرد، كما تتميز بتجاوز الحدود الجغرافية إذ تخترق الرسائل الموجهة عمق المجتمعات عبر الشاشات دون قيود ومن أبرز سماتها أيضا انخفاض التكلفة المادية مقابل العائد التأثيري الضخم الذي تحققه الجيوش الالكترونية والحسابات الوهمية فضلا عن خاصية التخفي وتجهيل المصدر التي تجعل من الصعب تتبع الجهات المحرصة أو إثبات الهجمات قانونيا، وعلاوة على ذلك تبرز الفاعلية كخاصية فارقة حيث يتحول المستخدم من متلقي سلبي إلى أداة فاعلة في نشر الدعاية السوداء بمجرد مشاركته للمحتوى مما يضمن لها الاستمرارية والديمومة على مدار الساعة مستهدفة زعزعة الثقة في المؤسسات الوطنية وهدم الروح المعنوية للخصم بشكل تدريجي ومستدام¹.

وتكمن خطورة هذه الحرب في بيئتها السيبرانية التي توفر أدوات خفية للتأثير، إذ تتحول الخوارزميات من مجرد أكواد برمجية إلى أدوات عسكرية ناعمة قادرة على عزل المستخدمين وتوجيه آرائهم دون إدراك منهم، وعليه يسعى هذا المبحث إلى تفكيك الآليات التقنية التي تدار بها الحرب بدءاً من دور الخوارزميات والفقاعات الرقمية مروراً بالتكتيكات والأساليب السيبرانية الحديثة وصولاً إلى كيفية بناء سردية مضادة تضمن المناعة المعلوماتية في وجه التضليل الرقمي.

● المَطْلَبُ الأول: دورُ الخَوَازِمِيَّاتِ وَالْفُقَاعَاتِ الرَّقْمِيَّةِ فِي هَنْدَسَةِ الرَّأْيِ العام :

أحدثت البيئة الرقمية تحولا بنوياً ووظيفياً في مختلف النشاطات المعرفية والاتصالية وذلك بفضل الاندماج العميق بين التقنيات الحديثة و على رأسها تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي القائمة على استغلال كميات هائلة من البيانات الضخمة Big Data، وتلعب الخوارزميات في منصات التواصل

¹ حسن حاكم قاسم، الاعلام و الحرب و دور الاعلام في الحروب المعاصرة (مركز الدراسات العسكرية، دمشق، 2016) ص 142.

الاجتماعي دورا محوريا بصفتها حارس البوابة الرقمي إذ تتجاوز وظيفتها للتنظيم التقني لتصبح أداة إستراتيجية في إدارة المحتوى وتوجيه تفضيلات المستخدمين وفق نماذج برمجية معقدة¹.

تعتمد هذه المنصات على عملية تحويل السلوك الاجتماعي إلى بيانات "Datafication" وهي الآلية التي يتم من خلالها ترجمة التفاعلات البشرية إلى مؤشرات رقمية تستخدم في التنبؤ الخوارزمي وتتبع السلوك الشرائي والسياسي. وتكمن الخطورة هنا في أن هذه الخوارزميات تقوم بربط بيانات التتبع الخاصة بكل مستخدم لتفرز له محتوى يتوافق حصراً مع اهتماماته المسبقة مما يضع المتلقي في حالة من التعرض الانتقائي المستمر، ويؤثر بشكل مباشر على مفاهيم الرأي العام الكلاسيكية مثل البحث عن المعلومة والتأثير واتخاذ المواقف السياسية².

وفي سياق الحرب الرقمية تبرز قدرة الخوارزميات على تصنيف وتوجيه المحتوى بناءً على معايير سياسية و أيديولوجية غير معلنة و هو ما تجلى بوضوح في تعامل المنصات العالمية مع القضية الفلسطينية ضمن فئات المحتوى التحريضي أو الإرهابي فعلى سبيل المثال رصدت حالات قامت فيها خوارزميات منصة انستغرام بحذف كلمة فلسطيني من التعريفات الشخصية للمستخدمين و ربطها تلقائياً بوسم الإرهاب مما يعكس برمجة مسبقة تستهدف الهوية الوطنية وحجب السردية الفلسطينية عن الفضاء الرقمي العالمي .

تعرف الخوارزميات على أنها: مجموعة متسلسلة من الخطوات المصممة لمعالجة البيانات الضخمة و فهم اهتمامات المستخدمين ، فتستخدم منصات التواصل الاجتماعي هذه الخوارزميات لتولي مهام كانت تقتصر على محرري الأخبار، حيث تقوم الآن بتحديد أولويات ونشر المحتوى الإخباري . حيث تم تطويرها لاتخاذ قرارات آلية بشأن المحتوى وفقاً لسياسات المبرمجين مما يجعلها أداة محورية في تحديد نوع وطريقة ظهور المعلومات للمستخدمين عبر الانترنت³.

تعتمد المنصات الرقمية بما في ذلك مواقع التواصل الاجتماعي و محركات البحث على الخوارزميات من تعليمات محددة توجه المنصات في كيفية عرض المحتوى، سواءً كان ذلك لتعزيز التفاعل أو زيادة مشاهدة الإعلانات أو تحقيق أهداف أخرى تكون بمثابة العقل الرقمي الذي يحدد ما

¹ عائشة كريكيط، خوارزميات الذكاء الاصطناعي وأخلاقيات محتوى مواقع التواصل الاجتماعي، (مجلة الاعلام و المجتمع، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيل، 2022)، ص407.

² Edgerly S & Thorson, **Political communication and public opinion :Inovative research for the digital age** (Public Opinion Quarterly, 2020) p 190-194.

³ عبد المنعم رقا، العربي بوعمامة، "تشكيل الرأي العام بين دكتاتورية الجماعات الافتراضية ودكتاتورية الخوارزميات" (مجلة روافد للدراسات و الابحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والانسانية، 2022)، ص492.

يراه المستخدمين و كيف يتفاعلون مع المحتوى عبر الانترنت، فتأخذ الخوارزميات في الاعتبار مجموعة من العوامل لتحديد أي المحتوى سيظهر للمستخدمين بما في ذلك : شعبية المحتوى ، مصدره ، الكلمات الرئيسية المستخدمة، المدة التي يقضيها المستخدمون في مشاهدته وعدد المشاركات وحتى التعليقات، وهذه العوامل قد تؤثر أيضا على الرؤى و المواضيع التي تهيمن على الخطاب العام العالمي مما يشكل الوعي و الرأي العام¹.

تستخدم العديد من أنواع الخوارزميات على المنصات الرقمية لتحقيق أهداف مختلفة بغية التأثير على الرأي العام منها²:

- خوارزميات التوصية : تستخدم لاقتراح المستوى المناسب للمستخدمين بناءً على تفضيلاتهم السابقة وسلوكهم على المنصة مثل خوارزميات التوصية الموجودة على facebook أو Youtube
- خوارزميات التصنيف : تستخدم لترتيب المحتوى بناءً على معايير مثل الشعبية مثل نتائج البحث على Google .
- خوارزميات التحليل النصي: لفهم و تحليل النصوص الرقمية مثل تحديد المواضيع و المشاعر كتلك الموجودة في التعليقات .

ونتيجة لعمل هذه المنظومات الخوارزمية ، تبرز ظاهرتان تساهمان بشكل مباشر في صياغة هذا الواقع الرقمي و هما فقاعات التصفية Filter Bubbles و غرف الصدى Echo Chambers³.

تعد فقاعات التصفية مصطلحاً صاغه ناشط الانترنت "إيلي باريسير Eli Pariser في كتابه الشهير عام 2011 The filter bubble: What the internet is hiding from you للإشارة إلى حالة العزلة الفكرية التي تنتج من عمليات البحث المخصصة، حيث تخمن الخوارزمية بشكل انتقائي المعلومات التي يرغب المستخدم في رؤيتها بناءً على بياناته كالموقع وسلوك النقر و سجل البحث السابق ونتيجة لذلك ينفصل المستخدمون عن المعلومات التي لا تتفق مع وجهات نظرهم مما يؤدي إلى عزلهم فعلياً داخل فقاعاتهم الثقافية والأيديولوجية

¹ دودز و فريس ، المقاييس المدفوعة بالشعبية: تحليلات الجمهور و تحويل قوة تشكيل الرأي الى المنصات الرقمية (مجلة دراسات الصحافة، 2023)، ص403-420.

²David Y , **Public Opinion Media and activism** : The Differentiating role of media use and perceptions of public opinion on political behaviour (Social Movment Studies , 2022)p 335.

³ رنا الربضي ، فقاعات التصفية و غرف الصدى ، مجلة ملهم على الرابط :
https://molhem.com/@Rana_alrabadi/%D9%81%D9%82%D8%A7%D8%B9%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%BA%D8%B1%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AF%D9%89-8389 تاريخ الاطلاع : 2026/04/6 .

إن هذه الخيارات التي تتخذها الخوارزميات تفتقر إلى الشفافية مما يمنحها سلطة خفية في تصفية المعلومات قبل وصولها للمتلقي وهو ما قد يؤثر سلباً على الخطاب المدني ويجعل آثار المعلومات المضللة أكثر حدة .

أما بالنسبة لغرف الصدى فهي النتيجة النفسية لعمل الخوارزميات حيث تضع المستخدم في بيئة رقمية لا يسمع فيها إلى صدى قناعاته وتكرار السردية التي يؤمن بها سلفاً، تؤدي إلى ما يعرف بالتحيز التأكيدي حيث يميل الفرد لتبني المعلومات التي تعزز موقفه وتجاهل أي حقائق معارضة مما يخلق رؤية نفسية تستبعد التعددية و تغذي الاستقطاب الحاد، وفي سياق الحرب النفسية تساهم هذه الغرف في تفتيت الوعي الجمعي العالمي إذ يصبح الجمهور أسيراً لسرديات أحادية الجانب يصعب اختراقها وهو ما يفسر نجاح المنصات الرقمية في حجب الرواية الفلسطينية عن فئات واسعة من الرأي العام الغربي وتوجيه إدراكهم عبر هندسة خوارزمية تقصي الحقيقة وتُعلي من شأن التضليل الممنهج .

لا تقتصر خطورة هذه الآليات الخوارزمية على الجوانب النظرية بل تتجسد فعلياً في الممارسات الميدانية للمنصات الرقمية التي تحولت إلى ساحة لتزييف الوعي الجمعي ، فقد شهدت منصة x تداولاً واسعاً لمقاطع فيديو مضللة نشر عبر حسابات موثقة لشخصيات داهمة للاحتلال الصهيوني هدفت إلى تشويه صورة المقاومة عبر فبركة مشاهد عنيفة وقد كشفت التحقيقات لاحقاً أن معظم هذه المقاطع كانت إما قديمة أو مقتبسة من أفلام والعب فيديو نُشرت عبر حسابات لروج لمحتوى معادٍ للمسلمين مما خلق ضغوطاً نفسية و سياسية مضللة على صناع القرار والجمهور العالمي بناءً على معطيات زائفة.

لم يكن الانحياز الرقمي وليد اللحظة ، ففي عام 2021 مارست منصة فيسبوك حجبا ممنهجاً للمحتوى المناصر للقضية الفلسطينية عبر حذف مئات الصفحات وتقييد وصول المنشورات ، وبالرغم من اعتذار شركة ميتا لاحقاً و تبريرها للأمر بأنه خطأ تقني في خوارزميات مراجعة المحتوى إلا أن هذا التبرير يكشف في جوهره عن كيفية تطويع البرمجيات كأداة للرقابة السياسية وتغيب الرواية الفلسطينية عن المشهد العالمي.¹

يتجاوز التأثير السيبراني حول التنظيم البرمجي للمنصات ليتحول إلى ممارسات ميدانية مكثفة تستهدف توجيه المسارات الخبرية و التحكم في طبيعة التفاعل الجماهيري ، ويبرز هذا التحول من خلال

¹ Hayes J , *Palestinian solidarity on social media* (Doctoral dissertation , University of Sheffield,2023) 1-12

توظيف مجموعة من الآليات التشغيلية التي تهدف إلى إدارة المحتوى الرقمي بأساليب هجومية تضمن تحقيق السيطرة على الفضاء المعلوماتي .

• المطلب الثاني: الأساليب التكتيكية والتلاعب بالمعلومات:

تنتقل الحرب النفسية في هذا المستوى من التهيئة الخوارزمية إلى الهجوم المعلوماتي النشط وذلك عبر استراتيجيات تكتيكية تستهدف اختراق الوعي الجمعي وتزييف الحقائق، وتعتمد هذه الأساليب على إدارة الحشود الرقمية من خلال الجيوش الإلكترونية و الذباب الرقمي لصناعة إجماع زائف وتوجيه الرأي العام ، وصولاً إلى التلاعب بالإدراك البصري عبر تقنيات التزييف العميق Deepfake . ويهدف هذا التداخل التكتيكي إلى إغراق المستخدم في بيئة مضللة تستهلك قدرته على التمييز بين الحقيقة والتزييف، مما يسهل تمرير أجندات الحرب النفسية وتقويض الروح المعنوية للخصوم .

تمثل الجيوش الإلكترونية الجانب التنظيمي المتقدم في الحروب الحديثة حيث يمكن تعريفها على أنها مجموعات من الأفراد والخبراء يتم تجنيدهم لشن هجمات إعلامية و تقنية ممنهجة لتحقيق مكاسب سياسية و إستراتيجية. وتنوع هذه الجيوش بين تلك التي ترعاها الدول لدعم مصالحها الوطنية و تلميع صورتها الدولية وبين مجموعات القرصنة والمنظمات التي توظفها الشركات أو الجماعات الأيديولوجية للتلاعب بالحقائق واختراق الوعي الجمعي للخصوم عبر تكتيكات الهندسة الاجتماعية¹.

وفي هذا السياق يعد الذباب الإلكتروني الأداة التنفيذية الأكثر انتشاراً لهذه الجيوش وهو مصطلح يطلق على الحسابات الوهمية والمبرمجة Bots والتي تُدار آلياً لإغراق منصات التواصل الاجتماعي بتدفقات معلوماتية مكثفة².

تكمن خطورة هذا الثنائي (الجيش و الذباب) في قدرتهما على صناعة إجماع زائف وتوجيه الرأي العام عبر تكرار السرديات المضللة مما يؤدي إلى تفتيت المناعة النفسية لدى الجمهور و عزلهم داخل فقاعات معرفية تخدم أهداف الحرب النفسية وهو ما يتجلى بوضوح في قدرة هذه الكيانات على حجب الحقائق أو تشوي القضايا العادلة عبر طوفانٍ من المحتوى الموجه والمنظم .

¹ وفاء فوزي، مفاهيم الجيش الإلكتروني : الذباب الإلكتروني وصناعة الرأي العام،(مركز البيان للدراسات و التخطيط ، 2023) ص4.
² المرجع نفسه ، ص11.

ومن جهة أخرى يمثل التزييف العميق DeepFake ذروة التلاعب التكنولوجي بالمحتوى البصري فهو تكتيك يعتمد على دمج الذكاء الاصطناعي بالتعلم الآلي لإنتاج منتجات بصرية وصوتية زائفة بدقة فائقة تتجاوز قدرة العين المجردة على التمييز، ويقوم هذا الأسلوب في جوهره على استبدال الوجوه أو فبركة تصريحات وأفعال لشخصيات معينة لم تصدر عنها في الواقع مما يحول الفيديو من وسيلة إثبات تاريخية ويقينية إلى أداة لترسيخ الأكاذيب و تزييف الوقائع الميدانية¹.

وتكمن الخطورة النفسية لهذا التكتيك في قدرته على تقويض الثقة بالصورة فبعد أن كانت الكاميرا عبر التاريخ تعد عيّنًا تنقل الواقع بصدق وتشهد على الأحداث، أصبحت تقنيات التزييف العميق تفرض واقعا جديدا يجعل من المستحيل التأكد مما يبث وينشر عبر شبكات التواصل الاجتماعي خاصة مع سرعة انتشار هذه المقاطع و غياب الرقابة الفعالة عليها.

وفي سياق الحرب النفسية الموجهة يستخدم التزييف العميق لتمرير سرديات مضللة عبر صناعة صدمات عاطفية زائفة، حيث يتم فبركة مشاهد تخدم أهداف المعتدي و تنشر عن أفعاله أمام الرأي العام العالمي مستغلا في ذلك عجز الأفراد عن التفريق بين النسخة الأصلية و المزيفة².

إنّ هذا التحول الجذري في التعامل مع الصورة المحركة لا يستهدف التضليل فحسب بل يسعى إلى أحداث حلة من الارتباك المعرفي الشامل حيث يفتقد ثقته في كل الشواهد البصرية مما يسهل اختراق وعيه و تهديم مناعته النفسية أمام سيل المعلومات المفبركة.

تجلت الأساليب التكتيكية للحرب النفسية بوضوح عند تحليل الأحداث المرافقة لعملية طوفان الأقصى 2023، حيث لم يعد التلاعب مجرد إشاعات بل تحول إلى صناعة تكنولوجية موجهة . ففي جانب التزييف الميداني رُصد استخدام لقطات من ألعاب فيديو حربية مثل (Arma 3) وتقديمها كوقائع حية لإثبات تفوق عسكري وهمي، كما تم توظيف تكتيك إعادة سياق المحتوى في واقعة مستشفى المعمداني عبر نشر مقاطع قديمة و تزييف تاريخها لتبرئة الاحتلال من المجرزة وتضليل الرأي العام الدولي في الساعات الأولى للحدث .

¹ Floridi Luciano , **Artificial Intelligence :Deepfakes and the future of Ectypes** (Philos Technol , 2018) p 320-321.

² ibid, p350.

أما على مستوى الجيوش الإلكترونية فقد كشفت التقارير مثل مرصد إيكاد عن كشف مكثفٍ لمزارع البوتات التي هندست وسومًا موجهة مثل #HamasIsis، حيث نشرت آلاف التغريدات الآلية في وقت قياسي لإيهام المجتمع الدولي بوجود إجماع رقمي ضد المقاومة .

إن هذا التكامل بين التزييف العميق (كصورة الطفل التي تبث أنها جرو معالج تقنيا) والضجيج الآلي للذباب الإلكتروني لم يهدف لتكذيب الحقائق فحسب، بل لإحداث حالة من الارتباك المعرفي لدى الجمهور العالمي . مما يجعل مع الصعب التمييز بين الواقع و الافتراض ، فيخدم إستراتيجية شرعنة العدوان وتحطيم الروح المعنوية للمناصرين عبر تزييف الوعي الجماعي.

لا يظل الفضاء الرقمي ساحة مفتوحة لتمير الاستراتيجيات الهجومية دون استجابة مقابلة، بل تتبلور في مواجهتها أنماط من المقاومة المعرفية التي تسعى إلى إبطال مفعول التضليل وهو ما يفرض فحص آليات بناء الخطاب البديل والوسائل التي تعزز قدرة الجمهور على التصدي للاختراقات النفسية والمعلوماتية .

● المطلب الثالث: السردية المضادة والمناعة المعلوماتية:

تستوجب كثافة الهجمات المعلوماتية والأساليب المضللة نشوء منظومة دفاعية متكاملة تتجاوز مجرد كشف التزييف إلى مرحلة التأسيس لوعي جمعي مقاوم، حيث يبرز دور السردية المضادة كأداة لاستعادة المبادرة في الفضاء الرقمي من خلال تقديم خطاب بديل يستند إلى الحقائق الميدانية و يتكامل هذا المسار مع بناء المناعة المعلوماتية لدى الجمهور، وهي العملية التي تهدف إلى تحصين المتلقي ضد الاختراقات النفسية وتنمية قدراته النقدية لفرز المحتوى المضلل مما يضمن استقرار الرواية الأصلية وحمايتها من التشويه الممنهج .

تعد الروايات المضادة أدوات أساسية في تحدي وإعادة صياغة الروايات السائدة التي أدت تاريخياً إلى تهميش مجموعات معينة. وفي سياق الظلم العنصري، توفر الروايات المضادة وسيلة قوية لتعزيز أصوات وتجارب أولئك الذين تم إسكاتهم أو تجاهلهم. من خلال تقديم قصص بديلة تتناقض مع

الروايات السائدة، تعمل الروايات المضادة على كشف التحيزات والافتراضات التي تكمن وراء العنصرية المؤسسية¹.

إن ما نلمسه اليوم من صعودٍ للسردية المضادة بعد أحداث طوفان الأقصى 2023 ليس مجرد مجهود تقني لتجاوز الحظر الرقمي، بل هو في الحقيقة بناءً لقصة إنسانية كبرى يسميها الأكاديميون السردية الشارحة وهي القصة التي تجعل الإنسان يشعر بأنه جزء من التاريخ وليس مجرد شاهد².

فلقد انطلقت هذه السردية من قلب المعاناة، وتحديدًا مما يسميه الفيلسوف طه عبد الرحمن "الشر المطلق"³ ذاك الشر الذي لا يمكن للعقل تصديقه و هو يرى قصف المساجد و المستشفيات وقتل البراءة، ومن هنا نجحت هذه السردية في فضح سياسة الإبادة البنائية التي لا تكتفي بالقتل فقط، وإنما التي تدمر كل مقومات الحياة لتهجير الفلسطينيين واجتثاثهم، مدعومة بلغة أرقام مرعبة. فغزة الصغيرة صُب عليها أكثر من 100 ألف طن من القنابل وهذا يعادل 7 أضعاف قوة قنبلة هيروشيما⁴.

هذه الحقيقة الميدانية حطمت نهائياً بروبغندا الهاسبارا الإسرائيلية وثنائياتها الزائفة مثل (الضحية/الإرهاب)، وأحلت محلها واقعاً يرى فيه العالم المواجهة بين الشر المطلق والعدالة. كما ساعدت هذه في كشف الوجه التوسعي للاحتلال و مشروع إسرائيل الكبرى الذي اعتبره نتنياهو مهمة روحية لإلغاء الوجود الفلسطيني⁵. وفي إطار التحولات الرقمية وأثرها على الرأي العام الغربي، أظهرت بيانات استطلاع الرأي الصادر عن معهد هارفرد للرصد السياسي (Harvard-Harris Poll) لعام 2023 تحولاً جوهرياً في توجهات الشباب الأمريكي (الفئة العمرية 18-24 عاماً)، حيث عبّرت نسبة تتجاوز 50% إلى 60% منهم عن تعاطفها المتزايد مع الرواية الفلسطينية وانتقادها الحاد للسياسات الإسرائيلية، وهو ما يعكس تصدراً إستراتيجياً في فاعلية الدعاية التقليدية أمام تدفق المعلومات عبر

¹ Boston College , School of education & humain Development at : <https://www.bc.edu/bc-web/schools/lynch-school/sites/labs/4cs-advisory-curriculum/curriculum-units/counter-narratives.html>
Retrieved : 07/04/2026.

² منى بيكر، الترجمة و الصراع :حكاية سردية ترجمة طارق النعمان (المركز القومي للترجمة ، القاهرة 2018)، ص 126.

³ طه عبد الرحمن ،الشر المطلق و مسؤولية الفيلسوف (الجزيرة نت في مارس 2024) ،على الرابط :

<https://www.aljazeera.net/culture/2024/3/21/%D8%B7%D9%87-%D8%B9%D8%A8%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%AD%D9%85%D9%86-%D9%8A%D9%83%D8%AA%D8%A8-%D9%84%D9%84%D8%AC%D8%B2%D9%8A%D8%B1%D8%A9-%D9%86%D8%AA-%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D8%B1>
تاريخ الاطلاع : 2026/04/07.

⁴ سعيد عريقات ،تذكير قاتم بغزة : منة كيلو طن تقابل سبع قتابل بحجم قنبلة هيروشيما (القدس، 2025) على الرابط :

<https://www.alquds.com/he/posts/158908> تاريخ الاطلاع : 2026/04/07.

⁵ Netanyahu says he's on a 'historic and spiritual mission,' also feels a connection to vision of Greater Israel, (times of isreal , August 2025) at : https://www.timesofisrael.com/liveblog_entry/netanyahu-says on:April,7,2026.

المنصات البديلة كمنصة تيك توك وتلغرام¹. هذا التحول الكبير هو الذي أعطى مشروعية سياسية ومجتمعية للمقاومة الفلسطينية كحق كفله القانون الدولي لكل شعب يقاوم الاستعمار كما في بروتوكول جنيف 1977 وحول الكيان الصهيوني إلى دولة مارقة و معزولة تفقد تعاطف الدول يوما بعد يوم .

ولم يتوقف الأمر عند الكلمات بل تجسدت هذه السردية في أفعال ميدانية مثل أسطول الصمود العالمي الذي جمع نشطاء من 44 دولة ليصنع حالة ثقافية عالمية تؤمن بما قاله مونديلا: "إن حرية العالم ناقصة بدون حرية الفلسطينيين " وهو ما رددته أيضا الناشطة غريتا ثونبرغ حين دعت لتصعيد المقاومة ردًا على تصعيد الإبادة².

ومنه فالسردية المضادة اليوم هي سلاح الحقيقة الذي استطاع أنسنة المعاناة والالتفاف على الخوارزميات ليثبت للعالم أن القضية الفلسطينية هي جوهر نضال البشرية ضد الظلم والاستعمار .

أما فيما يخص المناعة المعلوماتية في مواجهة سياسات الإخفاء الرقمي فإن الرواية الفلسطينية لم تعد تكتفي بمجرد الانتشار العفوي بل انتقلت إلى مرحلة المقاومة المؤسسية المنظمة لمواجهة ما يعرف بالاستعمار الرقمي و تتجسد هذه المناعة أولا في جهود التوثيق الممنهج لانتهاكات المنصات حيث لم يعد حذف المحتوى أو تقييد الحسابات يمر دون رصد بل أصبحت هذه البيانات رافعة أساسية تستخدم لتشخيص سياسات التمييز الخوارزمي و تحليل أنماط استهداف المحتوى الفلسطيني بناءً على أدلة مثبتة ، فيمكن القول أن هذا التوثيق هو الذي يحول المظلومية الرقمية إلى أداة ضغط سياسي وقانوني قادرة على إحداث خرق في جدار الصمت الذي تفرضه الشركات الكبرى .

وتتعرّز هذه المناعة أيضا من خلال إستراتيجية المناصرة والضغط العلني التي تقودها ائتلافات وشبكات حقوقية دولية مثل مركز حملة "وسمكس" والتي تعمل على التواصل المباشر مع صناع القرار في مراكز القوى العالمية لوضع حد للحيز الرقمي . وهي معركة نفس طويل تهدف إلى تحقيق نجاحات تراكمية تفضي في النهاية إلى ما يسمى ب العدالة التصميمية التي تضمن للشعوب المستضعفة حقها في التعبير بعيدا عن هيمنة القوى الاستعمارية . وتكتمل دائرة المناعة بحملات التوعية العالمية التي تفضح

¹Harvard Caps, "The Hariss Poll and HarissX, (harvardharrispoll, June 11-12, 2025),p4-13.

²عبد العزيز ابو بكر ،رحلة الصمود...عندما تبحر جنوب افريقيا نحو غزة المحاصرة (الجزيرة في سبتمبر 2025) على الرابط :

<https://www.aljazeera.net/news/2025/9/5/%D8%B1%D8%AD%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D9%85%D9%88%D8%AF-%D8%B9%D9%86%D8%AF%D9%85%D8%A7-%D8%AA%D8%A8%D8%AD%D8%B1-%D8%AC%D9%86%D9%88%D8%A8-%D8%A3%D9%81%D8%B1%D9%8A%D9%82%D9%8A%D8%A7> تاريخ الاطلاع : 2026/04/07.

الطبيعة الوظيفية للمنصات كأدوات منحازة ،مما يساهم في تغيير المزاج العام العالمي و حشد النشاط و الصحفيين عن الرواية الفلسطينية كجزء من الدفاع عن الحريات الرقمية الكونية .ولا يقتصر هذا الجهد على الحراك الشعبي فحسب بل يمتد ليشمل ضرورة تفعيل الدور الرسمي و الدبلوماسي لاستثمار هوامش التأثير المتاحة و الضغط على المنصات لتخفيف إجراءاتها التمييزية، لتصبح المناعة المعلوماتية بذلك حالة متكاملة تجمع بين سلاح الحقيقة الميداني وبين الدرع الحقوقي الذي يحيي هذه الحقيقة من الاندثار في الفضاء الرقمي¹.

¹ احمد قاضي ، الرقابة على الرواية الفلسطينية في الفضاء الرقمي ،(مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، فلسطين ، 2025)، ص 1-14.

خُلَاصَةُ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ :

تخلص هذه الدراسة إلى أن الحرب النفسية في العصر الرقمي قد انتقلت من مجرد كونها أداة دعم إعلامي إلى إستراتيجية وجودية تدار في فضاء سيبراني عابر للحدود ، حيث شكل الإطار المفاهيمي للنظرية السياسية المنطلق الأساسي لفهم كيف تحولت المعلومة من وسيلة معرفية إلى سلاح فتاك يستهدف المنظومة الإدراكية للأمم . وقد أثبتت التجربة العملية لا سيما في سياق طوفان الأقصى أن الدبلوماسية الرقمية باتت هي الأداة التنفيذية الأبرز لهندسة الصورة الذهنية الدولية وإعادة صياغة السرديات الكونية. مما سمح بكسر احتكار الحقيقة وتوجيه عواطف الرأي العام العالمي خارج الأطر التقليدية . غير أن هذا التأثير في الصور و النتائج لا يمكن فصله عن الآليات العملية والتقنية المعقدة التي تفرضها البيئة السيبرانية والتي حولت المواجهة من صراع على الأرض إلى صراع خوارزمي وتكنولوجي يستهدف تقويض إرادة الخصم و زعزعة روحه المعنوية . مما يجعل من فهم هذه الآليات الرقمية و تحدياتها ضرورة إستراتيجية لحماية الوعي الجمعي في ظل تحولات الحرب المعرفية الراهنة.

وهذا الاستنتاج هو ما يفسر حاجتنا الماسة التي أكدنا عليها خلال تتبعنا للمفاهيم السابقة، إلى الانتقال من التنظير العام إلى الجانب التطبيقي . فبعد أن رسمنا ملامح هذه القواعد في الفصل الأول تبرز ضرورة إسقاطها على حالة الدراسة المحورية للمذكرة، لنرى كيف تجسد صراع السرديات واقعا في طوفان الأقصى وكيف ترجمت الدبلوماسية الرقمية تلك الآليات التي شرحناها إلى قوة تأثيرية حقيقة أعادت صياغة بوصلة الرأي العام العالمي .

الفصل الثاني:

تحليل صراع السرديات في معركة طوفان الأقصى وأثره على الرأي العام العالمي:

تمهيد :

تعد معركة طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023 المحطة الأكثر بروزاً في تاريخ الصراع العربي الصهيوني من حيث كثافة الاشتباك الرقمي و تصادم السرديات فلم يكن الفعل العسكري مجرد اختراق للميدان بل كان شرارةً لانطلاق حرب نفسية عالمية تجاذبتها أطراف فاعلة متعددة سعى كل منها للهيمنة على الفضاء الرقمي و توجيه بوصلة الرأي العام العالمي .

وانطلاقاً من طبيعة الصراع المعاصر الذي لا يقاس فقط بمدى السيطرة الميدانية بل بحجم التأثير في المدركات العامة فإننا في هذا الفصل سنعتمد على المنهج الكمي Quantative Method كأداة تحليلية محورية . ويهدف هذا الخيار المنهجي إلى تجاوز التوصيف العام نحو الاستناد إلى المؤشرات الرقمية والإحصائيات الصادرة عن مراكز الرصد والتحليل الرقمي لبيان حجم الفجوة بين السرديات المتصارعة وقياس مدى التحول الفعلي في مواقف الشعوب عقب الأحداث .

وللإحاطة بهذا المشهد المعقد، قمنا بتقسيم الدراسة في هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث متكاملة يخدم كل منها الآخر حيثي يستهل المبحث الأول بتفكيك السياق البنيوي والجيوسياسي للعملية لفهم ملامح البيئة التي سبقت ورافقت الانفجار العسكري والإعلامي ومن ثم الانتقال إلى التحليل في المبحث الثاني نحو الفاعلين في الحرب النفسية الرقمية من خلال رصد ادوار كل من المقاومة الفلسطينية في مقابل الآلة الصهيونية والمنصات التكنولوجية وصولاً إلى تنويع هذه الدراسة إذ يخصص المبحث الثالث لدراسة آليات تراجع السردية الصهيونية مقابل صعود للسردية الفلسطينية وما صحبها من تشويش رقمي إلى أن يختتم باستشراف مآلات هذا الصراع في البيئة الرقمية .

إن هذا البناء المنهجي للفصل ينطلق من قناعة تحليلية مفادها أن الفعل الإعلامي ليس سوى الوجه الآخر للفعل الميداني وأن السرديات المتصارعة لا تتشكل من فراغ مطلق بل تستمد مشروعيتها وقوتها من واقع جيوسياسي ظل يتراكم خلف جدار الصمت، ومن هنا تبرز الحاجة الملحة في المبحث الأول للعودة إلى السياق البنيوي والجيوسياسي لعملية طوفان الأقصى ليس من قبيل السرد التاريخي بل بهدف تفكيك البنية التحتية للصراع النفسي ورصد المؤشرات الكمية التي حولت الواقع الفلسطيني إلى حالة الانفجار الحتمي مما جعل من لحظة السابع من أكتوبر زلزالاً لم يكسر الحدود الجغرافية فحسب بل حطم معها السرديات التقليدية التي سادت العقول .

❖ المبحث الأول: السياق الجيوسياسي لطوفان الأقصى بوصفه حاضنة للحرب النفسية :

لم تكن أحداث السابع من أكتوبر مجرد انعطافة عسكرية مفاجئة في مسار الصراع الفلسطيني الصهيوني بل جاءت كتفجير لجمود جيوسياسي طويل طبع القضية الفلسطينية لسنوات، فتشابه الأبعاد الميدانية مع التعقيدات السياسية الدولية خلق بيئة خصبة لانطلاق حرب نفسية رقمية غير مسبقة تجاوزت تداعياتها حدود الجغرافيا لتحث صدمة إدراكية عالمية. وبناءً على ذلك تبرز الضرورة لفهم طبيعة التفاعلات التي سبقت هذا التحول وكيف تقاطعت القوة العسكرية مع الآلة الإعلامية لإعادة صياغة السرديات المهيمنة وتحديد ملامح المواجهة النفسية التي دارت في الفضاء الرقمي و أروقة السياسة الدولية .

ولأجل تفكيك هذه الصدمة بموضوعية إحصائية يتعين علينا أولاً العودة إلى الجذور الجيوسياسية التي شكلت حالة الانسداد العام قبل اللحظة الصفر ، وهو ما سنرصده في المطلب الأول عبر تحليل السياق الجيوسياسي للقضية الفلسطينية قبل 7 أكتوبر 2023 لبيان كيف تحولت لغة الأرقام والانتهاكات الميدانية إلى وقود محرك للانفجار النفسي و الميداني اللاحق .

● المطلب الأول: السياق الجيوسياسي للقضية الفلسطينية قبل 7 أكتوبر:

تستمد القضية الفلسطينية مركزيتها من موقعها الاستراتيجي كجسر رابط بين القارات وقاعدة ارتكاز في قلب التوازنات الدولية، وبالنظر إلى السياق الذي سبق السابع من أكتوبر نجد أن فلسطين لم تكن مجرد رقعة جغرافية بل مثلت مهداً وجدانياً و حضارياً جعل من القدس محورا لا يمكن تجاوزه في الوعي العالمي . فلقد ساد قبيل الطوفان مناخ دولي سعى لتهميش هذا الثقل الجيوسياسي و تحويل الصراع من قضية تحرر وطني محصنة بالقانون الدولي إلى ملف أمني ثانوي ضمن مسارات التطبيع الإقليمي ، هذا المسار تزامن مع حالة من الجمود السياسي وتصاعد الانتهاكات الميدانية خلق "حاضنة نفسية" مشحونة بالرفض الشعبي . ففي الوقت الذي كان فيه الاحتلال يعمل لعزل الجغرافيا الفلسطينية وشطيمها من الخارطة السياسية بتكنولوجيته و ذكائه، كان للقضية حضوراً قويا في وجدان الشعوب أعاد بناء سردية المقاومة بقوة . فالتناقض الجذري بين محاولات احتواء القضية أمنياً و تغييبها سياسياً و ثباتها في الضمير العالمي هو الذي حول انفجار السابع من أكتوبر إلى زلزال جيوسياسي و إدارة حرب نفسية كبرى حطمت أسطورة الأمن المطلق

وكسرت حلة الجمود التي فرضتها سنوات من الرهانات الخاطئة . و هو ما يجرنا إلى تحليل الأسباب البنوية التي جعلت من هذا الانفجار حتمية واقعية :

✓ انسداد الأفق أمام حل الدولتين :

إن القراءة المتأنية لمسار القضية الفلسطينية بعد مرور ثلاثة عقود على اتفاقيات أوسلو تؤكد وصول مشروع حل الدولتين إلى طريق مغلق، حيث لم يفرز هذا المسار سوى واقع يخدم التوسع الإسرائيلي على حساب الحقوق الوطنية، فقد استمر مسار القضية إلى حالة من الاتزان السالب القائم على عجز الأطراف المتصارعة عن حسم المواجهة أو الوصول إلى تسوية كبرى . حيث تكشف المقاومة الفلسطينية أنها مرت بمحطات تاريخية متباينة ظلت في عمومها محكومة بمتغيرات الصراع الأشمل بين المشروع الصهيوني الاستعماري من جهة و القوى العربية من جهة أخرى إلا أن المقاومة عرفت أطوارا من الصعود و الازدهار و أخرى من الهبوط و الإنحدار، غير أن القدرة على الاستمرارية وإعادة الإحياء والتكوين ظلت دوما السمة الأبرز لهذا المسار .¹ ومن هذا المنطلق فإن المواجهات المسلحة في المنطقة لم تكن فعلا عشوائيا أو نتاج فراغ بل هي مواجهة حقيقة تستند إلى موروث تاريخي عميق، تملئه عوامل دينية و قومية تأبى الاستسلام لواقع التهميش السياسي .²

✓ أولوية التطبيع على حساب تسوية القضية :

لقد بزر توجه استراتيجي يسعى لتقديم مسار التطبيع مع الكيان الصهيوني على حساب الجوهر السياسي للقضية الفلسطينية ، مسارٌ بدأت ملامحه منذ اتفاق أوسلو عام 1993 حيث تضمنت التفاهات وعودا بتطبيع العلاقات و بناء تعاون مشترك. هذا التوجه لم يهدف لإنهاء الصراع وفق القرارات الدولية ، بل سعى لحصره في نزاع حدودي و تهميش الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني ، مما جعل التطبيع هدفاً يمهّد لتغيب القضية ليس فقط على الصعيد الفلسطيني ، مما جعل التطبيع هدفاً يمهّد لتغيب القضية ليس فقط على الصعيد الفلسطيني بل العربي و الدولي³ . وتعكس الرغبة الأمريكية الجامحة في توسيع دائرة التطبيع محاولة لخلق بيئة إقليمية معزولة عن المعاناة الفلسطينية حيث يتم تبرير خطابات السلام الدافئ وتوظيف شعارات التسامح الديني لتغطية مخططات صهيونية تسعة لحسم

¹ محمد خالد الأزعر، المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان و الانتفاضة، ط1 (مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1991)، ص9.

² فرح موسى ، خيارات الأمة و ضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين ، ط1 (دار الهادي ، بيروت، 1995) ص28.

³ أنيس نقاش، الكو نغدرالية المشرقية "صراع الهويات و السياسات" (بيسان للنشر و التوزيع ، بيروت، 2015) ، ص 164.

الصراع بدلا من تسويته¹. وقد تسارع هذا المسار مع صفقة القرن و الاتفاقيات الإبراهيمية وصولا إلى أطروحات إقليمية خطيرة مثل خطة " جيورا ايلاند " التي تروج لحلول بديلة على حساب السيادة الجغرافية للفلسطينيين². ومنه نقول أن هذه الاندفاعية العربية نحو التطبيع تأتي في ظل إدراك المسؤولين العرب لعدم نية الاحتلال الاستجابة للمطالب الفلسطينية ، مما يعني أن هذا المسار يمنح الشرعية للاحتلال وسياساته تجاه الأرض و المقدسات ويضعف من حالة العزلة والتمهيش التي تفرضها القوى على الحق الفلسطيني³.

✓ التطرف الشديد والاستفزاز المستمر:

بلغت سياسات التطرف الصهيوني ذروتها مع تشكيل الحكومة الحالية بقيادة بنيامين نتنياهو التي انتهجت أساليب الاستخفاف الديني والاجتماعي بالفلسطينيين، خاصة مع تزايد اعتداءات المستوطنين تحت حماية القوات الصهيونية على المواطنين وممتلكاتهم، كما تعكس الإحصائيات حجم هذا التصعيد الميداني خلال عام 2022 إذ نفذ آلاف الاعتداءات التي توزعت بين استهداف للممتلكات والأماكن الدينية والاعتداء على الأراضي والثروات الطبيعية إضافة إلى الاعتداء المباشر على الأفراد . ومنه، هذا التراكم من الانتهاكات المستمرة ضد الإنسان والمقدسات كان المحرك المباشر لعملية طوفان الأقصى كفعل دفاعي لكسر طوق التحييد والاستعلاء الصهيوني⁴.

✓ التقسيم الزمني للمسجد الأقصى:

لم تتوقف الإستراتيجية الصهيونية عند حدود الاستيطان المادي، إذ امتدت لتشمل محاولات فرض واقع تقديسي جديد من خلال التقسيم الزمني للمسجد الأقصى من خلال تخصيص فترات محددة لدخول المسلمين و اليهود بما يخدم سياسة الاقتحامات والاعتداءات الممنهجة ضد المرابطين .

✓ التوسع الاستيطاني و سياسة الهدم الممنهج :

ويقصد به هنا التقسيم المكاني للمسجد الأقصى، حيث تم اقتطاع مساحات وعناصر معمارية من الحرم القدسي لتحويلها لكنس يهودية وهو ما تجلّى في السيطرة على حائط البراق و تدمير حي المغاربة الملاصق له وتصويره كإرث صهيوني. فقد شهد عام 2022 تصعيدا خطيرا في هندسة الجغرافيا الفلسطينية إذ تمت

¹ براءة درزي، التطبيع مع إسرائيل: الطريق إلى تصفية القضية الفلسطينية وتشريع الاحتلال، (وكالة قدس نت للأنباء، بيروت، 2017) ص3.

² وائل ربيع، معركة طوفان الأقصى.. التطور العمليتي ووحدة الساحات الفلسطينية (مجلة الاهرام، العدد 111 ، القاهرة 2023) ص21.

³ براءة درزي ، مرجع سابق، ص6.

⁴ وائل ربيع ، مرجع سابق، ص21.

المصادقة على قرابة 70 مخططا استيطانيا لبناء أكثر من 10 آلاف وحدة سكنية في مدينة القدس ومحيطها. ولم يقتصر الأمر على البناء ، حيث رافقته سياسة الهدم الجماعي التي طالت أزيد من 258 مبنى منها 100 مبنى سكني. مما تسبب في تشريد مئات العائلات الفلسطينية وفقا لبيانات الإحصاء الفلسطيني¹.

✓ الحصار الشامل " البري والبحري و الجوي " :

مثل الحصار الشامل المفروض على قطاع غزة منذ عام 2006 احد ابرز العوامل الجيوسياسية التي حولت القطاع إلى بيئة طاردة للاستقرار، لذلك يمكن القول أن استمرار هذا الحصار لثمانية عشر عاما لم يكن نتاج أزمات اقتصادية وإنسانية صنفت كالأفدح عالميًا بل أيضا مهد لخلق بيئة نفسية مشحونة بالضغط والتربق ألت لاستجابة ضرورية من اجل كسر العزلة الجغرافية و النفسية المفروضة .

✓ قضية الأسرى الفلسطينيين:

شكل ملف الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال الصهيوني احد أكثر المحركات الجيوسياسية الوجدانية حساسية في الفترة التي سبقت السابع من أكتوبر، فمع مطلع عام 2023 تصاعدت وتيرة الاعتقالات التعسفية لتصل إلى أكثر من 2600 أمر اعتقال إداري ، وبلغ إجمالي عدد الأسرى نحو 5200 أسير بينهم نساء وأطفال² . و لم يتوقف الأمر عند الأرقام بل امتد ليشمل استهدافا نفسيا وجسديا مباشرا عبر خطة " التضييق الشاملة " التي انتهجها وزير الأمن القومي "ايتمار بن غفير " والتي استهدفت إلغاء مهام الأسرى وتعسير حياتهم اليومية وصولا إلى التهديد بمشاريع قوانين عنصرية كقانون الإعدام في مارس 2023 .

إن هذا التنكيل بالأسرى لم يكن مجرد إجراء امني بل مثل استفزازا عميقا للكرامة الإنسانية و الوعي الجمعي مما حول قضية الحريات إلى قضية نفسية متفجرة جعلت من تحريرهم هدفا استراتيجيا .

✓ استراتيجية الحسم العسكري :

اتجهت السياسة الأمنية لحكومة الاحتلال برئاسة بنيامين نتنياهو نحو محاولة حسم الصراع عسكريا بدلا من إدارته. وذلك عبر تكثيف سياسة الاغتيالات التي استهدفت قيادات المقاومة بالإضافة إلى التصعيد الميداني ضد المدنيين الفلسطينيين العزل . وبحسب تقارير مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية التابع

¹ محسن محمد صالح، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، (مركز الزيتونة للدراسات والإستشارات، بيروت، 2020)، 37.

² طلال مشعطي، زهير حمداني ، ما قبل الطوفان .. عام من الجرائم الاسرائيلية بحق الفلسطينيين (الجزيرة متاح على : <https://www.aljazeera.net/news/2023/10/24> اطلع عليه يوم : 2026/04/02.

للأمم المتحدة (أوتشا) فقد شهدت الفترة من بداية عام 2023 وحتى شهر أوت ارتفاع 172 شهيداً وإصابة 7372 فلسطينياً¹

انطلاقاً مما سبق، يتضح أن السياق الجيوسياسي قبل السابع من أكتوبر لم يكن مجرد تراكم للأزمات بل تصميمًا ممنهجًا لبيئة طاردة للحياة، فبين حصار خانق لغزة وتنكيل بالأسرى وسياسة اغتيال وتهجير وصولاً إلى استهداف المقدسات تشكلت حاضنة نفسية مشحونة بالرفض والمقاومة، هذا الانسداد الشامل في الأفق السياسي والميداني هو الذي جعل من السابع أكتوبر 2023 لحظة تحول استراتيجي و نفسي، لم تهدف فقط لكسر الحصار بل لإعادة صياغة السردية الدولية تجاه القضية الفلسطينية بأكملها .

إن الوقوف عند الأسباب السياسية والميدانية السالفة الذكر يظل غير مكتمل ما لم يتم تدعيمه بلغة الأرقام والمؤشرات الإحصائية التي تعكس حجم المأساة الإنسانية في قطاع غزة . فالجرب النفسية الممارسة ضد السكان لم تكن تكفي بالترهيب العسكري بل استندت إلى إستراتيجية خنق إحصائية استهدفت تدمير مقومات الحياة اليومية . ومن خلال تفكيك تقارير المنظمات الدولية يمكننا رصد شبكة من المؤشرات الكمية التي حولت القطاع إلى بيئة تعاني من موت سريري حتي حيث تبرز حدة الأزمة في كون قطاع غزة من أكثر المناطق اكتظاظاً عالمياً بكثافة 6085/كلم² عام 2023 في وقت اقتطعت فيه سياسيات الاحتلال 24% من مساحته الإجمالية كمناطق عازلة و مقيدة الوصول مما أدى إلى تعميق مشكلة الكفاف المكاني² .

وعلى الصعيد الاقتصادي الذي استخدم كأداة للإنهك النفسي تشير البيانات إلى تدمير تراكمي للبنية التحتية إذ تسببت العمليات العسكرية ما بين 2008 و 2014 في تدمير ما يتراوح بين 60% إلى 85 % من الأصول الرأسمالية و الموجودات الإنتاجية وهو ما أفرز خسارة اقتصادية تراكمية قدرت ب 35.8 مليار دولار . هذا الواقع أدى لانكماش نصيب الفرد من الناتج المحلي بنسبة 27% لينحدر من 1994 دولاراً عام 2006 إلى 1257 دولاراً فقط عام 2022 مما يبرز الفجوة التنموية مع الضفة الغربية التي تراجع نصيب غزة مقارنة بها من التكافؤ عام 1994 إلى 28% فقط عام 2021³ .

¹ شيماء منير، الحرب على غزة وانعكاساتها الاستراتيجية على القضية الفلسطينية (مركز الاهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ،ديسمبر 2023)، ص2.

² United Nations General Assembly :Economic and social repercussions of the Israeli occupation of the living conditions of the palestinian territory : Report of the secretary-general ,A/79/343,(september ,2024),p5-6.

³ United nations Conference on trade and development (UNCTAD) :Report about assistance to the palastinian people,TD/B/70/4 (september 2023),p17.

أما الأبعاد الاجتماعية لهذا الخنق الكمي فقد تجلت في وصول معدلات البطالة إلى 45.3% مما أفقد أجيالا كاملة مهاراتهم المهنية وجعل 80% من السكان مرتين للمساعدات الدولية¹. وبالنظر إلى مؤشرات الأمن الإنساني نجد 81% من الأسر واجهت صعوبات حادة في تلبية احتياجاتها الأساسية و اضطرت 55% منها لتقليص وجبات الطعام بينما بلغت نسبة انعدام الأمن الغذائي 65% في منتصف 2022².

يضاف إلى ذلك أزمة المياه والخدمات العامة حيث يفتقر 90% من السكان الوصول لمياه نظيفة مما تسبب في إصابة ربع أطفال غزة بأمراض مرتبطة بالتلوث مع عجز مزمن في الكهرباء طال معظم ساعات اليوم ونقص حاد في المستلزمات الطبية و الدوائية³. إن هذه الأرقام في مجموعها ترسم ملامح البيئة الطاردة للحياة التي سبقت طوفان الأقصى مؤكدة أن الانفجار لم يكن سوى استجابة حتمية لتحطيم هذا الحصار الإحصائي والنفسي المطبق.

ولم يتوقف هذا الحصار عند عدد الحدود الجغرافية و الاقتصادية بل امتد ليتخذ شكلا رقميا ممنهجا استهدف عزل القضية الفلسطينية عن الوعي العالمي وتغيب معاناتها خلف خوارزميات المنصات الكبرى، فقبيل السابع من أكتوبر كانت السردية الفلسطينية تعاني من تقييد وصول Shadow Banning متعمد حيث سجلت معدلات حذف المحتوى الفلسطيني أرقاما قياسية بحجة مخالفة معايير النشر في مقابل غض الطرف عن خطاب التحريض لدى الكيان الصهيوني الذي كان يسجل منشورا عنيفا ضد الفلسطينيين كل 71 ثانية، هذا الحصار الرقمي خلق حالة من الركود الإخباري العالمي مما جعل من الضروري وجود فعل ميداني صادم يمتلك القدرة على اختراق هذه الجدران الخوارزمية وإعادة فرض الراوية الفلسطينية في صدارة الاهتمام الدولي⁴.

تأسيسا على ما سبق نجد أن السياق الجيوسياسي والاقتصادي والانسداد الرقمي الذي خيم على قطاع غزة قبيل أكتوبر 2023 لم يكن مجرد أرقام في تقارير دولية بل كان يمثل كتلة حرجة من الضغط النفسي والميداني القابل للانفجار في أي لحظة فبينما كان العالم يراقب بصمت الموت السريري للمؤشرات التنموية والتقييد الممنهج للسردية الفلسطينية رقمياً كانت هناك استراتيجية تتشكل في الخفاء لكسر

¹United Nation General Assembly ,2024,Report A/79/343 , op.cit ,p23.

² OCHA 2023 , Humanitarian Needs Overview : Occupied Palestinian Territory . Retrived from : <https://www.ochaopt.org> on April,12,2026.

³ World health Organisation,(WHO),Chronic shortages of medical supplies and equipment in the Gaza Strip ,2023,Retrived from : <https://www.emro.who.int/images/stories/palestine> on April,12,2026.

⁴ احاطة بشأن واقع الحقوق الرقمية الفلسطينية منذ السابع من اكتوبر 2023، حملة . المركز العربي لتطوير الاعلام العربي ، ص3 . على الرابط : <https://7amleh.org/post/briefing-on-the-palestinian-digital-rights-situation-since-october-7th-2023-> ar تاريخ الاطلاع 2026/04/13.

هذا الطوق ومن هنا يمكن القول أن السابع من أكتوبر لم يأت كفعل عسكري معزول بل جاء كاستجابة حتمية لتحويل ذلك الضغط الكمي إلى فعل نوعي وهو ما يضعنا أمام ضرورة تحليل التداخل العضوي بين البعد العسكري والميداني والبعد الإعلامي النفسي لنبين كيف تحولت لحظة الاقتحام إلى زلزال إدراكي أعاد صياغة موازين القوى في الفضاء الرقمي والوعي العالمي على حد سواء .

● المطلب الثاني: 7 أكتوبر 2023، التداخل بين البعد العسكري والبعد الإعلامي النفسي:

لم تكن صبيحة السابع من أكتوبر مجرد انزياح عسكري مفاجئ في موازين القوى الميدانية فحسب، بقدر ما كانت تدشيناً لنمط جديد من الحروب الهجينة التي يتداخل فيها الرصاص بالبكسل، تلتحم فيها فوهة البندقية بعدسة الكاميرا. ففي الوقت الذي كان فيه المقاتل الفلسطيني يخترق تحصينا غلاف غزة، كانت كاميرا الـ GoPro المثبتة على الخوذ والصدور توثق للعام سردية ميدانية خام لم تنتظر إذن المؤسسات الإعلامية الكبرى ولا مقص الرقيب العسكري للإحتلال .

هذا التداخل العضوي جعل من الحدث العسكري مادة إعلامية فورية ومن الصورة الرقمية سلاحا نفسيا فتاكا استهدف أعماق الوعي الصهيوني على حد سواء. فقد أدركت المقاومة أن الانتصار في الميدان يبقى ناقصا ما لم يتم تأطيره بنصر إدراكي يكسر جدار الصمت الدولي ويحطم صورة الجيش الذي لا يقهر التي روج لها لعقود وبناءا عليه يمكننا تفكيك هذا التداخل من خلال رصد نقاط الاشتباك بين الممارسة العسكرية والأثر الإعلامي.

إن معركة طوفان الأقصى ليست مجرد فعل عسكري ميداني بل مثلت تحولا جذريا في بنية الحرب الإعلامية الفلسطينية ضد الاحتلال. فبعد أن كانت أدوات التعبير في انتفاضة الحجارة عام 1988 تقتصر على الوسائل التقليدية كالكتابة على الجدران والمنشورات الورقية، استثمرت المقاومة اليوم الطفرة التقنية الهائلة في تكنولوجيا التصوير والاتصال الرقمي. وقد انطلقت هذه الإستراتيجية من رؤية واعية تعتبر أن الصورة هي آية هذا الزمان وقدرتها التعبيرية تفوق آلاف الكلمات، مما حوّل الاتصال البصري إلى أداة مركزية وسلاح إدراكي فعال لإيصال الرسائل البليغة لمختلف فئات المتلقين وفي هذا الإطار حرصت فصائل المقاومة منذ الساعات الأولى لصباح السابع من أكتوبر على مرافقة الزخم العسكري بتغطية إعلامية فورية، بدأت ببث تسجيل صوتي للقائد العام لكتائب القسام وضع فيه النقاط على الحروف بشرح دوافع المعركة وأهدافها الإستراتيجية¹.

¹ شبكة الجزيرة الاخبارية ، محمد الضيف : اطلقنا خلال نصف ساعة 5 آلاف صاروخ اتجاه مستوطنات العدو ، في 7 أكتوبر 2023 ، على الرابط : https://www.youtube.com/watch?v=cxL5_Nw1l0&t=6s تاريخ الاطلاع : 2026/04/14.

وتزامن ذلك مع توظيف تقنية كاميرا الخوذة لوثيق عمليات اقتحام مستوطنات الغلاف من المسافة صفر مما سمح بنقل وقائع الميدان بوضوح شديد وضع العالم في قلب الحدث ليختتم اليوم الأول ببث رسالة صوتية للناطق الرسمي باسم المقاومة مساءً لتقديم المزيد من المعطيات الميدانية حول سير العمليات¹.

لقد ركزت هذه المنظومة الإعلامية في انطلاقتها على ترسيخ جملة من الحقائق أبرزها تبيان المسببات الحقيقية للانفجار والمتمثلة في الانتهاكات بحق المسجد الأقصى واستمرار الحصار الجائر على قطاع غزة لقراءة عقدين إلى جانب تغول السياسات الاستيطانية، كما أبرزت الأهداف الوطنية للمعركة على رأسها قضية تبييض السجون واستعادة الحقوق التاريخية موجّهة خطابا مباشرا للرأي العام العالمي والعربي يذكره بالمعاناة الإنسانية المزمّنة للشعب الفلسطيني كسبب مباشر وشرعي لانطلاق هذه المعركة.

اتصالا بالاستباق الإعلامي الذي شهده اليوم الأول، انتقلت الإستراتيجية الإعلامية للمقاومة إلى مرحلة أكثر عمقا من خلال تكريس دور الناطق العسكري كأداة محورية في إدارة الحرب النفسية وتوجيه الرأي العام فلم يعد ظهور الشخصيات الناطقة باسم المقاومة (أبو عبيدة وأبو حمزة) مجرد إجراء بروتوكولي بل تحول إلى مصدر استراتيجي للمعلومات يستهدف بناء سردية موثوقة تعتمد على لغة الأرقام والإحصائيات الدقيقة حول تدمير الآليات واستهداف التحصينات، مما أحدث اختراقا في الجدار الدعائي للاحتلال وزعزع ثقة جمهوره في روايته الرسمية. وقد اعتمدت هذه الصورة على هندسة رسائل متعددة الأبعاد بدأت بطمأنئة الحاضنة الشعبية والإشادة بصمودها ومرت باستنهاض العمق العربي والإسلامي وأحرار العالم وصولا إلى مخاطبة مجتمع العدو بلغة مباشرة تهدف إلى كشف خسائر جيشه الميدانية. وعليه برزت رمزية المثلث الأحمر المقلوب² كعلامة سيميائية فارقة في المقاطع المصورة حيث تحول هذا الرمز البصري البسيط من إشارة تقنية لتحديد الهدف إلى أيقونة عالمية ترمز للمسافة الصفر وتجسد القدرة على اختراق التفوق التكنولوجي للاحتلال مما أضفى طابعا من القوة الرمزية والانتصار النفسي الذي عزز من مكاسب المقاومة إعلاميا وعسكريا.

لم تكتف المقاومة الفلسطينية بالزخم العسكري الميداني بل استثمرت فترات الهدنة المؤقتة التي امتدت لأسبوع لتقديم مشهدية إنسانية مدروسة بعناية استهدفت اختراق السردية الغربية المنحازة. ففي الوقت الذي سعى فيه الاحتلال الصهيوني عبر آلتة الدعائية إلى شيطنة المقاومة و تشويه صورتها الأخلاقية

¹ أبو عبيدة خطة دقيقة لطوفان الأقصى، موقع الجزيرة ، في 2023/10/13 على الرابط :

<https://www.aljazeera.net/news/2023/10/12/%D8%A3%D8%A8%D9%88-%D8%B9%D8%A8%D9%8A%D8%AF%D8%A9> تاريخ الاطلاع : 2026/04/14 ..

² هل المثلث الاحمر المقلوب رمز جديد للمقاومة الفلسطينية ؟ قناة العالم ، 10 نوفمبر 2023 ، على الرابط : <https://www.alalam.ir/news/6744908> تاريخ الاطلاع : 2026/04/14.

جاءت الفيديوهات المصورة لعمليات تبادل الأسرى لتقدم دحضاً بصرياً قاطعاً لهذه الادعاءات حيث ظهر أسرى الاحتلال الصهيوني في حالة صحية جيدة و بملابس أنيقة مع توثيق لحظات الوداع و الابتسامات المتبادلة بينهم و بين عناصر المقاومة .

لذلك نجحت هذه الإستراتيجية الاتصالية في خلق صدمة لدى الرأي العام الذي شاهد معاملة إنسانية تتناقض كلياً مع ما روج له إعلام الاحتلال خاصة بعد ظهور شهادات حية لأسيرات يشكرن فيها المقاومة على حسن المعاملة التي تلقينها رفقة أطفالهن . ورغم محاولات الاحتلال حَظَرَ هذه المشاهد ووصفها بالبروبغندا أو الضغط على الأسرى المفرج عنهم لعدم الحديث، إلا أن الصورة كانت أسرع في الانتشار مما حول فترة الهدنة من مجرد توقف تقني للمعارك إلى مكسب إعلامي استراتيجي أعاد صياغة صورة المقاومة كحركة تحرر وطني تلتزم بالقيم الإنسانية و الأخلاقية حتى في ذروة الصراع¹.

لم تكن الإستراتيجية الإعلامية التي انتهجتها المقاومة مجرد نشاط اتصالي مرافق للميدان بل أنتجت جملة من الآثار الإستراتيجية إلى أعادت صياغة موازين القوى في صراع الروايات ويمكن تلخيص أبرز هذه الآثار في النقاط التالية²:

- دحض الرواية الصهيونية و تأكيد السردية الفلسطينية : فقد نجحت المقاومة في كسر احتكار الاحتلال للرواية المعلوماتية فمن خلال التوثيق البصري الفوري، استطاعت السردية الفلسطينية أن تفرض نفسها كبديل يتمتع بمصداقية عالية مما فضح زيف الإدعاءات الصهيونية التي حاولت شيطنة المقاومة وتشويه الحقائق الميدانية . هذا الاختراق الإعلامي أجبر مؤسسات إعلامية دولية على مراجعة تبنيها المطلق لرواية الاحتلال و الالتفات لواقعية المشهد الفلسطيني المنقول من الميدان .

- تآكل الردع النفسي وإرباك الجبهة الداخلية للعدو : ساهمت الرسائل الإعلامية الموجهة بدقة في خلق حالة من عدم الاستقرار داخل مجتمع الاحتلال حيث أدى التناقض بين تصريحات القيادة العسكرية الصهيونية وبين ما تبثه المقاومة من فيديوهات حية خاصة فيديوهات المسافة صفر وملف الأسرى إلى تآكل الثقة لدى الجمهور الصهيوني في رواية جيشه مما حول الفشل العسكري الميداني إلى هزيمة نفسية واجتماعية داخلية مركبة .

¹ طلعت رميح ، كيف تفوق اعلام المقاومة ، شبكة الجزيرة ، في 2025/09/27 . على الرابط:

<https://www.aljazeeramubasher.net/opinions/2025/9/27/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%AA%D9%81%D9%88%D9%82-%D8%A5%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%88%D9%85%D8%A9>

² جمال العيفة، الإستراتيجية الإعلامية للمقاومة الفلسطينية في معركة طوفان الأقصى ،مجلة المعيار ، 2024 ص405.

- أنسنة القضية الفلسطينية واستنهاض التضامن العالمي : من خلال المشاهد الإنسانية التي تبث لا سيما خلال فترات تبادل الأسرى نجحت الإستراتيجية الإعلامية في إعادة تقديم المقاوم الفلسطيني كصاحب قضية تحرر وطني تلتزم بالقيم الأخلاقية والإنسانية . هذا الأمر ساهم بشكل مباشر في تغيير اتجاهات الرأي العام العالمي وخصوصا لدى جيل الشباب في الغرب الذين انتقلوا من حالة الحياد أو التأييد الأعلى للاحتلال إلى التضامن الواسع مع الحقوق الفلسطينية .

- تحويل الفضاء الرقمي إلى ساحة اشتباك عالمية: استطاعت هذه الإستراتيجية تجاوز مقص الرقيب والحظر الرقمي حيث تحولت الصورة الفلسطينية إلى محتوى عابر للحدود يتبناه ملايين الناشطين حول العالم هذا الجيش الرقمي المتطوع قام بترجمة ونشر السردية الفلسطينية بلغات متعددة مما خلق ضغطا شعبيا دوليا هائلا أخرجت القوى السياسية الداعمة للاحتلال ووضع القضية الفلسطينية في صدارة الأجندة الإنسانية و السياسية العالمية .

وانطلاقا من هذا المشهد، يتبين أن المقاومة الفلسطينية قد أعدت للمعركة الإعلامية بالقدر الذي أعدت فيه للمعركة العسكرية إدراكا منها لأهمية الآلة الإعلامية في خوض الحروب النفسية. وأن معركة الوعي لا تقل أهمية عن معارك الميدان في بعدها العسكري. وقد قدمت المقاومة الفلسطينية أنموذجا متقدما وغير مسبوق في الإعلام الحربي، أذهل العديد من الإعلاميين المحترفين حيث تمت فيه المزاوجة الناجحة بين بندقية المحارب وكاميرا المصور، إذ كانت لقطات الكاميرا اشد إيلاما على جنود العدو وقادته ومستوطنيه من طلقة البندقية أو القذيفة .

وعليه فقد حسمت المقاومة الفلسطينية معركة الصورة ضد الاحتلال الصهيوني منذ الأسابيع الأولى للحرب حيث باتت هزيمة الاحتلال مركبة، إستخباراتية وعسكرية و إعلامية حيث يمكن قياس ذلك الأثر من خلال تحول الرأي العام العالمي وخصوصا الغربي منه نحو تبني السردية الفلسطينية والافتناع بجدوى المقاومة وأحقيتها في ارض فلسطين بعدما كان هذا الرأي العام ضحية لعقود من التضليل الإعلامي الصهيوني .

تجاوز النجاح الإعلامي للمقاومة حدود الميدان ليتحول إلى قوة ضاغطة اخترقت الرقابة الرقمية وشكلت وعيا دوليا جديدا وبناءا عليه لا بد من تفكيك استجابات الفاعلين الدوليين تجاه هذا التحول الاستراتيجي .

• المطلب الثالث: ردود الفعل الدولية وإشكالية السردية المهيمنة :

لقد شكل طوفان الأقصى نقطة تحول جوهريّة في مسار الصراع العربي الصهيوني فبفضل الزخم الإعلامي الذي صاحب الفعل العسكري تمكنت القضية الفلسطينية من كسر طوق التهميش الذي عانت منه لسنوات بفعل الأزمات الإقليمية و الدولية المتلاحقة كالأزمة السورية والحرب في أوكرانيا¹. وبدلاً من أن تظل حبيسة الأروقة المغلقة عادت لتتصدر الأجندة الدولية حيث دشنت المعركة مرحلة جديدة أعادت من خلالها إبراز المظالم التاريخية للشعب الفلسطيني على المستويين الرسمي و المدني بشكل غير مسبوق².

✓ بالنسبة للمستوى الدولي و بالضبط على صعيد الهيئات الأممية ، تعرضت مؤسسات دولية بارزة كمنظمة الأمم المتحدة و المحكمة الجنائية الدولية لضغوط متزايدة تجاوزت لغة البيانات السياسية التقليدية لتصل إلى المطالبة بخطوات ملموسة تعالج الأسباب الجذرية للصراع وقد تجلّى ذلك بوضوح في التصريحات الجريئة للأمين العام للأمم المتحدة "انطونيو غوتيريش" الذي أكد على أن أحداث السابع من أكتوبر لم تأت من فراغ مشدداً على ضرورة إنهاء الاحتلال كشرط أساسي للاستقرار³. وهي التصريحات التي أثارت غضباً صهيونياً واسعاً كونها كشفت زيف السردية التي تحاول عزل الحدث عن سياقه التاريخي .

وفي هذا الشأن أصدرت وكالة إغاثة و تشغيل لاجئي فلسطين (الاونروا) بأن قوات الكيان الصهيوني قد شنت عملية السيف الحديدي بتوجيه ضربات برية وجوية لقطاع غزة رداً على عملية طوفان الأقصى وقد خلفت هذه الحرب أضراراً كبيرة تمثلت في خسائر بشرية وعمرانية في المنطقتين⁴ ، أما منسق الأمم المتحدة الخاص لعملية حفظ السلام في الشرق الأوسط فقد أدان بشدة عملية طوفان الأقصى التي شنتها حماس على مدن الكيان الصهيوني وقد شنع الهجمات التي استهدفت الكيان الصهيوني و دعا إلى التوقف فوراً كما أعرب عن قلقه الشديد إلى ما يمارس تجاه مدني الكيان الصهيوني ودعا إلى ضرورة ضبط النفس واختتم بيانه بقوله : هذا منحدر خطير وأناشد الجميع التراجع عن حافة الهاوية . وفي نفس السياق أكد مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان فولكر تورك في تقريره عن الصدمة والجزع إزاء التقارير التي توضح أن هناك

¹ شفيق شقير ، طوفان الأقصى سياقات و تداعيات ، مركز الجزيرة للدراسات ، أكتوبر 2023 على الرابط : <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5875> تاريخ الاطلاع : 2026/04/15.

² Rachid Khalidi , The hundred Years War On Palestine (Metropolitan Books ,2020) p 200-203 .

³ United Nations,Remarks by secretary – General Antonio Guterees on Gaza (24 Oct 2023).on : <https://www.un.org/sg/en/content/sg/statements/2023-10-24/secretary-generals-remarks-the-security-council-the-middle-east-delivered> Retrieved: 15/04/2026

⁴ وكالة الامم المتحدة لإغاثة و تشغيل لاجئي فلسطين (الاونروا) في الشرق الأدنى ، الوضع في قطاع غزة على الرابط: <https://www.unrwa.org/ar> تاريخ الاطلاع: 2026/04/15.

جماعات فلسطينية أطلقت مئات وآلاف من الصواريخ باتجاه غزة وما خلفته من خسائر ما لا يقل عن مقتل 22 وجرح المئات من عناصر الكيان الصهيوني والمدنيين المحتجزين كرهائن. ودعا إلى اتخاذ جميع الاحتياطات لتجنب وقوع مدنيين كما دعا إلى وقف العنف مناشدا الدول الرئيسية التدخل في المنطقة ووقف التصعيد وإراقة الدماء¹.

وفي تاريخ 29 من نوفمبر 2023 دعت الأمم المتحدة إلى إحياء اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني حيث قال السفير فيصل محمد نائب رئيس اللجنة أن للشعب الفلسطيني حق في ممارساته وذلك لتقرير مصيره و في عودة لاجثيه و لما عاناه من تشريد و مصادرة لممتلكاته و كذا العقاب الجماعي الذي تعرض له والحصار العسكري و الاحتجاز التعسفي و غيرها من الأعمال الشنيعة. فلا بد من حقه في العيش بحرية و كرامة في دولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشرقية تعيش جنبا لجنب مع الكيان الصهيوني عملا بقرارات الأمم المتحدة كما أكد على ما قام به الكيان الصهيوني هو خرق للقانون الدولي الإنساني ودعا رئيس الجمعية العامة دينيس فرانسييس إلى استعادة الأمل للشعب الفلسطيني للعيش بكرامة وحرية بالإضافة إلى دعمه لتهدئة التوترات لتنفيذ الهدنة واختتم حديثه عن العدالة واحترام الحقوق غير قابلة للتصرف².

أظهرت عملية طوفان الأقصى من جديد التحديات البنيوية التي تواجهها منظمة الأمم المتحدة في إدارة الأزمات الكبرى حيث استمدت ردود أفعالها بالتركيز التقليدي على ضبط النفس والدعوة إلى عمليات حفظ السلام وهو المسار الذي تبنته المنظمة منذ عقود كحل سياسي وسيط إلى أن هذا الموقف أعاد فتح النقاش الأكاديمي والسياسي حول ازدواجية المعايير داخل الهيئة الدولية، فبينما تحركت المبادئ والمقاصد الأممية الرامية لحفظ السلم والأمن الدوليين بفاعلية عند تعرض الكيان الصهيوني للخطر، سجلت حالة من الجمود المؤسسي تجاه الانتهاكات المتواصلة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني والمسجد الأقصى طيلة عقود.

✓ أما على الصعيد الإقليمي وكما يعرف على المواقف الأوروبية خلال العقود السابقة اتجاه الصراع العربي الصهيوني والقضية الفلسطينية أنها تحاول بذل الجهود للتخفيف من المواقف الغربية الأمريكية المؤيدة للكيان الصهيوني وتعزيز القضية الفلسطينية، ولكن في السنوات الأخيرة صار الموقف الأوروبي لا يختلف

¹ أخبار الأمم المتحدة ، الامم المتحدة تدين الهجوم على بلدات إسرائيلية و تحث إلى ضبط النفس ، على الرابط : <https://news.un.org/ar/story/2023/10/1124537> تاريخ الاطلاع : 2026/04/16.

² أخبار الأمم المتحدة ، الأمم المتحدة تعيد التأكيد على حق الشعب الفلسطيني في العيش بسلام و كرامة ، على الرابط : <https://news.un.org/ar/story/2023/11/1126482> تاريخ الاطلاع : 2026/04/16.

كثيرا عن الموقف الأمريكي والحروب الصهيونية الأخيرة والعدوان والانتهاكات الأخرى على الفلسطينيين شاهدة على ذلك ، وصار الخطاب السياسي الأوروبي إزاء الحقوق الفلسطينية يتبنى السرد الصهيوني المتطرف ويحاول إلغاء أي صوت معارض أو آراء مخالفة للاحتلال الصهيوني ويمكن عده تحت معاداة السامية¹ وهو أمر اعتادت عليه الدول والمجتمعات الغربية في تصفية أي صوت معارض للكيان الصهيوني.

وهذا ما اتضح من الإعلان عن عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023 حينما أعلن الاتحاد الأوروبي ودوله اصطفا فمهم إلى جانب الكيان الصهيوني وتبنى أمرا مفاده " حق الكيان الصهيوني في الدفاع عن النفس " والذهاب إلى القضاء على حركة حماس. وانبج هذا الموقف في مجالين، الأول مسارعة المفوض الأوروبي لسياسيات الجوار أوليفر فارهيلي إلى إعلان التجميد الفوري للمساعدات الأوروبية المقدمة للفلسطينيين أما المجال الثاني فتجلى بزيارة رئيس المفوضية أورسولا فون دير لاين إلى الكيان الصهيوني في 13 من أكتوبر للتعبير عن التضامن التام مع الكيان المحتل².

اتسمت مواقف الاتحاد الأوروبي بالتبني الصريح للسردية الصهيونية منذ اللحظات الأولى لطوفان الأقصى فبعد جولة من المفاوضات بين دوله الأعضاء اصدر الاتحاد بيانا في أكتوبر أدان فيه وبأشد العبارات ما وصفها بالهجمات الإرهابية العشوائية مشددا على ما اسماه حق الكيان الصهيوني في الدفاع عن نفسه كغطاء سياسي وقانوني للعمليات العسكرية المتعاقبة ، ولم تخرج مخرجات قمة الاتحاد الأوروبي المنعقدة في بلجيكا المنعقدة في 26 من أكتوبر ولا تصريحات مفوض الشؤون الخارجية جوزيب بوريل في 12 من نوفمبر 2023 عن هذا السياق حيث ركزت هذه البيانات على مطالبة المقاومة بتحرير الرهائن دون أدنى إشارة للانتهاكات الصارخة التي ارتكبتها قوات الاحتلال ضد المدنيين والمنشآت الحيوية كالمدارس والمستشفيات . لذلك فإن هذا التجاهل المتعمد للجرائم الموثقة يعكس اختلالا في موازين التوصيف القانوني للأحداث حيث تم التركيز على فعل المقاومة وتجاهل السياق الناتج عن ممارسات الاحتلال³.

¹ماركو كارنيلوس ، تواطؤ أوروبا المخزي في الحرب الإسرائيلية على غزة ، (نون بوسب ، نوفمبر 2023 .) على الرابط: <https://www.noonpost.com/178090> تاريخ الاطلاع: 2026/04/17.

² ميشال أبو نجم ، الاتحاد الأوروبي يبحث عن نقطة توازن في سياسته إزاء حرب غزة ، (صحيفة الشرق الأوسط ، افريل 2024) على الرابط: <https://aawsat.com/%D8%B4%D8%A4%D9%88%D9%86-%D8%A5%D9%82%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9/4981371-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AA%D8%AD%D8%A7%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D8%B1%D9%88%D8%A8%D9%8A-%D9%8A%D8%A8%D8%AD%D8%AB-%D8%B9%D9%86-%D9%86%D9%82%D8%B7%D8%A9-%D8%AA%D9%88%D8%A7%D8%B2%D9%86-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%87-%D8%A5%D8%B2%D8%A7%D8%A1-%D8%AD%D8%B1%D8%A8-%D8%BA%D8%B2%D8%A9> تاريخ الاطلاع: 2026/04/17.

³ أحمد قاسم حسين ، مقارنة الاتحاد الأوروبي للحرب الإسرائيلية على غزة : صراع القيم و المصالح ، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، الدوحة ، 2024) ص 3.

ويمكننا من خلال تتبع مواقف دول الاتحاد الأوروبي تقسيم مواقفها إلى ثلاث مجموعات¹:

- دول التأييد المطلق للكيان الصهيوني: وهي كل من التشيك والنمسا وهنغاريا وألمانيا حيث تجلت مواقفها في تأييد الكيان الصهيوني ودعمه ورفع أعلامه على المباني الحكومية والتأييد التام لحربه وعملياته العسكرية ضد الفلسطينيين وحتى تبرير عمليات القتل والتجريم ضد المدنيين.
- دول ذات مواقف معتدلة: تتمثل في كل بلجيكا واسبانيا و أيرلندا و على الرغم من انتقاد هذه الدول للعملية طوفان الأقصى إلا أنها لا تؤيد تحقيق السلام وتطالب بوقف الحرب، وتنتقد بياناتها انتهاكات إسرائيل للقانون الدولي الإنساني واستهداف الفلسطينيين.
- الدول ذات الموقف المتحفظ الذي يساند الكيان الصهيوني ولكن بقدر من الحذر وهذا الموقف يغطي على توجهات بقية دول الاتحاد الأوروبي.

في قراءة نقدية لموقف جامعة الدول العربية دعا الأمين العام أحمد أبو الغيط إلى الوقوف الفوري للعمليات العسكرية محذرا من أن استمرار السياسات الصهيونية المتطرفة يمثل قنبلة موقوتة تهدد استقرار المنطقة برمتها و محملا المجتمع الدولي مسؤولية غياب ردع حقيقي لسياسات اليمين الصهيوني المستفزة للمقدسات الإسلامية و المسيحية و مع ذلك يظهر بوضوح وجود ضعف بنيوي في فاعلية الجامعة العربية نتيجة عدم تفعيل الاتفاقيات الأمنية المشتركة و على رأسها اتفاقية الدفاع العربي المشترك و غياب رؤية موحدة تعتبر الأمن القومي العربي وحدة لا تتجزأ . إذ ظل الخطاب الرسمي حبيس عبارات التنديد دون الانتقال إلى إجراءات ضاغطة و ملموسة كتعطيل الاتفاقيات السياسية والاقتصادية أو التلويح الجدي بقطع مسارات التطبيع وهو ما كان كفيلا بتعرية الكيان الصهيوني أخلاقيا أمام العالم وتحمله المسؤولية القانونية الكاملة عن جرائمه².

وقد ظهر هذا الضعف بوضوح في القرار رقم 8987 الذي ساوى بشكل صادم بين المجرم والضحية فالقرار بخطابه الدبلوماسي دعا جميع الأطراف لضبط النفس وأدان قتل المدنيين من الجانبين وهذه المساواة بين شعب يقاوم الاحتلال و بين كيان يمارس الإبادة هي في الحقيقة إدانة ضمنية لعملية طوفان الأقصى . كما أن إصرار الجامعة على إحياء عملية السلام والمفاوضات يظهر انفصالا تاما عن الواقع الذي فرضه الميدان وكان الهدف هو تصفية قضية المقاومة بدلا من نصرتها مما يجعل الموقف العربي

¹ وليد عبد الحي، أزمة الموقف الأوروبي من طوفان الأقصى، (مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2024)، ص 4-5.
² فوزي محمد المختار، عملية طوفان الأقصى و أثرها على تغيير الصورة الذهنية للقضية الفلسطينية، (المجلة الدولية لعلوم الإعلام و الاتصال، 2025) ص 45-46.

الرسمي يبدو وكأنه يبحث عن استعادة الاستقرار الإقليمي والحفاظ على توازناته السياسية الداخلية أكثر من كونه حراً ضاغطة لاستعادة الحقوق الفلسطينية المشروعة.¹

من خلال ما سبق نلتمس تناقضاً كبيراً في الأداء الإقليمي فبينما تحرك الاتحاد الأوروبي بصرامة وتبنى هجوماً دبلوماسياً منحازاً بالكامل للاحتلال الذي وصل لحد التهديد بقطع المساعدات، اكتفت جامعة الدول العربية بدبلوماسية حذرة ساوت فيها بين الضحية والجاني. هذا التباين يوضح أن الغرب استعمل ثقله السياسي لفرض سردية الاحتلال في حين فشلت المنظومة العربية في تحويل ثقلها لضغط حقيقي مما جعل موقفها يبدو وكأنه يبحث عن تهدئة الأوضاع أكثر من بحثه عن استعادة الحقوق الفلسطينية.

وإذا كانت هذه المواقف الجماعية للمنظمات الدولية والإقليمية قد رسمت الإطار العام للتعامل مع الحدث، فإن سياسة الدول فرادى جاءت لتكشف عمق التباين في المصالح الاستراتيجية والحسابات السياسية، إذ لم يعد الموقف مجرد استجابة لعملية عسكرية، بل أصبح انعكاساً لتموضع دولية جديدة تحاول تشكيل الصورة الذهنية للصراع وفقاً لأجندتها الخاصة ومن هذا المنطلق سنتناول فيما يلي أبرز المواقف الوطنية للدول الفاعلة:

- أولاً: الدول الغربية:

يمكن القول أن هذه هي المرة الأولى التي يحظى فيها الكيان الصهيوني بكل هذا الدعم والتعاطف الغربي حيث سارعت كل الدول الغربية إلى إبداء تعاطفها مع الكيان الصهيوني بصفتها ضحية "إرهاب حماس" في حين ذهبت الولايات المتحدة إلى إعلانها تقديم مساعدات عسكرية وغير عسكرية على وجه السرعة وأرسلت حاملات طائراتها جيرالد فورد إلى شرق المتوسط كما عززت طيرانها في قواعدها في المنطقة وحذر وزير خارجيتها أنطوني بلينكن الأطراف الأخرى من محاولة استغلال ما يجري في غزة والدخول على خط الصراع المستجد. والمقصود بالتحذير بدهاء إيران واذرعها في المنطقة وفي مقدمتهم حزب الله اللبناني والتحذير ذاته ورد على لسان مسؤول في البنتاغون مهدداً حزب الله من مغبة اتخاذ قرار خاطئ بفتح جبهة ثانية مع الكيان الصهيوني. وعرضت على الكيان التعاون الاستخباراتي لتحرير الأسرى الصهيونيين في القطاع ويمكن التذليل على جدية الموقف بتلك الجلسة التي عقدها مجلس الأمن الدولي في أكتوبر 2023 لبحث التطورات على خلفية هجوم حماس من دون

¹ محمد حمشي، عن الموقف العربي الرسمي من عملية طوفان الأقصى، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أكتوبر 2023) ص8.

أن يصدر المجلس بيانا رئاسيا يدعو الأطراف لضبط النفس وهذا ما يدل على أن الولايات المتحدة الأمريكية قررت إعطاء الكيان الصهيوني الوقت الكافي لتصفية حساباتها مع حماس¹.

ولم يتوقف هذا الدعم عن التحشيد العسكري فحسب، ليشمل هجوما دبلوماسيا قاداته واشنطن لشرعنة العدوان الصهيوني حيث سعت الولايات المتحدة منذ اللحظات الأولى إلى حشد حلفائها الغربيين ضمن جبهة موحدة تجلت في البيان الخماسي المشترك مع فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا الذي أعطى غطاءً سياسيا وقانونيا كاملا للكيان الصهيوني تحت ذريعة حق الدفاع عن النفس.

وفي سياق متصل قاد وزير الخارجية أنتوني بلينكن جولة مكوكية في المنطقة بدأت بتل أبيب وانتهت إليها هدفت بدورها إلى تطويق تداعيات العملية و ضمان عدم خروجها عن السيطرة الدولية مع التركيز على ملف الرهائن وتوظيف الأزمة الإنسانية في غزة كأداة ضغط سياسي² والملاحظ هنا أن الخطاب الأمريكي في هذه المرحلة قد تخطى تماما عن دعواته التقليدية وتبنى بالكامل الرواية الصهيونية مما يثبت أن واشنطن لم تعد مجرد حليف بل أصبحت الشريك الرسمي في إدارة هذه المعركة وصياغة صورتها الذهنية أمام الرأي العام العالمي.

أما في فرنسا أدان الرئيس ماكرون منذ الثامن من أكتوبر ما وصفه بالهجمات الإرهابية معلنا تضامنه الكامل مع الضحايا الصهيونيين ولم يكتف بذلك بل وجه أصابع الاتهام ضمنيا نحو إيران معتبرا تصريحاتها المؤيدة لحماس غير مقبولة وتتعارض مع القيم والمصالح الفرنسية، رغم إقراره بغياب أدلة ملموسة على تورط مباشر لطهران في العملية³.

بالنسبة لألمانيا فقد اختارت لغة أكثر حدة حيث وصف المستشار الألماني العملية ب الأعمال الهمجية مشددا على أن أمن الكيان لا يتزعزع في السياسة الخارجية الألمانية و ترجمت برلين هذا الدعم السياسي إلى إجراءات عقابية فورية ضد الفلسطينيين بإعلانها تعليق المساعدات التنموية للأراضي الفلسطينية والتي تقدر بنحو 125 مليون يورو⁴.

¹ عملية طوفان الأقصى تطوراتها و ابعادها و تداعياتها المحتملة، مركز حرمون للدراسات المعاصرة ،اكتوبر 2023، ص 7 .

² Secretary Antony J. Blinken Remarks to the press , The secretary of state 15 october 2023 on :

//<https://eg.usembassy.gov/secretary-antony-j-blinken-remarks-to-the-press> Retreived : 17/04/2026

³ Macron hints at Iran's involmt in hamas attacks , Politico , 10 october 2023 . on :

<https://www.politico.eu/article/israel-palestine-hamas-iran-conflict-tehran-involvement> Retreived on :

17/04/2026

⁴ طوفان الأقصى ، 900 قتيل و 2500 جريح اسرائيلي...قصف غير مسبوق ، يورونيوز، اكتوبر 2023. على الرابط:

<https://arabic.euronews.com/video/2023/10/09/israel-palestine-war-live-blog-hamas> تاريخ الاطلاع:

.2026/04/17

وفي بريطانيا استدعى رئيس الوزراء ريشي سوناك موروث وعد بلفور التاريخي ليؤكد انحيازه المطلق للكيان و في خطاب يحمل دلالات أيديولوجية و تاريخية أمام الجالية اليهودية.. ألغى سوناك أي مجال للحياة لقوله : لا يوجد طرفان ، أنا أقف مع الكيان الصهيوني . واصفا المقاومة بالإرهاب و مادحا الكيان الصهيوني بوصفه الديمقراطية الوحيدة في المنطقة التي تحمي الحريات الفردية و تخدم العلم و الطب مستشهدا بكلمات هرتزل مؤكدا أن دعم بلاده للجالية اليهودية و للكيان سيكون على الدوام¹.

وعلى صعيد التحركات الميدانية و الرمزية شهدت القارة الأوروبية سباقا نحو تل أبيب حيث كان وزراء خارجية بريطانيا وفرنسا وألمانيا أوائل الواصلين للعبير عن التضامن. داخليا سعت هذه الحكومات إلى قمع أي صوت معارض فتم حظر التظاهرات المؤيدة لفلسطين في برلين وباريس وتعزيز الحراسة حول المعابد اليهودية كما أضيفت المعالم التاريخية كبوابة براندنبورغ وبرج إيفل بألوان العلم الصهيوني في رسالة دعم بصرية صريحة .

أما إيطاليا فقد التحقت بالركب الغربي عبر تصريحات وزير خارجيتها انطونيو تاجاني الذي أدان العملية وشرعن الرد الصهيوني القاسي المتوقع و رغم محاولة روما الظهور بمظهر الوسيط عبر التواصل مع الأردن ومصر لخفض التصعيد إلا أنها ظلت حبيسة السردية الغربية حيث حذرت من تدخل حزب الله وانتقدت الموقف الإيراني مؤكدة أنه لا خيار سوى الوقوف بجانب الصهاينة².

ثانيا: الدول العربية:

خلافا للتكتل الغربي الموحد، شهدت المنظومة العربية والإسلامية تباينا حادًا في قراءة أحداث السابع من أكتوبر إذ تراوحت المواقف بين المساندة المطلقة التي ترى في العملية حقًا مشروعًا وبين الدبلوماسية المتحفظة التي حاولت التكيف مع الواقع الجديد و موجات التطبيع السابقة وهذا الانقسام يعكس بوضوح صراع الروايات وتصادم الأولويات السياسية داخل المنطقة وهو ما سنفصله في النماذج التالية :

¹ Rishi Sunak , **There are no two sides** – Hamas are terrorists , sky News , ocober 2023 .on : <https://news.sky.com/video/rishi-sunak-there-are-not-two-sides-hamas-are-terrorists-12981354> Retrieved: 18/04/2026.

² إيطاليا : نعمل لتهدئة النزاع بين اسرائيل و فلسطين ، روسيا اليوم ، 8 أكتوبر 2023. على الرابط: <https://arabic.rt.com/world/1501582-%D8%A5%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D9%84%D9%8A%D8%A7-%D8%AA%D8%B9%D9%85%D9%84-%D9%84%D8%AA%D9%87%D8%AF%D8%A6%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B2%D8%A7%D8%B9-%D8%A8%D9%8A%D9%86-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D9%88%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86> تاريخ الاطلاع: 2026/04/18

بداية مع الموقف الإيراني ، تعد القضية الفلسطينية ركيزة بنيوية في السياسة الخارجية الإيرانية منذ ثورة 1979م، حيث انتقلت معها إيران من مرحلة التحالف مع الكيان في عهد الشاه إلى اعتباره كياناً غاصبا يجب إزالته من الخارطة¹. إذ يقوم الموقف الإيراني تجاه طوفان الأقصى على عقيدة الممانعة التي ترفض مسارات التسوية و المفاوضات و تؤمن بضرورة تقديم الدعم المادي و العسكري و حتى السياسي المطلق لمحور المقاومة الذي تشكل إيران نواته الصلبة باعتباره السبيل الوحيد لإحقاق الحقوق الفلسطينية². وينبثق هذا الإدراك من رؤية متكاملة تدمج بين ثلاثة أبعاد : سياسي يرفض التبعية للاستكبار العالمي وديني يرى في نصرة المظلوم واجبا شرعيا مقدسا ، وعقدي (مهدي) يربط بين تطهير القدس و بين التمهيد للظهور³ وبذلك تتحول فلسطين في المنظور الإيراني إلى ساحة الصراع الكبرى بين المستضعفين والمستكبرين . وانطلاقا من هذه الثوابت العقائدية التي لا تقبل المساومة تلتزم إيران بالنضال من أجل حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره و إقامته دولته المستقلة وهو ما يفسر دورها في صياغة المعادلات الجديدة بعد السابع من أكتوبر .

ولا يمكن قراءة الموقف الإيراني بمعزل عن حالة العداء الجذري الراهن مع الولايات المتحدة الأمريكية فإيران توظف ثقلها في القضية الفلسطينية كأداة لتقويض النفوذ الأمريكي في المنطقة و كسر مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي تسعى واشنطن لفرضه عب بوابه التطبيع و في ظل الراهنية السياسية، تحول هذا الصراع إلى مواجهة مباشرة تهدف من خلالها طهران إلى إثبات أن المظلة الأمريكية لم تعد كافية لحماية الكيان الصهيوني أو ضمان استقراره ، ومن منظور الصورة الذهنية فان هذا التدافع الأمريكي -الإيراني أعاد القضية الفلسطينية إلى صدارة التفاعلات الدولية ليس كنزاع حدودي فحسب بل كقلب للصرع العالمي على قيادة المنطقة مما اجبر المجتمع الدولي على إدراك أن تهديم حقوق الفلسطينيين سيظل الشرارة التي تهدد المصالح الغربية و السلم العالمي بأسره .

أما بالنسبة للموقف السعودي من الحرب على غزة فهو يستند إلى عقيدة سياسية تعتبر القضية الفلسطينية حجر الزاوية لاستقرار المنطقة ، موقف يمثل امتدادا لإرث تاريخي بدأ منذ عهد الملك عبد العزيز

¹ حمدان عبد الله ابو عمران ، الدور الإيراني تجاه القضية الفلسطينية :الاهداف و المحددات، (الأبحاث و الدراسات ، بيروت ، 2019) ص96.

² محمد خيرى، العلاقات الإيرانية- الفلسطينية في أربعين عاما... الثوابت و المآلات ، (المنتدى العربي لتحليل السياسة الإيرانية). على

الرابط: <https://afaip.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D8%A7%D9%82%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%80-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A3%D8%B1> تاريخ الاطلاع: 2026/04/19.

³ محمد مصلح، دور الجمهورية الإسلامية الإيرانية في دعم القضية الفلسطينية و محور المقاومة ، (المركز الديمقراطي العربي) على

الرابط: <https://democraticac.de/?tag=%D8%AF-%D9%85%D8%AD%D9%85%D8%AF-%D8%AE%D9%84%D9%8A%D9%84-%D9%85%D8%B5%D9%84%D8%AD> تاريخ الاطلاع 2026/04/19.

وصولا إلى الرؤية الحالية التي يقودها ولي العهد الأمير محمد بن سلمان والتي تضع حقوق الفلسطينيين كشرط أساسي لأي معادلة سلام مستقبلي . وقد تبلور هذا الموقف عمليا خلال الرفض القاطع لأي محاولات تهدف لتصفية القضية عبر التهجير القسري مع التمسك الصارم بضرورة العودة إلى مرجعيات الشرعية الدولية و على رأسها القرار الأممي 242 و مبادرة السلام العربية لعام 2002م كإطار وحيد لضمان قيام دولة فلسطينية مستقلة على حدود 1967م . أما دبلوماسيا نجحت الرياض في قيادة حراك دولي استثنائي عبر توحيد الموقفين العربي والإسلامي في قمة مشتركة و تفعيل لجنة وزارية جابت مراكز القرار العالمي (واشنطن ، بكين ، موسكو و لندن) لكسر الصمت الدولي و الضغط باتجاه وقف فوري لإطلاق النار ورفع الحصار الشامل ، وبالتوازي مع هذا الحزم السياسي برز المسار الإنساني كأداة فاعلة من خلال مركز الملك سلمان للإغاثة الذي سَيرَ جسورا بحرية وجوية ضخمة لدعم القطاع . أما فيما يخص ملف التطبيع فقد أظهرت المملكة موقفا حازما برفض المقايضة بالأمن على حساب الحقوق التاريخية حيث ربطت أي حديث عن مسار العلاقات الإقليمية بضرورة الوقف الشامل للعدوان أولا ووضع مسار لا رجعة فيه لإقامة الدولة الفلسطينية ثانيا ، مؤكدة أن التطبيع ليس هدفا مجردا بل ورقة ضغط استراتيجي لضمان نيل الفلسطينيين حقوقهم رافضةً بذلك أي مقارنة تحاول القفز فوق القضية أو تهميشها مقابل مصالح أمنية عابرة¹ .

إن هذا التحرك يعكس سياسة العقلانية المسؤولة التي تنتهجها المملكة لإطفاء نيران الصراع مع التأكيد للعالم اجمع أن تجاوز الحقوق الفلسطينية سيجعل من استقرار الشرق الأوسط أمراً مستحيلاً .

وفي جبهة أخرى نجد مصر التي تعتبر الطرف الأكثر تأثرا في ملف القضية الفلسطينية ليس فقط لثقلها السياسي وقدرتها على التوسط للوصول إلى تسويات بل لكونها تمتلك المفتاح الوحيد و المتمثل في معبر رفح ، المنفذ الأهم لإيصال المساعدات لقطاع غزة المحاصر . ومع بداية أحداث طوفان الأقصى في 7 أكتوبر سارعت القاهرة عبر وزارة خارجيتها للتحذير من مخاطر التصعيد العسكري ، وطالبت المجتمع الدولي بالضغط على الكيان الصهيوني لوقف اعتداءاتها، كما قاد وزير الخارجية سامح شكري اتصالات دولية مكثفة بهدف التهدئة ووصل الأمر إلى دعوة الرئيس المصري لعقد قمة دولية لبحث مستقبل القضية وتطوراتها الراهنة² .

¹ يوسف كامل خطاب، موقف المملكة العربية السعودية من الحرب على غزة ، (مركز الخليج للأبحاث ، 2024) ص 2- 25.
² مصر تؤكد ان امنها القومي خط أحمر وتدعو لقمة اقليمية دولية بشأن غزة ، الشرق الأوسط للدراسات ، 15 أكتوبر 2023 . على الرابط

<https://aawsat.com/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A/4606621-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D8%AA%D8%A4%D9%83%D8%AF-%D8%A3%D9%86-%D8%A3%D9%85%D9%86%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D9%82%D9%88%D9%85%D9%8A-%C2%AB%D8%AE%D8%B7->

أما في الجانب الميداني المتعلق بالمساعدات فقد اتسم التحرك المصري بالحذر الشديد حيث فضلت القاهرة عدم اتخاذ خطوات منفردة لإدخال الإغاثة دون تنسيق مسبق مع الجانبين الصهيوني والأمريكي وذلك لتجنب أي استهداف مباشر للقوافل خاصة بعد أن قام الاحتلال بقصف الجانب الفلسطيني من المعبر وتوجيه تهديدات صريحة بضرب أي شاحنة تدخل دون إذن، مما أدى لتعليق العمل في المعبر لفترة غير محددة . ورغم تدفق أطنان المساعدات إلى مطار العريش و تكديس القوافل على الطريق إلا أن مصر ظلت متمسكة بضرورة تأمين ممرات رسمية وهو ما أكدته تصريحات وزير الخارجية بأن دخول المساعدات لا يزال ينتظر الإذن و التنسيق مع الأمم المتحدة والأمناء لضمان وصولها بسلام للمتضررين في غزة¹.

بناءً على ما سبق يمكن القول أن الموقف المصري تجاه أحداث غزة قد تحرك في مساحة ضيقة جدا بين الالتزام القومي بمساندة القضية وبين الحفاظ على السيادة والأمن القومي المصري حيث تعاملت القاهرة مع ملف المساعدات والمعبر بحذر شديد فرضته الظروف الميدانية و التهديدات العسكرية المباشرة . ويظهر هذا التوجع أن الدور المصري يظل محكوما بمعادلة التوازن الصعب فهي تسعى جاهدة لتكون المنفذ الوحيد للإغاثة والوسيط السياسي الأساسي وفي الوقت نفسه ترفض الانجرار إلى مواجهات غير محسومة أو القبول بمخططات التهجير التي قد تؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية على حساب أراضيها .

تنفرد الجزائر بموقف تاريخي ومبدئي ينظر إلى القضية الفلسطينية باعتبارها قضية وطنية وجزءاً لا يتجزأ من هويتها الثورية وهو ما تجلى بوضوح عقب أحداث طوفان الأقصى، حيث لم تكتف الجزائر بالدعم التقليدي وإنما انتقلت إلى ممارسة دبلوماسية نضالية هجومية في المحافل الدولية مستغلةً بذلك مقعدها غير الدائم في مجلس الأمن الدولي لكسر الصمت تجاه جرائم الإبادة الجماعية و تعرية ازدواجية المعايير الغربية وقد شمل هذا التحرك المرافعة التاريخية للحصول على العضوية الكاملة لدولة فلسطين في الأمم المتحدة ودعم المشاريع القانونية لإنهاء الاحتلال. أما على المستوى الداخلي و الميداني عكست الجزائر التحاماً تاماً بين الموقف الرسمي والشعبي، فمن تجميد الاحتفالات والمهرجانات الثقافية والفنية تضامناً مع

[%D8%A3%D8%AD%D9%85%D8%B1%C2%BB-%D9%88%D8%AA%D8%AF%D8%B9%D9%88-%D9%84%D9%82%D9%85%D8%A9-%D8%A5%D9%82%D9%84%D9%8A%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%AF%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D8%B4%D8%A3%D9%86-%D8%BA%D8%B2%D8%A9](#) تاريخ الاطلاع: 2026/04/19

¹ اسرائيل تحذر مصر من مساعدة الفلسطينيين، هيسبريس ، 10 أكتوبر 2023. على الرابط :

<https://www.hespress.com/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%AA%D8%AD%D8%B0%D8%B1-%D9%85%D8%B5%D8%B1-%D9%85%D9%86-%D9%85%D8%B3%D8%A7%D8%B9%D8%AF%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%8A-1246135.html> تاريخ الاطلاع 2026/04/19.

الجرح الفلسطيني إلى تسيير جسور جوية عاجلة محملة بالمساعدات الطبية و الغذائية عبر طائرات القوات الجوية ، وصولاً إلى استقدام الجرحى الفلسطينيين للعلاج في المستشفيات الجزائرية . و لم يغب الخطاب السياسي الجزائري عن ملامسة الجوانب الإنسانية و الثقافية محذراً من محاولات الاحتلال طمس الهوية والتراث الفلسطيني أو تصفية القضية عبر التنكيل بالأسرى و اغتيال القادة . وبحسب القراءات التحليلية فإن الجزائر في عهد الرئيس عبد المجيد تبون تعيش زمن البومدينية الجديدة حيث أعادت فلسطين إلى قلب الخطاب السياسي الإقليمي و الدولي ، مؤكدة على معادلة أن ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وأن استقلال الجزائر يظل منقوصاً ما لم يتحرر الشعب الفلسطيني¹ .

بناءً على ما تم ذكره يمكننا قراءة تباين المواقف الإقليمية تجاه أحداث السابع من أكتوبر من منظور النظرية الواقعية في العلاقات الدولية ، حيث تبرز الدولة كفاعل عقلائي يسعى لتأمين مصالحه القومية وسط بيئة دولية تتسم بالفوضى وتضارب الإرادات فبينما جسدت إيران الواقعية الهجومية عبر توظيف القضية الفلسطينية لتعزيز نفوذها الإقليمي وتقويض الهيمنة الأمريكية نجد أن المملكة العربية السعودية ومصر قد انتهجتا واقعية حذرة تسعى للحفاظ على الاستقرار الإقليمي ومنع تصفية القضية بما يهدد أمنهما القومي معتبرين أن موازين القوى الراهنة تفرض الدبلوماسية كأداة للمناورة . أما الموقف الجزائري فقد قدم نموذجاً يمج بين الواقعية السياسية وبين الإرث القيمي والثوري حيث رأت الجزائر في نصرة فلسطين تعزيزاً لمكانتها كقوة إقليمية ذات مبادئ ثابتة في مواجهة الاستعمار و في المقابل استثمرت قطر أدوات القوة الناعمة والوساطة لتثبيت دورها كلاعب لا غنى عنه في إدارة الأزمات الدولية .

وبذلك نخلص إلى أن القضية الفلسطينية بعد طوفان الأقصى لم تعد مجرد صراع قيمي أو ديني فحسب بل تحولت إلى ساحة لاختبار الاستراتيجيات الوطنية حيث تحركت كل دولة في المساحة المتاحة لها بين الالتزام المبدئي وبين الإكراهات الجيوسياسية. مما يؤكد أن الصورة الذهنية للفعل السياسي العربي والإقليمي تظل محكومة بمعادلة دقيقة توازن بين نصرة الحق الفلسطيني وبين حماية البقاء و الاستقرار الوطني في ظل نظام عالمي لا يعترف إلا بموازين القوى.

¹ أم كلثوم جيلون ، الذكرى الأولى لانطلاق طوفان الأقصى : الجزائر مواقف ثابتة و مبادئ راسخة ، (الاتحاد ، 24 أكتوبر 2024) على الرابط : <https://www.elitihadcom.dz/%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%83%D8%B1%D9%89-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84%D9%89-%D9%84%D8%A7%D9%86%D8%B7%D9%84%D8%A7%D9%82-%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89%D8%A7> تاريخ الاطلاع 2026/04/19.

إن رصد المواقف الدولية والإقليمية وتحليل بياناتها تجاه أحداث السابع من أكتوبر، يكشف أن المعركة لم تكن سياسية وعسكرية فحسب بل كانت في جوهرها صراعاً محتدماً على الرواية وصناعة الصورة الذهنية لدى الرأي العام العالمي. هذا الصراع انتقل من الأروقة الدبلوماسية التقليدية إلى الفضاء الرقمي، حيث أصبحت المنصات الافتراضية ميداناً لحرب نفسية شاملة تديرها قوى فاعلة تتباين في منطلقاتها وأدواتها وهو ما سنعمل على تفكيك أبعاده وآلياته في المبحث الثاني من خلال استعراض فواعل السرديتين الفلسطينية والصهيونية وطبيعة المنصات الرقمية التي احتضنت هذا التدافع.

❖ المبحث الثاني: فاعلو الحرب النفسية الرقمية وآليات إدارة صراع السرديات:

أضحت الحرب النفسية الرقمية إحدى أعقد أدوات إدارة الأزمات الدولية المعاصرة، حيث لم يعد كسب المعارك رهناً على التفوق العسكري الميداني فقط، بل امتد ليشمل القدرة على الهيمنة في الفضاء الرقمي وتوجيه السرديات العالمية، يتناول هذا المبحث طبيعة القوى الفاعلة في هذا الفضاء مع التركيز على الاستراتيجيات الاتصالية المتبعة من قبل طرفي الصراع لفهم روايتهم للأحداث وذلك ضمن مسارات تحليلية توازن بين الفعل والميدان الرقمي.

● المطلب الأول: فاعلو السردية الفلسطينية: الطبيعة والأدوات :

تعد السردية Narrative أحد أهم الركائز التي قامت عليها حركات التحرر الوطني عبر التاريخ فالمعركة على الرواية لا تقل ضراوة على المواجهة الميدانية كونها المصدر الأساسي لمنح الشرعية للقضية، وفي الحالة الفلسطينية استثمرت الحركة الصهيونية منذ ما قبل 1948 في استراتيجية سحب بساط الشرعية من تحت أقدام الفلسطينيين عبر إنكار وجودهم كشعب و بالتالي تجريدهم من الحق في تقرير المصير.

إن التناقض بين السردية الفلسطينية والصهيونية هو تناقض بنيوي لا يمكن التجسير بينهما، فالاحتلال سعى لضرب معالم الهوية الجماعية الفلسطينية وتحويل الشعب إلى مجرد مجموعات بلا أحقية سيادية مستنداً في ذلك إلى تراكمات سياسية بدأت ب وعد بلفور و صك الانتداب في 1922 وصولاً لقرار التقسيم. وهي أدوات استخدمت لشرعنة الوجود الصهيوني وإلغاء الوجود الفلسطيني.¹

¹ سيف درغام ، سردية فلسطين و شرعيتها ، (مؤسسة ميزان لحقوق الانسان ، ديسمبر 2024) على الرابط : <https://meezaan.org/%D8%B3%D9%8E%D8%B1%D8%AF%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D9%81%D9%90%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86-%D9%88%D8%B4%D9%8E%D8%B1%D8%B9%D9%8A%D9%91%D8%AA%D9%87%D8%A7-%D9%85%D9%8F%D9%83%D8%AA%D9%8E%D8%B3%D9%8E%D8%A8> / تاريخ الاطلاع : 2026/04/23.

إن عام 2023 وبالتحديد طوفان الأقصى شكل محطة فاصلة في إعادة السردية الفلسطينية إلى نصابها العالمي ، فالبرغم من الدماء والدمار استطاعت هذه السردية أن تنتزع اعترافا دوليا غير مسبوق، ليس فقط بسبب وضوح صورة الجاني والضحية بل بفضل التأصيل القانوني الذي انتصر للقضية. فقد لعب الفضاء الدولي دورا مفصليا في كسر الرواية الصهيونية.¹

توج الانتصار القانوني لصالح السردية الفلسطينية بأوامر اعتقال ضد الكيان من محكمة الجنايات الدولية ، أعاد بناء الرأي العام العالمي المساند لفلسطين و بالرغم من اصطدام هذه القرارات ب ازدواجية المعايير الدولية و الفيتو الأمريكي الذي بات يعمل كرخصة للقتل ، إلا أن السردية الفلسطينية اليوم فرضت نفسها كحقيقة قانونية و أخلاقية تتجاوز الهيمنة السياسية² ، وهو ما مهد الطريق لبروز فاعلين جدد أخذوا على عاتقهم حماية هذه السردية وتوثيقها ميدانيا .

عملية طوفان الأقصى لم تكن وليدة الصدفة أو حدثا عشوائيا بل كانت نتيجة لعمل دقيق لفاعلين أساسيين خططوا لها لسنوات، إلى أن وصلوا لتطبيقها على ارض الواقع، لأسباب موضوعية سبق ذكرها في السياق الجيوسياسي للقضية الفلسطينية قبل السابع من أكتوبر ، فالبحث عن هوية هؤلاء الفاعلين يقودنا إلى أن التخطيط و الهندسة شملا مستويات عدة، بدءًا من المقاومة ، والتي يقصد بها ذلك الحراك و السياسات والدعوات و حتى العمليات التي تدعو وتدعم مقاومة الاحتلال والاضطهاد والاستعمار الصهيوني للفلسطينيين والأرض الفلسطينية ككل، كما يستخدم هذا المصطلح لوصف تحركات فلسطينية متنوعة تتراوح بين المقاومة المدنية، الشعبية والمسلحة³ وهنا نخص بالذكر إحدى فصائل المقاومة الهامة التي لعبت الدور المركزي في عملية طوفان الأقصى ألا و هي حركة المقاومة الإسلامية (حركة حماس) والتي يقع على عاتقها مسؤولية كبيرة عربيا وإسلاميا إلا وهي التحرير ، الأمر الذي جعل منها محط أنظار للعالم وللعُدو خاصةً الذي بات يترصد بها كل لحظة ويستخدم كافة الأساليب لترويضها ومنعها من تحقيق مرادها، ما دفع بها في الآونة الأخيرة للتغيير في ملامحها سواءً من ناحية البنية التنظيمية أو التغيير في لغة الخطاب السياسي والدعوي حتى في إدارتها للصراع الصهيوني وكذا مستقبل الدولة الفلسطينية⁴. هذا من جهة ومن جهة أخرى تظهر كتائب الشهيد عزا لدين

¹ المرجع نفسه .

² المرجع نفسه .

³ فرج شلهوب ، المقاومة الفلسطينية مراحل التطور و آفاق المستقبل ، مجلة البيان المجلة 2007 ، العدد 4 ، 2007/12/31

⁴ احمد مسموح ، تطور الفكر السياسي عند حركة حماس ، مدونات الجزيرة ، 2020/01/15. على الرابط:

<https://www.aljazeera.net/blogs/2020/1/15/%D8%AA%D8%B7%D9%88%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%83%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D9%8A-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D8%AD%D8%B1%D9%83%D8%A9-%D8%AD%D9%85%D8%A7%D8%B3>

الاطلاع 2026/04/23

القسام، الجناح العسكري الجهادي لحركة المقاومة الإسلامية- حماس- المقاومُ بالسلاح والقوة للاحتلال الصهيوني والتي تأسست عام 1986 م وذلك قبل الإعلان عن انطلاقة الحركة فعليا باسم حركة حماس، حيث استمر العمل تحت عناوين مختلفة حتى عام 1992 م أين أعلن أول مرة عن اسم كتائب الشهيد عزا لدين القسام في أول بيان صدر باسم الكتائب في الفاتح من جانفي 1992، تهدف إلى تحرير فلسطين من الاحتلال الصهيوني الذي يغتصبها عنوة منذ عام 1948 وكذا إلى نيل حقوق الشعب الفلسطيني التي سلبها الاحتلال، إذ تعتبر جزءا من مشروع التحرر الوطني¹.

إن تفعيل هذا الهيكل ميدانيا في طوفان الأقصى ارتبط بفاعلين مركزيين أدارو المعركة بعقول استراتيجية في مقدمتهم قائد أركان المكتب محمد الضيف الذي لم يكن مجرد قائد عسكري فقط بل رمزا لعملية التخطيط الطويلة وصناعة السلاح من العدم، بجانبه برزت قيادات ميدانية تولت هندسة المحاور القتالية مثل عزا لدين الحداد عضو المجلس العسكري العام لكتائب القسام وقائد لواء غزة الذي يعتبره الاحتلال من المسؤولين الأبرز لهندسة هذا الطوفان .

وقد اكتملت أدوار هذه القادة من جهد استثنائي للجانب الاستخباراتي الفلسطيني الخاص ب حركة حماس والذي أكد عن فشل ذريع لأجهزة الدفاع والأمن والاستخبارات الخاصة بالكيان الصهيوني فقد اخفق جهاز الأمن العام (شين بيت) والمخابرات العسكرية الصهيونية والموساد عن رصد عمليات التخطيط والتدريب والإمداد الممهدة لهذا الهجوم المعقد برا وبحرا وجوا² . وكذا جهد المقاتلين الذين نفذوا المهمة ميدانيا، ليشكل مجموع هؤلاء الفاعلين المحرك الأساسي الذي أطلق الحدث وصنع صورته الأولى .

هذا الفعل العسكري سبقه تمهيد سياسي وخطابي واضح حيث لعب يحي السنوار رئيس حركة حماس في غزة دورا محوريا في التعبئة النفسية والتمهيد لطوفان الأقصى دون أن يلتقط الكيان الصهيوني أي إشارة لذلك ويتجسد ذلك في تصريحه : " لتتحول إلى طوفان هادر، يربك المطبعين والمنسقين والمحللين "³ الأمر الذي يعكس الرؤية الإستراتيجية لهذا الصراع، الرؤية التي تجسدت ميدانيا من خلال الاعتماد الكلي على القدرات الذاتية وهو ما لخصه محمد الضيف في قوله " خرجنا لهم من تحت الركام و من بين الإحياء المدمرة واجهناهم من المسافة 0

¹ الصفحة الرسمية لكتائب الشهيد عزالدين القسام – من نحن ، على الرابط : <https://algassam.is-best.net/%d9%85%d9%86-%d9%86%d8%ad%d9%86> تاريخ الاطلاع : 2026/04/23.

² بيفرلي ميلتون ادواردز ، عملية طوفان الأقصى تكشف عن فشل استخباري اسرائيلي ذريع ، مجلس الشرق الاوسط للشؤون الدولية ، 12 أكتوبر 2023 . على الرابط : https://mecouncil.org/ar/blog_posts/%D8%B9%D9%85%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89-%D8%AA%D9%83%D8%B4%D9%81-%D8%B9%D9%86-%D9%81%D8%B4%D9%84%D9%8D-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D8%AE%D8%A8%D8%A7 تاريخ الاطلاع : 2026/04/23.

³ حلقة الطوفان ما خفي اعظم ، قناة الجزيرة ، على الرابط : <https://www.youtube.com/watch?v=GTvsWLVc9QU&t=136s> تاريخ الاطلاع : 2026/04/24 .

بمختلف الأسلحة والذخائر التي صنعناها من العدم، قتلنا ضباطهم و جنودهم، وضرينا دباباتهم وآلياتهم، واجهناهم بالنار و الانفجارات في كل زمان و زاوية و ما زالت بيننا و بينهم الحرب سجال ..¹

إن هذه التفاصيل الميدانية التي لخصتها كلمات القادة من مواجهة المسافة صفر وكذا صناعة السلاح من العدم لم تكن لتحدث الأثر العالمي المطلوب لولا وجود إرادة موازية لإخراج هذا الفعل من خنادق القتال إلى فضاء الرأي العام العالمي حيث يبرز دور الإعلام العسكري كذراع اتصالي يولى مهمة تحويل الرصاصة إلى صورة وهندسة السردية الفلسطينية رقمياً . حيث لم يترك الفعل العسكري للصدفة بل تم توثيقه ليكون دليلاً بصرياً يكسر احتكار الاحتلال للسردية .

يصاحب مفهوم الإعلام العسكري في العديد من الأدبيات العربية مفهوم الإعلام الحربي إذ يعرف بأنه الإعلام الذي يمثل أوجه النشاطات الاتصالية التي تستهدف تزويد الجمهور الداخلي و الخارجي بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة عن القوات المسلحة من أجل تكوين رأي عام لدى الجمهور حول مستويات كفاءة وقدرات هذه القوات وفي نفس الوقت مواجهة الإعلام العسكري المعادي² .

وعند إسقاط التعريف النظري للإعلام العسكري على الحالة الفلسطينية في طوفان الأقصى ، نجد أن حماس قد انتقلت من مرحلة الإمكانيات التقليدية إلى مرحلة الإستراتيجية الرقمية المتكاملة ، فبالاستناد إلى تطور المنظومة الإعلامية للحركة يظهر أن الإعلام العسكري لم يعد مجرد وسيلة لنقل الخبر بل أصبح قوة ناعمة توازي تأثيرها القوة الصلبة المسلحة .

وتتجلى هندسة السردية الفلسطينية عبر الإعلام العسكري من خلال ثلاثة مستويات تقنية وتنظيمية³ :

✓ صناعة المحتوى الصادم و الموثق: تجاوز الإعلام العسكري الافتقار لوسائل الإعلام التقليدية الثقيلة عبر الاعتماد على الإنتاج البصري عالي الجودة فاستخدام كاميرات الرأس GoPro في عمليات المسافة الصفر لم يكن مجرد توثيق عسكري بل كان صناعة للمحتوى الرقمي القادر على اختراق الفضاء العمومي الافتراضي، هذا المحتوى الذي يتميز بدقة الهدف ومصداقية المعلومات مما جعل السردية الفلسطينية تحظى بثقة عالية من الجمهور العالمي وحتى الجمهور الصهيوني مقابل تراجع ثقة هذا الأخير في سردية حكومته .

¹ المرجع نفسه .

² علي عبد الفتاح، الاعلام الحربي و العسكري ، (دار اليازوري ، الاردن ، دت) ص 17.

³ محمد طوالبية، استراتيجية حركة حماس الاعلامية اثناء طوفان الأقصى ، مجلة المعيار (قسم الاعلام جامعة غرداية ، 2024/06/01) ص 271-273.

✓ إدارة المنصات الرقمية وتجاوز الحجب: تؤكد الدراسات أن الإعلام العسكري نجح في الالتفاف على الحظر الرقمي عبر تعدد المسارات الالكترونية. وهنا تبرز ثلاثة مجموعات فاعلة تدير السردية . تمثل المجموعة الأولى الرسمية أي الحسابات المرتبطة مباشرة بالقيادة والتي تنتج فيديوهات احترافية تظهر فيها الكفاءة والقدرة العسكرية أما المجموعة الثانية وهي الرديفة تتمثل في حسابات غير رسمية يديرها مؤيدون تعمل على تضخيم المحتوى الرسمي وإعادة صياغته ليتناسب مع خوارزميات منصات التواصل الاجتماعي أما المجموعة الثالثة فهم المؤثرون والأنصار الذين يروجون للمحتوى بهدف تعريف العالم بالقضية مما يوسع نطاق السردية جغرافيا ولغويا .

✓ التوظيف الدعائي و الرمزي : فالإعلام العسكري نجح في تحويل المقاتل من مجرد عنصر عسكري إلى أيقونة بصرية ومن خلال التقسيم الرقمي للمحتوى من بيانات رسمية وفيديوهات ميدانية ورسائل نفسية استطاع هذا الجهاز أن يفرض سردية المنتصر في الساعات الأولى من الطوفان محطما بذلك صورة الجيش الذي لا يقهر ليس بالسلح فقط بل عبر قوة الصورة التي سبقت وصول الرصاصة إلى وعي المشاهد .

يمكن القول أن الإعلام العسكري عبر قنواته الرقمية بناء فضاء إعلامي مواز ربط فيه بين السردية في التخطيط والعلنية في التوثيق ليصبح هو المصدر الأول للمعلومة ويفرض السردية الفلسطينية على المستوى العالمي .

ضمن هيكله الفاعلين في السردية الفلسطينية المعاصرة، برزت شخصية أبو عبيدة كأحد أهم الركائز الاتصالية التي ساهمت في تثبيت الرواية الفلسطينية وتحويلها من نطاقها المحلي إلى فضاء العالمية ، فلم يكن دوره محصورا في الوظيفة الإخبارية فحسب بل صار يمثل الحالة الرمزية التي تمنح السردية بعدها الأخلاقي وحتى البشري. مشكلاً بذلك حلقة الوصل المباشرة بين التوثيق الميداني الصامت الذي ينتجه الإعلام العسكري وبين الجمهور المتلقي الذي يبحث عن الحقيقة وسط صراع السرديات .

بغية ملامسة الجانب التطبيقي لدور الناطق العسكري أبو عبيدة في صياغة السردية سنعمد إلى تحليل أكثر الخطابات تأثيرا في مسار طوفان الأقصى وهو الخطاب المعنون شعبيا ب "لا سمح الله" ، تم بث هذا المحتوى البصري بتاريخ 28 أكتوبر 2023 في تمام الساعة 15:30 وامتد على مدار 10:24 دقيقة مشكلا بذلك مادة دسمة للتحليل السيميولوجي والسياسي .



صورة رقم 1: من خطاب أبو عبيدة "لا سمح الله"

يعتبر أبو عبيدة الفاعل الرقمي المثلث، المشرف المباشر على دائرة الإعلام العسكري في كتائب القسام يتميز بفصاحة اللسان وفن الخطابة حيث كان عسكرياً ومناضلاً أثناء الحرب ضد العدوان الصهيوني في كل من معركة الفرقان، أيام الغضب، حجارة السجيل، العصف المأكول، معركة سيف القدس، كذا طوفان الأقصى. أطلق عليه العديد من الألقاب من بينها المثلث، نظراً للكوفية التي يغطي بها رأسه بحيث ظل لثامه الأحمر علامة المقاومة البارزة.

يظهر أبو عبيدة وهو يرتدي شريطاً على جبهته تحمل عبارة "اشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله" رمزا للشهادة ووحداً لله تعالى والتوكل عليه في كل الأمور وعبارة كتائب القسام رمز لمهنته وهوية الفرع الذي ينتمي إليه.

أما بالنسبة للزي العسكري الذي يدل عادة لانتمائه للقوات المسلحة أو الجيش. كما يرمز للانضباط والتأديب ويعكس الهوية المهنية والانتماء لمؤسسة عسكرية معينة.

في خطابه يحمل الذي يحمل خطابات مثل "يا جماهير شعبنا المرابط الصابر الأبى.." وكذا "أيها الصامدون.." يمكن تفسيرها على أنها رسالة للشعب الفلسطيني يحييه على صبره و ملازمته لأرضه من أجل الكفاح والقتال ضد الكيان الصهيوني رافعا قبعة المجاهدين على الصمود رغم انعدام السلاح والموارد الحربية.

وفي قوله أبو عبيدة " لا يحنون ظهورهم إلا لربهم .." فهو يوجه رسالة للعدو أن الفلسطينيين لا يستسلمون ولا يرضخون إلى للمولى تعالى حيث يمكن اعتبار هذا القول ردا على كل تلك الهجومات والتخويفات تجاه الشعب الفلسطيني قصد دفعه للتوقف عن الدفاع عن أرضه و شرفه .

ويقول كذلك " رأينا نصر الله يتجلى .." هنا يبعث أبو عبيدة رسالة أمل و تفاؤل إلى الشعب أن النصر من عند الله قريب بعد اندلاع طوفان الأقصى خاصة بعد الأحداث التي شهدتها غزة في تلك الفترة و التمكن من اختطاف عدد معتبر من الإسرائيليين و الذين صاروا بعدها أسرى لحماس .

يُظهر أبو عبيدة عزيمة و إرادة الشعب الفلسطيني و قوته في مواجهة العدو رغم اختلاف القوة الحربية ، من خلال مشاهدة مهاجمة الفلسطينيين بدون خوف خاصة في بداية معركة طوفان الأقصى . وفي عبارة "يكفي أن نقول للعالم أن بأن أحذية بعض المساجد و كنائس غزة أقدم من عمر دولة هذا العدو بقرون .." فهو يبعث برسالة مفادها أن غزة أرض فلسطينية منذ الأزل و لا وجود لدولة اسمها الكيان الصهيوني على هذه الأرض المقدسة . أما عندما قال " إلى زعماء حكام امتنا العربية أننا نطالبكم بالتحرك لتدافعوا على أطفال العرب و الإسلام في غزة من خلال تحريك جيوشكم و دباباتكم لا سمح الله .." أين تظهر رسالته الموجهة بوضوح إلى الحكام العرب الذين سخر من موقفهم بعبارة لا سمح الله حيث أداروا ظهورهم للقضية الفلسطينية بعدم دعم الجيش الفلسطيني بالأسلحة والإمكانات الحربية رغم امتلاكهم للخبرات العسكرية.

إن القوة الضاربة لخطابات أبو عبيدة نابعة من كونها خطابات بصرية بالأساس، فالجمهور لا يستمع لخطابه فحسب، بل ينتظر الإصدار المرئي الذي يليه ليوثق صدق كلماته . لذا فقد نجح أبو عبيدة عبر الفيديوهات القصيرة والمؤثرة في اختراق خوارزميات منصات التواصل الاجتماعي، محولا لثامه وصوته الرخيم إلى علامة تجارية للمقاومة Resistance Branding . إذ جعل هذا الانتشار الرقمي الواسع من خطابه ذاكرة مرجعية ، من خلال استقطاع عباراته و تحويلها إلى مقاطع Reels وميمات سياسية . الأمر الذي ضمن بقاء السردية الفلسطينية حية متجددة في الفضاء الافتراضي العالمي .

وعليه، نجح هؤلاء الفاعلون سواء الرسميون منهم أو غير الرسميون في تحويل الفعل الميداني إلى سردية متماسكة فرضت وجودها دوليا، الأمر الذي وضعها في مواجهة مباشرة مع سردية مضادة صهيونية سعت منذ اللحظات الأولى من طوفان الأقصى إلى استعادة زمام المبادرة عبر آليات تضليل و شيطنة الواقع.

• المطلب الثاني: الفواعل الصهيونية: البنية وأدوات التأثير:

ما أحدثه الزخم الإعلامي الفلسطيني من اختراق للوعي العالمي، برزت في مقابله سردية صهيونية "مضادة" كمنظومة دفاعية و هجومية متكاملة ، سعت إلى التفوق في حرب السرديات التي رافقت طوفان الأقصى . هذه السردية لم تكتف بالوسائل التقليدية بل استندت إلى جبهة إعلامية ورقمية واسعة تهدف إلى محاصرة السردية الفلسطينية و تمرير نسخة معدلة للواقع، تتوافق مع الأهداف العسكرية للكيان . وهو ما يفرض علينا تفكيك بنية هذه السردية و تحليل أبعادها الرقمية و كذا تحديد الفواعل التي تولت هندستها في هذا الظرف الاستثنائي .

ترتكز السردية الصهيونية على مصفوفة ادعاءات تدمج الأسطورة الدينية بالتوظيف السياسي، حيث تروج لمفهوم الحق التاريخي و الوعد الإلهي كقاعدة لتجميع اليهود في فلسطين ، مدعية ملكية الأرض منذ عهد الأنبياء إبراهيم وداوود وسليمان عليهم السلام، فهي رواية تفند لها الحقائق الأنثروبولوجية التي تثبت أن الأرض كانت عامرة بالكنعانيين واليبوسيين والعموريين قبل الهجرة الإبراهيمية (1850-1900 ق.م) بقرون¹. وبالاستناد إلى المنطق التاريخي ، نجد أن الممالك اليهودية القديمة لم تكن سوى كيانات قبلية بسيطة لم تتجاوز مدة حكمها أربعة قرون وهو ما لا يشكل حقا حصريا أمام الحكم الإسلامي الذي امتد ل 1200 سنة أو قياسا بحضارات الآشوريين والفرس والرومان . مما يجعل المقارنة و المطالبة بالحق التاريخي مجرد انتقاء سياسي لا يستند لأساس منهجي علمي².

وفي ذات السياق استندت الصهيونية سردية أرض بلا شعب لشعب لا أرض من رحم الفكر الاستعماري المادي، محاولة رسكلة التجربة الأوروبية في الكشوف الجغرافية لشرعنة استبدال السكان الأصليين بمستوطنين من أعراق أوروبية و افريقية .. لا تربطهم بالمنطقة صلة عضوية وهي مغالطة تفضحها الإحصائيات الديموغرافية لسنة 1914 التي أكدت وجود شعب فلسطيني متجذر قوامه 600 ألف نسمة³. ولتثبيت هذا الاحتلال عمدت الماكينة الدعائية إلى ترويج ترك الفلسطينيين لأرضهم طواعية متسترة على

¹ نجيب نصار ، الصهيونية ملخص تاريخها ، غايتها ، امتدادها حتى 1905 ، (مؤسسة هنداوي للنشر ، القاهرة 2012) ص 11 .

² مسعود كواتي ، اليهود في المغرب الاسلامي من الفتح الى سقوط الموحدين ، (دار هومة ، الجزائر ، 2009) ص 23-43.

³ ايلان بابيه ، التطهير العرقي في فلسطين ترجمة لاحمد خليفة ، (مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، 2006) ، ص 39-49.

حقائق الإرهاب الممنهج وقوانين المصادرة البريطانية التعسفية (قانون باتريك وولف) والمجازر التي قادتها العصابات الصهيونية (دير ياسين و خان يونس) كسبيل وحيد للاستيلاء على الأرض¹.

كما لم تغفل هذه السردية في المظلومية التاريخية (الهولوكوست) ومعاداة السامية لاستدراج العطف الغربي وتحويله إلى حصانة أخلاقية تبرر الجرائم المعاصرة وتخلق شعورا بالذنب لدى القوى الدولية وصولا إلى محاولة تجريد المقاومة من شرعيتها القانونية ووسمها بالإرهاب، بهدف شيطنة الضحية وتمير سرديّة الدفاع عن النفس المضللة وهي منظومة متكاملة تهدف في دورها إلى صناعة رأي عام عالمي يؤيد المشروع الامبريالي الصهيوني على حساب الحق الفلسطيني التاريخي والميداني².

لا تكمن قوة السردية الصهيونية في حجيتها بل في الأدوات الضخمة والإمكانات المعتبرة التي سخرت لإقناع العالم خاصة الغربي بها. و يأتي العلم و أدواته على رأسها لذ لم يتوان الصهاينة في إطلاق البحوث الأثرية والتاريخية والأنثروبولوجية لإثبات حقهم في هذه الأرض فعلى سبيل الاستشهاد يقدر حاليا عدد مراكز البحث الخاصة بالعالم الإسلامي في الكيان الصهيوني بحوالي 24 مركزا، أما عدد علماء الآثار في الكيان الغاصب الذي تعداد سكانه 9 مليون نسمة أكثر من ما هو موجود في الولايات المتحدة الأمريكية التي يتجاوز عدد سكانها 300 مليون نسمة. وهو ما يبين الاهتمام الكبير الذي يعنيه الصهاينة بالبحث الأثري وبكل السبل التي من شأنها دعم السردية الصهيونية رغم ضعفها وتناقضها وذلك دون توقف أو ملل خلال أكثر من قرن من الزمن منذ بداية هذه الأعمال عن طريق عالم الآثار التلمودي أولبرايت إلى يومنا هذا³.

يعد الإعلام رأس هرم السردية الصهيونية، إذ تمكن الصهاينة خلال عقود من الزمن من فرض سيطرتهم على مختلف وسائل الإعلام خاصة في الغرب إما عن طريق التملك المباشر كما هو الحال مع شبكة سكاي المملوكة للصهيوني مردوخ أو غير مباشر عن طريق شراء الأسهم أو التمويل أو الإشهار في القنوات العالمية مثل CNN و BBC وغيرها مما جعلها تتبنى خط واحد داعم للسردية الصهيونية ومتنكر للقضية الفلسطينية أو ساكت عنها⁴. الأمر الذي ساهم في خلق وعي جماعي لدى الإنسان الغربي بصفة عامة داعم للصهيونية من جهة وبناء صورة نمطية مليئة بالعنصرية و الكراهية للإنسان المسلم عموما والفلسطيني خاصة من جهة أخرى.

¹ محمد علي خريبة ، الصهيونية بايجاز ، (مكتبة الملك فهد الوطنية ، السعودية ، ط1 ، 2001) ص 137.

² نورمان فينلشتاين، صناعة الهولوكوست تأملات في اشتغال معاناة اليهود ترجمة سعود عطية ، (مطابع الهيئة العامة للاستعلامات ، 2001)، ص 13.

³ محمد مقرن ، أنبياء اليهود في السردية الصهيونية و أنابها العرب : https://www.youtube.com/watch?v=o7ks_eqEebI تاريخ الاطلاع : 2026/04/27 .

⁴ سليم حاج سعد ، الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية و أثرها على القضية الفلسطينية ، (مجلة قيس للدراسات الانسانية والاجتماعية ، جامعة الوادي) ص 08

ومن الأساليب التي ينتهجها الكيان الصهيوني من أجل ترويح رواياته، اختراق النخب العربية عن طريق بعض الشخصيات المشبوهة التي تتبنى السردية الصهيونية حرفياً وتروج لها بكل السبل كالكتابات والمقالات والأنشطة الجموعية ومواقع التواصل الاجتماعي خاصة في الدول التي انخرطت في مشروع التطبيع ونذكر من هؤلاء محمد سعود السعودي الذي أضى إيقونة التواصل بين الكيان الصهيوني والمملكة العربية السعودية، وحتى العراقي فاضل الربيعي الذي كتب في التاريخ وعلم الآثار وكل أعماله عبارة عن نقل حرفي للسرديات الصهيونية رغم أنه لا علاقة له بالتخصصين السابقين ولا يعلم عنه الانخراط في أي مشروع بحثي ميداني في علم الآثار، والملاحظ أن هذا النوع من الشخصيات المشكوك في طبيعة علاقاتها مع الكيان الغاصب تحظى برعاية وعناية خاصة داخل الكيان وفي كل البلدان والمؤسسات المرتبطة به.

بناءً على ما سبق، نجد أن الكيان الصهيوني لم يكتف بتلك الأساطير التاريخية كحقائق جامدة، فقد حولها إلى سلاح إعلامي اصطدم مباشرة بالواقع الجديد الذي فرضه طوفان الأقصى، فبعدما نجحت الفواعل الفلسطينية السابقة الذكر في كسر الحصار الإعلامي ونقل الحقيقة من الميدان، وجد الكيان نفسه في حالة انكسار سردي، مما دفعه لاستنفار فواعل صهيونية ميدانية للرد على هذا الاختراق. هذه الفواعل لم تعد تكتفي بتريد الأكاذيب القديمة فانتقلت إلى استخدام كل الوسائل التقنية لتزييف الحقائق ومحاولة استعادة السيطرة على الرأي العام العالمي. وعليه وجب تحليل أدوار هذه الفواعل الصهيونية التي تصدرت واجهة الأحداث في طوفان الأقصى.

بدايةً، يعتبر بنيامين نتنياهو الفاعل السياسي الرسمي الأبرز في إدارة وتوجيه السردية الصهيونية خلال معركة طوفان الأقصى. حيث اعتمدت إستراتيجيته الاتصالية على محاولة إعادة هيكلة الرواية الرسمية لتتجاوز أزمة الإخفاق الهيكلي الذي حدث في السابع من أكتوبر، فبدلاً من تحمل المسؤولية عمل على إزاحة النقاش نحو إطار سردي يصور الحرب كصراع وجودي، ويظهر ذلك جلياً في استحضاره لرموز دينية مثل أسطورة العماليق في خطاباته الرسمية لشرعنة حرب الإبادة، وتجلي دوره الوظيفي في التمسك بسردية النصر المطلق كأداة لبقائه السياسي¹ حيث استمر في ترويح أهداف غير واقعية مثل تدمير حماس

¹ طوفان الأقصى بطارد نتنياهو ويعمق ازمت اسرائيل ، (وكالة الأناضول للأنباء ، مارس 2025) على الرابط :

<https://www.aa.com.tr/ar/%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84/%D8%B7%D9%88%D9%81%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%82%D8%B5%D9%89-%D9%8A%D8%B7%D8%A7%D8%B1%D8%AF-%D9%86%D8%AA%D9%86%D9%8A%D8%A7%D9%87%D9%88-%D9%88%D9%8A%D8%B9%D9%85%D9%82-%D8%A3%D8%B2%D9%85%D8%A7%D8%AA-%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84-%D8%AA%D9%82%D8%B1%D9%8A%D8%B1-2026/04/27> ، تاريخ الاطلاع 2026/04/27

للهرب من ضغوط عائلات الأسرى و الالتفاف على صفقات التبادل . وبالتوازي مع ذلك حاول نتنياهو إدارة العزلة الدولية عبر رقمنة المظلومية كما حدث في استغلاله لمنصة الجمعية العامة للأمم المتحدة لعرض خرائط مضللة و كذا تزييف الحقائق حول المجاعة في غزة . ورغم تصاعد الانقسامات وبروز ظواهر مثل الهجرة العكسية، استمر في عسكرة الدبلوماسية و تصدير صورة الضحية عبر تكرار روايات مفبركة حول أحداث السابع من أكتوبر (مثل قضية قطع رؤوس الأطفال) و ذلك من اجل استعطاف العالم الغربي وتبرير الجرائم الميدانية مما جعل خطابه وسيلة لتضليل الرأي العام ومحاولة يائسة لترميم صورة الردع التي سحقها الميدان الفلسطيني .

يعد المتحدث باسم جيش الاحتلال الصهيوني " دانيال هاغاري " الذراع التنفيذية للسردية الصهيونية في ميدان طوفان الأقصى وقد جاء صعوده المكثف و بروزه الإعلامي كضرورة حتمية للرد على الزخم الكبير الذي أحدثه الناطق باسم كتائب القسام أبو عبيدة حيث سعى هاغاري إلى استعادة المبادرة في صراع المصادقية عبر تحويل المؤثرات الصحفية إلى منصة لإدارة عمليات نفسية ممنهجة وتتجلى أبعاد هذه السياسية في الأساليب التالية¹:

- صناعة الصورة الذهنية والتحريض : عمل هاغاري على شيطنة المقاومة عبر ربطها بمصطلحات سلبية مثل المخربين و الدروع البشرية مستخدماً استراتيجية استبدال الأسماء لنزع الصفة الوطنية عن الفعل المقاوم . كما وظف أسلوب الاستعطاف العالمي بتدويل قضية الأسرى لإضفاء شرعية أخلاقية على الجرائم الميدانية مقابل تحريض الحاضنة الشعبية في غزة عبر تصوير قيادتهم كسبب لمعاناتهم .

- التضليل المعلوماتي : اعتمد إستراتيجية الكذب و الاختلاق لتبرير استهداف المنشآت المدنية و هو ما تجسد في مسرحية مستشفى الرنتيسي و الشفاء حيث قدم أدلة بصرية مفبركة لمحاولة إقناع الرأي العام العالمي بوجود مراكز قيادة تحتها . كما مارس سياسة الإخفاء المنهجي للخسائر البشرية و المادية في صفوف جيشه مع إنكار مستمر لما يبثه الإعلام العسكري الفلسطيني للتغطية عن حالة الإرباك الميداني

- التخويف و بث المشاعر السلبية : وذلك من خلال أساليب التكرار التهديد، ركز هاغاري على زعزعة معنويات الفلسطينيين عبر التأكيد المستمر على الحرب طويلة الأمد و حتمية التصفية الجسدية للقادة)

¹ فريد عبد الفتاح ابو ضهير ، استراتيجيات العمليات النفسية في الخطابات الاعلامية ، (مجلة جامعة الزيتونة الدولي ، فلسطين 2024) ص 104-107.

كما في حالة يحي السنوار). هذه السياسة تهدف إلى خلق حالة من اليأس الجماعي وتثبيط إرادة المقاومة مع محاولة إظهار فوقية الجيش وقدراته التكنولوجية المتطورة لترميم صورة الردع المتهارة .

- المراوغة الانتقائية : انتهج دانيال أسلوب ذكر الايجابيات وإخفاء السلبيات حيث كان يروج للممرات الإنسانية المزعومة للتغطية على التهجير القسري و المجازر المرتكبة بحق النازحين كما عمل على تشتيت الجبهات عبر ربط العمليات العسكرية في غزة بالافتحامات في الضفة الغربية (جنين مثلاً) لخلق تصور شامل عن السيطرة العسكرية الكاملة و تفتيت الروح المعنوية الفلسطينية في كافة الأماكن .

تتجسد ذروة صراع السرديات في المواجهة بين أبو عبيدة ودانيال هاغاري كصدام بين فلسفتين متناقضتين ، حيث تفوقت المقاومة بإستراتيجية المصادقية الميدانية و التوثيق البصري مقابل أزمة تزييف بنيوية للمتحدث الصهيوني، وبينما تحول المثلث إلى رمز كاريزمي يلهم الرأي العام و يصنع الأمل، ظل هاغاري وجهها المؤسسة مأزومة تحاول تجميل الهزيمة بكثافة الظهور وتكرار التهديدات مما أدى هذا التباين إلى تعميق فجوة الثقة داخل الجبهة الصهيونية نتيجة الإنكار المنهجي للخسائر مقابل تعاظم التأثير النفسي لخطاب المقاومة وقدرته على اختراق العدو .

لا يمكن فهم فاعلية الخطاب السياسي لتتياهو أو العمليات النفسية لهاغاري بمعزل عن الإطار المؤسسي المنظم الذي يتحكم في تدفق المعلومات وهو ما يعرف بالهاسبارا HASBARA كونها تندرج ضمن الفاعلين المهمين في السردية الصهيونية باعتبارها الذراع الدبلوماسي والإعلامي للاحتلال الصهيوني .

يترجم مصطلح الهاسبارا والذي يعني باللغة العبرية "شرح" أو " تفسير " ولكن عملياً يشير إلى إستراتيجية المعلومات التي يتبناها الكيان الغاضب لتعزيز وحدات جبهته الداخلية وصورته العالمية بتوظيف للمعلومات، بما يضمن كسب دعم حلفائه وإجهاض أي جهود ترمي لتنظيم آراء وتحالفات معادية له وكذا تحديد الطريقة التي يتم بها التعاطي مع تعريف القضايا في وسائل الإعلام المختلفة¹ .

لا تعد الهاسبارا وليدة اللحظة، إذ تمتد جذورها إلى مطلق القرن العشرين على يد ناحوم سوكولوف الذي صاغ هذا المصطلح ليكون امتداداً للحركة الصهيونية وأداة دعم لطموحاتها . وفي معركة طوفان

¹ بسنت السيد ،الهاسبارا الإسرائيلية ودورها في تشكيل الرأي العام الدولي تجاه حرب غزة ، (مركز أون ريسيرش للبحوث العلمية و الاستشارات ، 2026) على الرابط:

<https://onresearch.org/%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7%D8%B3%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%AF%D9%88%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%AA%D8%B4%D9%83%D9%8A>
تاريخ الاطلاع : 2026/04/27.

الأقصى تحول هذا الجهاز من مجرد أداة للشرح إلى ماكينة رقمية ممولة رسمياً، حيث خصصت وزارة المالية الصهيونية ميزانيات ضخمة بلغة حوالي 63 مليون شيكل في شهر نوفمبر 2023 وحده، لدعم جهود التضليل وتوجيه الرأي العام العالمي¹.

تعتمد هذه الأخيرة في تحقيق أهدافها على آليات تقنية ومؤسسية معقدة تهدف بالأساس إلى طمس الجرائم و تثبيت الرواية أحادية الجانب ويظهر ذلك جلياً من خلال الممارسات التالية²:

- مارست ضغوطاً ممنهجة على منصات التواصل الاجتماعي مما أدى إلى المحو المتعمد لآلاف المقاطع المصورة (أكثر من 700 فيديو على منصة يوتيوب نموذجاً) التي توثق انتهاكات الاحتلال وذلك بغرض تجريد الضحايا من شرعية معاناتهم ومنع وصول الأدلة التي تدين جرائم الإبادة الجماعية للمحافل الدولية.

- عمدت إلى ترويج ادعاءات مفبركة لتبرير سياسات التجويع واستهداف منشآت مدنية، مثل الزعم بأن المقاومة تستحوذ على المساعدات الإنسانية أو اختلاق روايات حول وجود مراكز قيادة تحت المستشفيات وهي السرديات التي سعت لإضفاء صبغة الدفاع عن النفس على أفعال التطهير العرقي.

- استغلت المنظومة التفوق المالي بضخ ملايين الدولارات في الحملات الإعلانية الممولة بلغت 7.1 مليون دولار على يوتيوب في شهر واحد مع الاستعانة بمؤسسات مدنية مثل "ميراج" لتجنيد مئات المتطوعين متعددي اللغات لمخاطبة الرأي العام العالمي بلغاتهم الأم ومحاولة ربط المقاومة الفلسطينية بتنظيمات إرهابية دولية لضمان استمرار الدعم الغربي.

رغم هذا الإنفاق الهائل والتحكم في الخوارزميات إلا أن الهاسبارا واجهت فشلاً أخلاقياً ذريعاً أمام الذاكرة البصرية الحية التي شكلها المواطنون الصحفيون والنشطاء، حيث أدى تزايد أعداد الضحايا من الأطفال إلى تآكل الشرعية الأخلاقية للكيان مما جعل الهاسبارا تتحول من أداة لإقناع العالم إلى وسيلة يائسة لتثبيت الخطاب الأمني داخل الجبهة الداخلية المأزومة.

يمكن القول أن الفشل السردى الذي مني به الكيان الصهيوني في معركة طوفان الأقصى لم يكن ناتجاً عن نقص في الإمكانيات التقنية أو التمويل المالي، بقدر ما كان نتيجة حتمية لاصطدام الأسطورة المصطنعة ب الواقع الميداني، حيث عجزت ترسانة التضليل الرقمي و أجهزة الهاسبارا عن مواجهة الحقيقة البصرية التي وثقها الإنسان الفلسطيني على أرضه، لقد اثبت هذا الانكسار السردى أن قوة الوسيلة مهما

¹ المرجع نفسه.

² المرجع نفسه.

بلغت لا يمكنها حجب عدالة القضية و أن زمن احتكار الرواية السردية قد ولى أمام يقظة الوعي العالمي الذي لم تعد تخدعه مسرحية التزييف العسكري و لا التضليل السياسي .

إن الصراع المحتدم بين الفواعل الفلسطينية والأخرى الصهيونية لم يجد ميدانا للاشتباك أوسع من الفضاء السيبراني حيث تحولت المنصات الرقمية إلى ساحة صراع استراتيجي، لم تعد تكتفي بكونها وسيطا ناقلا، إنما أصبحت مختبرا حقيقيا تُختبر فيه مصداقية السرديات و تصاغ فيه موازين القوى الإعلامية عالمياً .

• المطلب الثالث: المنصات الرقمية بوصفها ساحة صراع:

فرض الواقع الرقمي في معركة طوفان الأقصى نمطاً جديداً من الاشتباك الإعلامي، حيث لم تعد المنصات الرقمية مجرد فضاء للتواصل، إذ تحولت إلى جبهة قتالية تصدر مشهدها المواطن الصحفي كفاعل محوري استطاع كسر احتكار السردية الرسمية . فقد مكنت الوسائط الرقمية مثل تيك توك، تلغرام وانستغرام وغيرها، الفرد الفلسطيني من التحول إلى وكالة أنباء قائمة بذاتها. متجاوزا بذلك مقص الرقيب الدولي والتحيز الخوارزمي للمنصات التقليدية .

برز فاعل جديد محوري، أعاد صياغة مفهوم الخبر من قلب الحصار وهو ما يعرف بالمواطن الصحفي ، ففي ظل الاستهداف المتوالي للصحفيين المحترفين ومنع وسائل الإعلام الدولية من دخول قطاع غزة، تحول المواطنون العاديون عبر هواتفهم الذكية إلى منصات إخبارية جواله كَبَحَتْ جِمَاحَ التضليل الإعلامي الصهيوني .

إن ظاهرة المواطن الصحفي تعني ممارسة المواطن البسيط وظيفة الإعلام من خلال التقاط المعلومات المختلفة عبر جهاز الهاتف و نشرها عبر منصات التواصل الاجتماعي المختلفة وصنعه للحدث، فالسبق الصحفي الذي قد تعجز وسائل الإعلام المختلفة تحقيقه، يحققه المواطن الصحفي بحيث يكون مصدر للمعلومة و منتجها هو المواطن الذي يعيش داخل هذه الأحداث ويكون جزءاً منها¹.

تتحدد القيمة المضافة للمواطن الصحفي في قدرته على منح السردية الفلسطينية بعدها الميداني والواقعي، فبينما يركز الإعلام العسكري على توثيق العمليات العسكرية، يتولى المواطن الصحفي مسؤولية نقل تفاصيل الحياة اليومية في ظل الحرب، وقد ساهم هذا الدور في أنسنة الرواية الرقمية عبر تحويل

¹خولة بحري، المواطن الصحفي في العالم العربي و تحديات العصر الرقمي، (مجلة العلوم الاجتماعية، مارس 2025) ص 105.

الأحداث من مجرد إحصائيات إلى حقائق بصرية ملموسة. مما مكن السردية الفلسطينية من اختراق الفضاءات الرقمية العالمية وتفنيد الادعاءات التي حاولت تجريد الواقع من سياقه البشري .

إن هذا الدور لم يعد محصوراً في إطاره الوظيفي ليتحول بعده إلى ممارسة مجتمعية شاملة دفعت بالعديد من الكفاءات المهنية في قطاع غزة إلى تغيير مساراتهم العملية وتوظيف مهاراتهم في توثيق حرب الإبادة ، ويظهر هذا التحول الوظيفي بشكل جلي من خلال المقابلة الشخصية التي أجرتها الباحثة مع المصور والناشط باسل أبو زيد الذي كشف عن تحول مساره المهني من قطاع الصيدلة إلى العمل الميداني ضمن مفوضية الإعلام –إقليم غرب غزة . حيث أكد باسل في شهادته أن هذا الانتقال كان استجابة ضرورية لظروف الحصار بهدف دمج مهمة التوثيق الإعلامي بمهمة الإغاثة الإنسانية و توفير الغذاء للنازحين مما يجعل من المواطن الصحفي فاعلاً مزدوجاً يجمع بين صناعة الخبر و إدارة الأزمة ميدانيا .

تحولت المنصات الرقمية عقب طوفان الأقصى من وسائط لنشر المحتوى إلى أدوات نضالية لكسر الحصار المعلوماتي أين نجح الناشطون والمؤثرون وسكان القطاع في توثيق الحقائق لحظة بلحظة ومنه فضح التضليل الصهيوني بالبحث المباشر و الصور الحية . الأمر الذي دفع بالانتقال من العفوية إلى الوعي التقني بغية فرز الحقائق مواجهة المحتوى المفبرك بالذكاء الاصطناعي.

منصة تيليغرام Telegram:

يحتل تطبيق تيليغرام مكانة إستراتيجية متفردة ضمن خارطة الوسائط الرقمية المعاصرة مستمداً شعبيته من حزمة مزايا تقنية وضعت المستخدم في قلب الحدث، لا سيما قدرته على تناول الملفات الضخمة وسلسلة إدارة المحادثات الجماعية. ومع انطلاق شرارة عملية طوفان الأقصى، تحول هذا التطبيق إلى المنصة الإخبارية الأكثر تأثيراً وحضوراً في منطقة الشرق الأوسط نتيجة الارتفاع القياسي في وتيرة استخدامه كقناة رئيسية لمواكبة التطورات الميدانية في قطاع غزة و الارتباط اللحظي بتداعيات العدوان . وفي هذا الصدد وثق مؤسس المنصة بافيل دوروف هذا التحول الاستراتيجي في الثامن من أكتوبر 2023 مشيراً إلى تسجيل مئات الآلاف من المستخدمين الجدد من الجانبين الفلسطيني و الصهيوني، مؤكداً التزام الشركة بتعزيز الوصول الموثوق للخبر والاتصال من خلال توفير الدعم التقني باللغتين العربية والعبرية، انطلاقاً من مبدأ حق المتضررين من النزاعات في الحصول على المعلومة .

ومن منظور أمن سيبراني، رصد المحلل عمر بنجاكوب في صحيفة تارس أن الانتكاسات الميدانية التي اعتاد الكيان الصهيوني مواجهتها تتزامن مع نمو طفيف في نشاط تيليغرام، غير أن ما حدث في طوفان الأقصى

كان قفزة نوعية غير مسبوقة . إذ لعبت المنصة دورا جوهريا في إدارة الحرب النفسية منذ الساعات الأولى للعملية . وقد ساهم في ذلك غياب الرقابة الخوارزمية الصارمة ووجود بنية تحتية تعتمد على القنوات المفتوحة التي تفتقر لمقص الترقيب التقليدي . مما سمح بتدفق المحتوى إلى ملايين المتابعين بسرعة فائقة تكسر جدار التعقيم الإعلامي الدولي¹ .

وتبرز حركة حماس كفاعل رقمي ذكي وجد في تيليغرام منصة مفضلة لبث الرواية البديلة، فمنذ فجر السابع من أكتوبر جرى توثيق لحظات الاقتحام و العمليات العسكرية عبر شبكة مكثفة من القنوات الرسمية التابعة لها . ويعود هذا التفضيل الاستراتيجي إلى طبيعة السياسة التحريرية للمنصة التي تبتعد عن التضييق الممنهج المتبع في "ميتا" و "اكس"، مما وفر بيئة خصبة لنشر مقاطع الفيديو و البيانات العسكرية دون خوف من الحذف الفوري . كما تمنح ميزة القنوات العامة إمكانية حشد جمهور غير محدود مقارنة بحدود تطبيقات أخرى مثل واتساب، مما جعل تيليغرام الأداة الأمثل لصناعة الرأي العام العالمي وحشد المناصرين .

علاوة على ذلك تحول تيليغرام إلى جسر رقمي يغذي بقية الشبكات الاجتماعية بالمواد الخام فمن خلال إمكانية رفع ملفات تصل سعتها إلى 2 جيجابايت تمكن النشطاء والمواطنون الصحفيون من تخطي قيود الحجم المفروضة في المنصات الأخرى و نقل المحتوى عالي الجودة الذي يوثق جرائم الاحتلال ليعاد نشره عالميًا . وقد تجلّى نجاح هذا التوجه في القفزات الرقمية المذهلة حيث تضاعف عدد مشتركى قناة كتائب القسام ثلاث مرات في الأيام الخمسة الأولى فقط، مرتفعاً من 206 ألف إلى نحو 620 ألف مشترك مع زيادة هائلة في وتيرة المشاهدات. ورغم الضغوطات التقنية التي مارستها شركتا "غوغل" و "آبل" لإزالة بعض المحتوى إلا أن تيليغرام ظل الصخرة التي تكسرت عليها محاولات الحجب متحفظاً بكتلة حرجة من المتابعين الذين يرون فيه المصدر الأكثر مصداقية و نقاءً في نقل وقائع الميدان² .

لم تكن الحرية التي وفرتها منصة تيليغرام للسردية الفلسطينية لتمر دون مواجهة شرسة من القوى التكنولوجية والسياسية العالمية حيث دخلت المنصة في مرحلة تقييد يقطع الأنفس نتيجة ضغوط مكثفة مارستها مجموعات خارجية على عمالقي التكنولوجيا آبل و قوقل . وقد هدفت هذه الضغوط إلى إجبار تيليغرام الانصياع لشروط خدمة متاجر التطبيقات مما وضع المنصة أمام خيارين أحلاهما مر، أما الامتثال لطلبات

¹ تلغرام متنفس للمقاومة الفلسطينية أغلقت ابوابه آبل و غوغل ، الجزيرة ، على الرابط :

<https://www.aljazeera.net/tech/2023/11/3/%D8%AA%D9%84%D8%BA%D8%B1%D8%A7%D9%85-%D9%85%D8%AA%D9%86%D9%81%D9%91%D8%B3-%D9%84%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%88%D9%85%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9>

تاريخ الاطلاع :

2026/04/29

²المرجع نفسه

الحظر أو المخاطرة بالحذف النهائي من متجرى AppStore و Google Play وهو ما يعني حرمان أكثر من 800 مليون مستخدم من التحديثات و الخدمات الأساسية .

وفي هذا السياق استجابت منصة تيليغرام مرغمة للضغوطات الممارسة من قبل شركة آبل تحديداً وقامت بحظر عدد من القنوات المركزية لحركة حماس على الأجهزة التي تعمل بنظام iOS وفي مقدمتها كتائي القسم التي تجاوزت حاجز 700 ألف مشترك وحساب الناطق الرسمي الذي كان يحظى بمتابعة نصف مليون مستخدم. ورغم أن قوقل لم تعلن صراحة عن طلبات إزالة مباشرة، إلا أنها لوحت بسياسات متجرها التي تفرض رقابة صارمة على المحتوى الذي تصنفه ضمن خانة الترويج للعنف. وفي استراتيجية واضحة لخنق حرية التعبير تحت مبررات قانونية وتقنية .

علاوة على ذلك برز الصراع القانوني حول المادة 230 من الدستور الأمريكي التي تمنح المنصات حق استضافة أو إزالة أي محتوى ممنوع من حرية التعبير و هو ما شكل درعا قانونياً نسبياً لتيليغرام في مواجهة الدعاوى القضائية . غير أن هذه الحصانة اصطدمت بصرامة التشريعات في الاتحاد الأوروبي حيث تفرض اللوائح الجديدة إزالة أي محتوى يصنف في إطار الإرهاب خلال ساعة واحدة فقط من الإخطار ، تحت ظل غرامات مالية باهظة تصل إلى 4% من إجمالي الإيرادات السنوية للشركة¹ .

◆ منصة اكس (تويتر سابقاً) :

تعد منصة اكس (تويتر سابقاً) الفضاء الرقمي الأكثر استقطاباً للنخب الفكرية و السياسة حيث فرضت نفسها كأداة تدوين مصغر تتجاوز في جديتها و تأثيرها منصات أخرى كفيسبوك. وقد تجلّى دورها المحوري عقب السابع من أكتوبر كساحة اشتباك دبلوماسي و إعلامي، نظراً لاعتمادها من قبل الهيئات الرسمية و المنظمات الدولية و الشخصيات الفاعلة عالمياً مما جعل المحتوى المتداول عبرها يتسم بالرصانة والتأثير المباشر في صنع القرار² .

تكتسب منصة اكس أهميتها في معركة طوفان الأقصى من ميزاتها الوظيفية التي تتيح نشر الخبر بتركيز عالٍ و سرعة فائقة وفق مبدأ ما قل و دل، الأمر الذي يسهل عملية تسويق الأفكار و متابعة المستجدات اللحظية عبر الصحف و المواقع الإخبارية³ . غير أن السلاح الأفتك في هذه المعرفة كان الهاشتاغ Hashtag

¹ المرجع نفسه .

² Williams J Chinn ,S.J & James, **The Value of Twitter for fans** , (Journal of direct Data and Digital Marketing Practice , 2014) p37.

³ علي خليل شقرة ، الاعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي (دار اسامة للنشر ، الاردن ، 2014) ص 76.

الأداة التي أحدثت ثورة في التواصل العالمي حيث تحولت من مجرد علامة تنظيمية للمناقشات إلى نقطة تجمع إستراتيجية تعمل على توحيد الجهود و حشد الطاقات الشعبية عبر القارات¹.

وفي ظل حرب الإبادة و الوحشية التي شنها الاحتلال الصهيوني و التي خلفت عشرات آلاف الشهداء والجرحى معظمهم من الأطفال و النساء، برزت الحملات الالكترونية عبر الهاشتاغات كأداة للتعبير عن مواقف الإعلام التقليدي و كوسيلة للضغط الرأي العام العالمي و توجيه انتباهه نحو قضايا إنسانية دقيقة. ومن هنا انطلقت حملات مليونية كان الهدف منها أنسنة المعاناة و تدويل المظلومية الفلسطينية و هو ما تجسد في الهاشتاغات التي رصدها الباحثة بالتواصل مع صحفية من قطاع غزة " رزان يسري أبو زيد " حيث تم تقسيم هذه الوسوم وظيفيا إلى مستويين :

- مستوى التدويل العالمي : وبرزت فيه هاشتاغات مثل #FreePalestine و #GazaGenocide وصولا إلى التردد العالمي #EyesOnRafah وهي وسوم استهدف مخاطبة الضمير الإنساني العالمي و فضح جريمة الإبادة باللغات الأجنبية لإخراج القضية من إطارها المحلي إلى المحاكم الدولية و كذا الرأي العام العالمي

- مستوى التوثيق الداخلي : حيث تصدرت وسوم مثل #غزة_تحت_القصف و #شمال_غزة_يجوع لربط العالم بتفاصيل الحصار الميداني، بالإضافة إلى هاشتاغ #المقاومة_مش_إرهاب الذي جاء كرد فعل لتصحيح المفاهيم و تنفيذ السردية الصهيونية . وتبرز حملة #غزة_تموت_جوعا كنموذج حي لسرعة التجاوب الرقمي حيث استطاع المغردون من خلالها كشف وجه آخر للعدوان يتمثل في سلاح التجويع و منع وصول المساعدات و حليب الأطفال .

لقد تحول الهاشتاغ هنا من مجرد كلمة مفتاحية الى صرخة احتجاج جماعية استنكرت الصمت الدولي تجاه موت الأطفال جوعاً مما أثبت أن الحملات الالكترونية عبر منصة اكس تمتلك القوة الكافية لإحداث التأثير و التغيير عبر إيصال صوت من لا صوت لهم إلى العالم اجمع و تعرية همجية الاحتلال أمام المجتمع الدولي .

◆ منصات ميتا : FaceBook – instagram

تمثل منصات شركة ميتا (فيسبوك و انستغرام) النموذج الأكثر وضوحاً للانحياز الخوارزمي الممنهج خلال معركة طوفان الأقصى ففي القوات الذي كان يفترض فيه أن تعمل الوسائل كبديل ديمقراطي للمراسلين الأجانب الذين منعوا دخول غزة إلا بمرافقة عسكرية صهيونية تحول خوارزمياتها إلى حارس بوابة رقمي يفرض

¹ Waston E , Education : The potential Impact Of Social Media and Hashtag Ideology on the Classroom , (Research in Social Scinces and Technology,2020)p 41 .

قيوداً تتناقض مع شعارات حرية التعبير وبدلاً من أن تكون جسراً لنقل الحقيقة، مارست هذه المنصات سياسة التغييب الرقمي للمنافذ الإخبارية الفلسطينية مما أعاد صباغة مفهوم الرقابة في العصر السيبراني لتصبح رقابة برمجية غير معلنة .

وتتجسد هذه الرقابة، في البيانات التحليلية التي قدمتها هيئة الإذاعة البريطانية BBC والتي كشفت عن تراجع حاد في معدلات التفاعل والمشاركة لـ 20 مؤسسة إخبارية فلسطينية بارزة بنسبة بلغت 77% منذ أكتوبر 2023 . هذا الانخفاض لم يكن نتاج تراجع الاهتمام الجماهيري بل كان نتيجة سياسات التعديل والتقييد الموجه فعلى سبيل المثال شهدت قناة فلسطين التلفزيونية رغم قاعدتها الجماهيرية العريضة (5.8 مليون متابع) انخفاضاً في وصول منشوراتها بنسبة 60 % . وفي مقابل هذا الحصار الرقمي على الرواية الفلسطينية أظهرت الدراسة ذاتها ارتفاعاً في تفاعل الجمهور مع الصفحات الإخبارية الصهيونية (يديعوت وأحرونوت و القناة 13) بنسبة 37% وهو ما يثبت إحصائياً وجود ازدواجية معايير رقمية تمنح الأفضلية التقنية لسردية على حساب أخرى . وتؤكد أن الفضاء الرقمي ليس ميداناً محايداً كما يروج له ¹.

علاوة على ذلك واجه الفاعلون إستراتيجية الحظر الظلي وهي آلية برمجية تهدف إلى تقويض انتشار المحتوى دون حذف الحسابات بشكل كامل لتجنب الانتقادات الحقوقية المباشرة ، وقد كشفت الوثائق المسربة عن زيادة وتيرة تعديل التعليقات والمحتوى المرتبط بفلسطين عبر انستغرام تحديداً مما دفع المستخدمين إلى ابتكار أساليب مقاومة رقمية للإلتفاف على الرادار الخوارزمي مثل استعمال الكلمات المقطعة أو الرموز التعبيرية للحفاظ على حضور السردية في الستوريات والمنشورات ².

إن هذا الصراع الرقمي داخل منصات ميتا يوضح كيف تحولت الخوارزمية من أداة تقنية إلى أداة سياسية بامتياز . سعت لمحاورة أنسنة القضية الفلسطينية ومنع وصول الصورة الميدانية الخام إلى الوعي الجمعي العالمي .

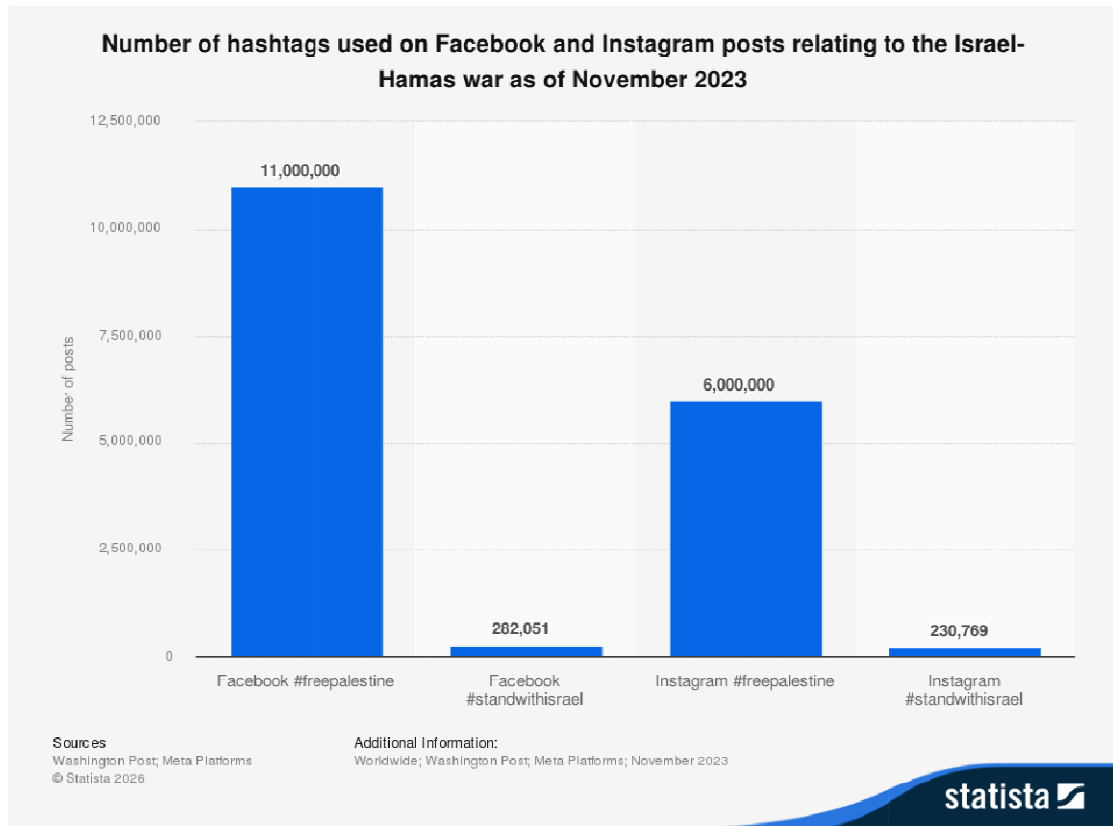
في ذات السياق يعتبر الصحفي والمصور الفلسطيني معتز عزازية أحد الأسماء التي برزت على مواقع التواصل الاجتماعي الذي عمد إلى نقل الصورة من غزة و وثق جرائم الاحتلال الصهيوني هناك ، مثال للتضييق الحاصل على المحتوى الفلسطيني إذ أغلقت شركة ميتا حسابه على منصة الانستغرام وقت الحرب وفقاً لما نقله موقع العربي الجديد وقد كان يتابعه نحو 12 مليون متابع على صفحته . كل هذا يدخل في حرب المنصات الرقمية، حرب للأصوات على المنصات الرقمية التي تدعم القضية الفلسطينية.

¹ كيف قامت فيسبوك بتقييد الوصول الى الاخبار الفلسطينية خلال العدوان ، الميادين ، على الرابط : <https://www.almayadeen.net/news/politics> تاريخ لاطلاع : 2026/04/29.

² الموقع نفسه .

لم تكن معركة السرديات عبر منصات ميتا مجرد صراع تقني فحسب بل كانت مواجهة رقمية اثبتت فيها السردية الفلسطينية تفوقا كاسحا من حيث الانتشار و التفاعل الشعبي العالمي و تؤكد البيانات الاحصائية المجمعة حتى نوفمبر 2023 (الموضحة في الشكل البياني) حدوث طفرة رقمية لصالح القضية الفلسطينية ، اذ سجل هاشتاغ *#FreePalestine* عبر منصة فيسبوك وحده ما يربو على 11 مليون منشور في مقابل لم يتجاوز فيه الهاشتاغ الداعم للكيان الصهيوني حاجز 282 ألف منشور . ويمتد هذا التفاوت الإحصائي ليظهر بوضوح عبر منصة انستغرام أيضا مما يثبت أن محاولات الحجب والتضييق الخوارزمي لم تنجح في كبح الزخم الرقمي المناصر للقضية بل كشفت عن تحول جذري في الوعي الجمعي لمستخدمي الفضاء السيبراني الذين انتصروا للسردية الصادقة على حساب البروبغندا الموجهة .

الشكل رقم 1 : إحصائيات استخدام الهاشتاغات المتعلقة بالحرب على غزة على منصتي انستغرام وفيسبوك حتى نوفمبر 2023 .



المصدر : منصة ستاتيستا¹

¹ <https://www.statista.com/statistics/1465581/facebook-instagram-hashtags-israel-palestine-conflict/>

رغم النجاعة الفائقة التي أبدتها مواقع التواصل الاجتماعي في كسر الحصار الإعلامي وفضح الانتهاكات الصهيونية منذ السابع من أكتوبر إلا أن هذه الفاعلية اصطدمت بجدار من التحديات المنهجية . الأمر الذي أسفر عن عواقب ليست فقط تقنية بل كشفت عن ازدواجية معايير بنيوية داخل كبرى الشركات التكنولوجية . مما وضع النشاط أمام معركة غير متكافئة مع الخوارزميات تارة ومع التهديد الوجودي الميداني تارة أخرى . ويمكن رصد أبرز هذه التحديات في النقاط التالية¹ :

1. الانحياز المؤسسي والرقابة الخوارزمية (شركة ميتا أنموذجا) : كشفت حرب غزة عن زيف الشعارات المتعلقة ب حيادية الفضاء الرقمي حيث تبنت شركة ميتا سياسات هي الأكثر صرامة تجاه السردية الفلسطينية تحت ذريعة مكافحة المحتوى العنيف أو المنظمات الخطرة ، وتؤكد الأرقام هذا التحيز إذ أزلت الشركة في الأيام الثلاثة الأولى للعدوان أكثر من 795 ألف عنصر محتوى باللغتين العربية والعبرية وهو ما يمثل إضعاف وتيرة الحذف في الأشهر السابقة . ولم يتوقف الأمر عند الحذف بل امتد لفرض قيود تقنية غير مسبقة شملت:

- التلاعب بمستويات الثقة : خفضت أنظمة ميتا الآلية عتبة الثقة المطلوبة لقمع الخطاب العدائي للسوق الفلسطينية من 80 % إلى 25 % مما أدى لحذف واسع للمحتوى الفلسطيني مقابل غض الطرف عن 20 ألف محتوى تحريضي صهيوني رصدته منظمة صدى .
- خلق الوصول الرقمي : من خلال حظر البحث بالهاشتاغات المناصرة و تقييد خاصية البث المباشر وتفعيل خوارزميات تحجب روابط محددة حتى في المحادثات المشفرة عبر ماسينجر .
- الاستهداف المهني : طال الحظر أكثر من 170 رقما عبر واتساب كان منهم 90 % صحفيين في قطاع غزة مما يعد محاولة متعمدة لقطع خطوط التواصل بين الصحفي و مصادره

2. التطهير المهني والعقوبات الشخصية للمؤثرين : تجاوزت التحديات الرقابة الرقمية إلى العقاب المادي والمهني حيث واده المؤثرون والنشطاء الداعمون للقضية في الفضاء الدولي حملات شرسة لفقدان العديد منهم لوظائفهم أو إلغاء عقودهم التجارية . هذا التطهير المهني يثبت أن حرية التعبير أصبحت مشروطة بمدى موافقتها للسردية المهيمنة وأن الهجوم اللاذع من الصحافة العبرية على الأصوات المستقلة بمدى خطورة هذه الأقفاه الرقمية في كشف زيف الدعاية الصهيونية

3. الاستهداف العسكري المباشر : يمثل الاستهداف الجسدي المباشر للصحفيين والناشطين كصالح الجعفرأوي وعبود ذروة محاولات الاحتلال لإسكات الدليل الحي ومنع توثيق جرائم الحرب، فمن خلال

¹ - فتحة حشاش، القضية الفلسطينية بين اكراهات الواقع و آمال التحرر (جامعة باتنة 1 ، كلية العلوم الاسلامية ، 2025) ص 9 - 11 .

قصص عشرات المؤسسات الإعلامية وتصفية الكلمة بالصواريخ يسعى الكيان لتغيب الحقيقة التي تدينه أمام المحاكم الدولية .

أدى التفاعل الرقمي بين الفواعل و المواجهة الميدانية إلى بروز واقع إعلامي جديد تجاوز حدود الرقابة، الأمر الذي يقودنا إلى رصد تجليات التحول في الصورة الدولية للقضية الفلسطينية و مستقبلها في الوعي العالمي .

❖ المبحث الثالث : تجليات التحول في الصورة الدولية للقضية الفلسطينية :

انتقلت القضية الفلسطينية في البيئة الرقمية من سياق التضامن العاطفي إلى مركزية الوعي السياسي العالمي رغم محاولات الإزاحة الإعلامية وصناعة التهميش الرقمي في الفترة الأخيرة عبر إثارة قضايا جانبية لتشتيت الرأي العام العالمي ، ومنه سنحاول رصد أهم هذا التحول بدءاً من تراجع السردية الصهيونية وصعود السردية الفلسطينية عالمياً .

• المطلب الأول : تراجع السردية الصهيونية وصعود المركزية الفلسطينية عالمياً :

لا يمكن قراءة التحولات الراهنة في المشهد الدولي دون التوقف عند الانزياح العميق في موازين القوى الرمزية، فالمتأمل في المسار الذي أعقاب أحداث طوفان الأقصى، يدرك أننا أمام مشهد انقلبت فيه الأدوار بشكل جذري . فبينما تراجعت السردية الصهيونية التي هيمنت لعقود على العقل الغربي لتصبح في موقف دفاعي، تقدمت المركزية الفلسطينية إلى الأمام كقضية إنسانية وحقوقية عالمية تجاوزت كل محاولات التغيب . وهذا التحول ليس مجرد انفعال عاطفي عابر بل هو زلزال قيمي أعاد ترتيب الأولويات في الوعي الجمعي الدولي . الأمر الذي يدفع إلى إثبات هذا الأخير من خلال رصد الانهيار الهيكلي للخطاب الصهيوني مقابل الصعود الكاسح للتضامن العالمي .

لقد شكلت هذه المرحلة نقطة النهاية للمظلومية التاريخية التي طالما استثمر فيها الكيان الصهيوني، إذ تهاونت الرواية الرسمية أمام تدفق مشاهد الحقيقة التي فضحت زيف الادعاءات الصهيونية و هو ما ترجم عملياً باستقالة رئيس منظومة الدعاية الإسرائيلية الهسبارا " موشيك افيف " في اعتراف ضمني بالعجز عن مجارة السردية الفلسطينية المنتشرة عالمياً . و بدلا من الإقناع انتقل الخطاب الصهيوني إلى لغة التهيب والوعيد، حيث تم رصد تهديدات مباشرة عبر حساب الموساد الرسمي استهدفت المتظاهرين بتقنيات

التعرف على الوجوه لضرب مستقبلهم المني، مما يؤكد فقدان الكيان لأسلحة القوة الناعمة ولجوءه للموقع الرقمي لمحاصرة الحقيقة¹.

وعلى صعيد آخر أثبتت الوقائع الميدانية حدوث انقسام جلي حاد أعاد رسم خارطة التعاطف الدولي لا سيما لدى الأجيال الشابة التي لم تعد تعتمد على العالم التقليدي الموجه، فحسب إحصائيات مراكز الأبحاث بلغت نسبة المظاهرات المؤيدة لفلسطين 95% مقابل 5% فقط للكيان في الفترة التي أعقبت 13 أكتوبر. هذا الصعود المذهل يعود الفضل فيه إلى الدبلوماسية الرقمية الشعبية التي قادها الجيل Z حيث ساهمت المنصات الرقمية في تغيير المعادلة العالمية وإيصال صوت الضحية لقلب الرأي العام العالمي².

ولعل ابرز تجليات هذا التحول القيمي ظهرت في انتفاضة الجامعات الغربية التي انطلقت من جامعة كولومبيا في 17 أبريل 2024 لتتحول سريعاً إلى حراك عالمي شمل 140 حرماً جامعيًا في الولايات المتحدة وامتد لقرابة 25 دولة حول العالم. ورغم أن التقارير الدولية أكدت على سلمية الحراك بنسبة 97% إلا أن السلطات واجهته بقمع عنيف أسفر عن اعتقال أكثر من 2000 شخص، هذا الصدام لم يكن مجرد احتجاج سياسي بل كان صرخة أكاديمية طالبت بسحب الاستثمارات من الشركات الداعمة للاحتلال وتفكيك البنية الفكرية الصهيونية في الجامعات الغربية³.

بناءً على القراءة التحليلية لدراسة الدكتورة آية عنان حول تحولات الرأي العام الغربي اتجاه القضية الفلسطينية بعد طوفان الأقصى⁴، ومن خلال استقراء المعطيات الإحصائية والميدانية الواردة في البحث، قامت الباحثة بتكثيف و تلخيص أبرز تلك التحولات في الجدول التالي:

- جدول مقارنة مسار الرأي العام: (قبل و بعد أحداث أكتوبر):

¹ استقالة رئيس المنظومة الدعائية لاسرائيل، الجزيرة، على الرابط:

<https://www.ajnet.me/news/2024/5/10/%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%82%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%B1%D8%A6%D9%8A%D8%B3-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%86%D8%B8%D9%88%D9%85%D8%A9-2>

تاريخ الاطلاع: 2026/05/02

² معهد ابحاث اسرائيلي: 95% من تظاهرات العالم مؤيدة لفلسطين مقابل 5% مع اسرائيل، الميادين، على الرابط:

<https://www.almayadeen.net/news/politics> تاريخ الاطلاع: 2026/05/02

³ Major Gaza protests at US univerties, BBC news, on: <https://www.bbc.com/news/world-us-canada-68901927> retrieved on 02/05/2026.

⁴ آية عنان، تحولات الراي العام الغربي تجاه القضية الفلسطينية بعد طوفان الأقصى، (مركز الحضارة للدراسات و البحوث، 2023) ص

المرحلة	وضع الرأي العام الغربي والخطاب الإعلامي
الأيام الأولى (7 أكتوبر)	طغيان الرواية الصهيونية، غياب السياق التاريخي للانتهاكات، تعاطف واسع مع الكيان الصهيوني .
بعد الرد الصهيوني	تشكل قناعة بتجاوز الانتقام للحدود ،فقدان السردية الصهيونية لزخمها، بدء الالتفات للسياق التاريخي .

- جدول رقم 1-

- جدول لمؤشرات التحول في الرأي العام الغربي :

المؤشر	التفاصيل و الأرقام القياسية
استطلاعات الرأي العام	-انقسام سياسي : 25% من داعي بايدون يدعمون الكيان،مقابل 76 من ناخبي ترامب -انقسام جيلي : دعم ساحق للفلسطينيين بين الشباب (اقل من 35 سنة) -تراجع الدعم : انخفاض المطالبين بدعم الكيان من 41% إلى 32% خلال شهر واحد -وقف النار : 68% من الأمريكيين يؤيدون وقف إطلاق النار .
المنصات الرقمية	المنشورات المؤيدة لفلسطين على (انستغرام ، X ، يوتيوب، تلغرام) كانت أكثر ب 3.9 مرات من المؤيدة للكيان الصهيوني .
المظاهرات الشعبية	-عالميا: ارتفعت نسبة المظاهرات المؤيدة لفلسطين من 69 % عند بداية الأحداث إلى 95% بعد 13 أكتوبر -الولايات المتحدة: 402 مظاهرة مؤيدة لفلسطين مقابل 182 للكيان . -الجامعات : حراك واسع من هارفارد و تكساس إلى جانب احتجاجات نوعية (محاصرة سفن ، إضراب عن الطعام ..)
الخطابات غير رسمية	-المشاهير:بيانات جماعية لفناني هوليوود للمطالبة بوقف إطلاق النار -المؤثرون : بروز شخصيات مثل جاكسون هنكل كقوة مؤثرة ضد السردية الصهيونية.

-جدول رقم 2-

يؤكد الاستقراء التحليلي للمعطيات الإحصائية والميدانية الواردة في الجداول أعلاه، أن الرأي العام العالمي قد انتقل من مرحلة التلقي السلبي للسردية الصهيونية إلى مرحلة النقد والبحث عن السياق التاريخي ، فالمقارنة بين استجابة الرأي العام في الأيام الأولى وما بعدها تظهر بوضوح انكسار الهيمنة الإعلامية للكيان حيث لم يعد غياب السياق كافيا لإقناع الشعوب الغربية بعد أن تجاوز الرد الصهيوني حدود الانتقام إلى الإبادة الجماعية .

وتجسد الزيادة الإحصائية لهذا التحول في الفجوة الجيلية والسياسية ،فأن يرتفع تأييد وقف إطلاق النار إلى 68% بين الأمريكيين و ينخفض دعم الكيان بنسبة تقارب 10 % في شهر واحد، فهذا مؤشر قطعي على تآكل القوة الناعمة الصهيونية . فهذا الزخم الرقمي الذي جعل المنشورات المؤيدة لفلسطين تتفوق ب 3.9 مرات على نظيرتها الصهيونية هو الذي نقل القضية من السياسة الرسمية إلى فضاء الدبلوماسية الرقمية الشعبية و المظاهرات الميدانية التي اكتسحت العالم بنسبة 95% .

نخلص في نهاية هذا المطلب إلى أنّ السردية الصهيونية قد تراجعت إلى الوراء بعد أن فقدت مظلوميتها المفترضة أمام صعود المركزية الفلسطينية التي تقدمت لتصبح قضية التحرر الأولى عالميا . ولم يكن هذا الصعود مجرد رقم إحصائي بل كان انزياحا قيميا قاده الشباب و الجامعات و المؤثرون ، مما أحدث صدعا في منظومة القيم الغربية وازدواجية معاييرها . وأمام هذا الفشل الذريع في السيطرة على العقول لجأت القوى الناعمة للكيان إلى استراتيجيات بديلة تعتمد التهميش الرقمي و صناعة قضايا إزاحة لتشتيت هذا الانتباه العالمي المتزايد وهو ما سنفصله في المطلب الموالي .

● المَطْلَبُ الثَّانِي : الإِزَاحَةُ الإِغْلَامِيَّةُ وَصِنَاعَةُ التَّشْوِيشِ الرِّقْمِيِّ :

تعرضت القضية الفلسطينية في الآونة الأخيرة لعملية تهميش ممنهجة و مدروسة تهدف إلى إزاحتها عن صدارة المشهد العالمي و صرف الأنظار عن حرب الإبادة في غزة . هذا التهميش لم يكن عفويا بل تم عبر استخدام ملفات بديلة كأدوات الهاء سياسي و إعلامي و على رأسها قضية الملياردير جيفري أبستين و كذا تصعيد نذر الحرب بين الولايات المتحدة الأمريكية و إيران . فاستحضار هذه الأزمات في توقيتات محسوبة يعمل كقنبلة دخانية تسعى لخلط الأوراق وتشتيت انتباه الرأي العام الدولي عن الجرائم المرتكبة بحق الشعب الفلسطيني في لحظات التحول الكبرى .

- أولا : ملف أبستين و السيطرة الخوارزمية :

إن ما حدث مع ملفات جيفري أبستين يمثل نموذجا صارخا لكيفية إدارة الانتباه الرقمي ، فبينما كان العالم يتابع فظائع غزة ، تم إغراق المنصات بفضائح صادمة و قديمة لهذا الملياردير. الغريب في الأمر هو الانتشار الكثيف وغير المؤلف لهذه الملفات عبر منشورات مقترحة وصلت لأشخاص لا يتابعون ناشريها ولا تربطهم بالمحتوى أي علاقة تفاعلية ، مما يؤكد وجود إدارة خوارزمية واعية تتحكم في تدفق المحتوى تعيد توجيه الرأي العام نحو قضايا بعينها . وهنا لم تكن هذه المسألة صدفة تقنية بل مؤشرا واضحا على تحول المنصات الرقمية إلى فاعلين سياسيين يمتلكون القدرة على توجيه الإدراك الجماعي، فالخوارزميات مارست الإغراق المتعمد بمحتوى فضائحي يستنزف العواطف ولا يحدث تهديدا حقيقيا للبنى السياسية القائمة بل يزاحم القضية الفلسطينية ويضعف حضورها عبر تقديم محتوى أكثر قابلية للاستهلاك السريع واقل كلفة سياسية. ومنه يمكن القول أن إثارة قضية أبستين هذا الزخم جعلت المجازر والحصار في غزة تتحول إلى أخبار عابرة بينما منحت الملفات الفضائحية مساحة مضخمة لأنها لا تحرج النظام الدولي ولا تفرض أسئلة جوهرية حول المحاسبة .

- التصعيد الإيراني _ الأمريكي :

بالتوازي مع الإزاحة الرقمية ، استخدم التصعيد الإقليمي ونذر الحرب بين واشنطن وطهران كغطاء سياسي لعزل القضية الفلسطينية، فالدولة التي تشغل الساحة الدولية بملف أزمة كبرى غالبا ما تنجح في تبديل أولويات المجتمع الدولي . ومنه فالمواجهة بين الولايات المتحدة والكيان الصهيوني من جهة وإيران من جهة أخرى تحولت إلى أزمة كبرى استنزفت الأمم المتحدة والمؤسسات الدولية، الأمر الذي جعل القضية الفلسطينية تتراجع في سلم الاهتمام وتصبح قضية ثانوية في أجندات معظم الدول . هذا الانشغال الدولي يمنح الاحتلال الصهيوني فرصة ذهبية لتنفيذ مخططاته الميدانية من قتل و تهجير و تجويع بعيدا عن ضغط الرأي العام. حيث تمنح هذه الأزمات المفتعلة أو المضخمة مبررا للمجتمع الدولي لتأجيل الضغط على الكيان الصهيوني في قضايا مثل الاستيطان، بحجة ترتيب أمن المنطقة وتجنب انقسام المواقف الدولية. ومنه يمكن القول أن ما نعيشه اليوم استنساخا لما حدث إبان احتلال العراق عام 2003 حيث انشغل العالم بتلك الحرب وبدأت الدول تخطط لترتيبات ما بعد الحرب بينما تعرضت القضية الفلسطينية لهيميش واضح وقيود دبلوماسية مما يعزز حالة الكفيل و الالتزام العميق بين واشنطن وتل أبيب لتمرير مخططات السيطرة على الإقليم تحت غطاء الأزمات المتسارعة .

وعليه، نخلص للقول أن ملفات أبستين والحرب الإيرانية غطت على القضية الفلسطينية بمعنى أنها جمّعت الأنظار اتجاهاً مما جعل العالم يبتعد نوعاً ما على أخبار غزة اليومية، لكن هاتين الملفين خدما القضية في الرأي العام من جهة أخرى، وذلك من خلال إيضاح الصورة أن الحليف الصهيوني-أمريكي هو الذي يقوم بمجازر ضد الإنسانية وبالأخص الأطفال والنساء وهذا ما حصل في حرب إيران أين تمت أول عملية عسكرية بعد مقتل الخامنئي بقصف مدرسة للبنات (طور ابتدائي) وفي ملفات أبستين كشفت التقارير المسربة أن جزيرة ليتل جيمس "جزيرة الشيطان" كانت تُمارس فيها كل الطقوس التي تعكس لا إنسانية الأشخاص الموجودين فيها (تجارب الاستنساخ، الاعتداءات على الأطفال وجعلهم قرابين للشيطان الأكبر)

هاته الحقائق جعلت كبرى وسائل الإعلام الغربية والعربية ترفع الستار على عديد القضايا العالمية التي كانت موجودة في أدراج المكاتب، إذ أصبح تقديم المعلومة كما هي صادمة للجمهور نظراً لهول الكم الهائل من المعلومات والأخبار والفيديوهات التي سربت على شخصيات عالمية كانت تدعي الإنسانية والسلام. ما جعل الرأي العام العالمي يغير موقفه مع أبرز قضية في العصر الحديث وهي حرب الإبادة على غزة. التي أصبحت تلقى تضامناً واسعاً من مختلف أطراف المجتمع الدولي وبالأخص الغربي وهذا ما قاله

السنوار: "غزة ستغير العالم". ومنه نقول أن غزة وحربها رفعت الستار وأظهرت حقيقة الكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية للعالم على أنهما دولاً إرهابية مارقاً.

واستناداً على ما سبق، ومن انكشاف الوجه الإرهابي للتحالف الصهيوني-أمريكي عبر ملفات أبستين وكذا التوترات الإقليمية المصطنعة، يمكن إثبات أن معركة الوعي اليوم لم تعد تخاض في الميادين التقليدية فحسب، بل حتى في دهايز الفضاء السيبراني ومنصات التحكم الرقمي. فالفشل في تهديم القضية الفلسطينية رغم كل محاولات الإزاحة والإغلاق المعلوماتي يشير على محلة جديدة من المواجهة، حيث لم تعد السردية الفلسطينية مجرد ضحية للخوارزميات وإنما أصبحت فاعلاً قادراً على اختراق جدران الصمت الدولي. ومن هنا تبرز ضرورة استشراف المسارات المستقبلية لهذه المواجهة الرقمية وكيف ستصاغ ملامح القضية في ظل بيئة رقمية تتأرجح بين الرقابة الممنهجة وبين قدرة الشعوب على الابتكار الإعلامي.

● المَطْلَبُ الثَّالِثُ: سِينَارِيُوهَاتُ الْقَضِيَّةِ الْفَلَسْطِينِيَّةِ فِي الْبِيئَةِ الرَّقْمِيَّةِ :

بناءً على ما تم رصده من تحولات في بنية الوعي الإدراكي العالمي، وكذا لتفكك في آليات الحرب النفسية التقليدية بات من الضروري قراءة مآلات هذا الصراع في الفضاء السيبراني الذي أصبح يحكم معادلات القوة الناعمة، لذا سنعتمد في هذا المطلب على منهجية السيناريوهات التي تركز على تحليل

المتغيرات الراهنة وكذا الفاعلين المؤثرين في البيئة الرقمية بغية استشراف ثلاث مسارات مستقبلية للقضية الفلسطينية دولياً :

- السيناريو التفاؤلي : والذي يقوم على تعاظم اليقظة الرقمية العالمية وتحولها إلى أداة ضغط سياسي دائمة تكسر الحصار الإعلامي .
- السيناريو الإتجاهي: الذي يفترض استمرار حالة الاشتباك الرقمي الحالية بين محاولات للحجب الصهيوني-أمريكية وقدرة السردية الفلسطينية على الاختراق .
- السيناريو التشاؤمي : والذي يستشرف تغول واحتكار الذكاء الاصطناعي وخوارزميات الرقابة على الساحة الرقمية وذلك لتشكيل سجن رقمي يهدف لإعادة عزل القضية عن مركزية الاهتمام الدولي .

◆ السيناريو التفاؤلي : ينطلق هذا السيناريو من فرضية نجاح السردية الفلسطينية في التحول من مجرد تفاعل لحظي إلى وعي عالمي ثابت لا يتأثر بمرور الوقت، حيث يفترض هذا المسار أن الشعوب وخاصة فئة الشباب في الغرب قد تجاوزوا نهائياً مرحلة التصديق الأعلى للإعلام التقليدي المنحاز، وأصبحوا يعتمدون على الفضاء الرقمي لاستقاء الحقائق مباشرة من الميدان. وعليه تنهار محاولات تشويه صورة المقاومة أمام قوة المشاهد الإنسانية التي يشاركها الناشطون . الأمر الذي يؤدي إلى فشل سياسة الحجب والرقابة التي يمارسها الكيان الصهيوني و حلفاؤه . هذا الوعي الرقمي الجديد سيتحول بالتدريج إلى قوة ضاغطة على كافة شعوب المعمورة تجبر الحكومات والمنظمات الدولية على تغيير مواقفها تجاه القضية الفلسطينية . وفي نهاية المطاف يرى هذا السيناريو أن طوفان الأقصى قد فتح باباً لا يمكن إغلاقه وقراراً لا رجعة فيه أمام الحقيقة، مما يضمن بقاء القضية الفلسطينية كقضية حياة إنسانية عالمية حقوقية تنصدر المشهد الرقمي و السياسي بعيداً عن محاولات التهميش والنسيان .

◆ السيناريو الإتجاهي : يتوقع هذا السيناريو بقاء الوضع الحالي على ما هو عليه، إذ يستمر التنافس القوي بين السردية الفلسطينية وبين محاولات التضييل التي يمارسها الكيان وحلفاؤه . كما يفترض هذا المسار أن الرأي العام العالمي سيبقى في حالة انقسام بين شعوب تدعم الحق الفلسطيني عبر الفضاء الرقمي و بين حكومات ومنصات كبرى تحاول فرض الرقابة وكذا تقييد المحتوى المؤيد للمقاومة . وبناءً على ذلك تظل معركة الصورة الدّوليّة في حالة كر وفر فلا ينجح الاحتلال في استعادة صورته الذهنية السابقة تماماً، وفي نفس الوقت تواجه السردية الفلسطينية صعوبات تقنية و ملاحقات رقمية تمنعها من الوصول إلى كافة الجماهير . كما يرى هذا السيناريو أن الاهتمام الدولي سيبقى مرتبطاً بحجم الأحداث الميدانية فكلما زادت

المواجهة زاد التفاعل الرقمي لكن دون الوصول إلى تغيير جذري و شامل في موازين القوى السياسية الدوليّة. وفي النهاية يعكس هذا المسار استمرار حرب الاستنزاف الإعلامية التي نعيشها اليوم حيث يصارع الوعي الشعبي العالمي ضد منظومات التعقيم التقليدية دون حسم نهائي لأحد الطرفين.

◆ السيناريو التشاؤمي : يقوم هذا السيناريو على فرضية مفادها نجاح القوى الكبرى و كذا الكيان الصهيوني و حلفاؤه في تطوير أدوات تقنية متطورة لإعادة السيطرة على الفضاء السيبراني ومنه خنق السردية الفلسطينية بشكل كامل من خلال استخدام الذكاء الاصطناعي و خوارزميات الرقابة المسبقة لحجب المحتوى الداعم للمقاومة قبل وصوله للجمهور العالمي ، مما يؤدي إلى تراجع اليقظة الرقمية التي شهدناها بعد عملية طوفان الأقصى . واستنادا على ذلك تعود الصورة الدولية للقضية الفلسطينية إلى مربع التهميش نتيجة سياسة الإلهاء الإعلامي واختلاق أزمات دولية بديلة تشغل الرأي العام العالمي عن مأساة الشعب الفلسطيني . ويرى هذا السيناريو أن نجاح حملات التشويه من جديد و تعاظم الضغوطات على شركات التكنولوجيا قد يؤديان إلى عزل السردية الفلسطينية داخل نطاق ضيق جداً، مما يمنعها من التأثير في القرارات السياسية الدولية . وفي النهاية يخبص هذا المسار إلى أن غياب استراتيجية رقمية فلسطينية موحدة ومستقلة قد يسمع للمنظومة الإعلامية المعادية باستعادة هيمنتها السردية وحتى إعادة فرض رؤيتها المشوهة للصراع .

◆ استقراء واقع و مستقبل القضية الفلسطينية في ضوء المقابلة الميدانية :

من أجل تعميق الرؤية الاستشرافية للمسارات المستقبلية التي تم طرحها ، ومن أجل تدعيم الجانب التطبيقي بالمعطيات الميدانية تم إجراء هذه المقابلة يوم 3 ماي 2026 على الساعة 11 صباحاً مع الدكتور عز الدين الرنتيسي المتحصل على شهادة الدكتوراه في الإعلام الرقمي من جامعة العلوم الإسلامية الماليزية، أستاذ الدراسات الإعلامية و الرأي العام، مدرس في الجامعة الإسلامية بغزة و كذا مختص في الخطاب الإعلامي للدبلوماسية الرقمية تجاه الشرق الأوسط . صاحب البريد الإلكتروني الأكاديمي الرسمي: izzeddinalrantissi@gmailcom

تمحورت الأسئلة المطروحة حول تحليل آليات الرحب النفسية الرقمية بعد طوفان الأقصى وبحث سبل استدامة التحول في الرأي العام العالمي تجاه القضية الفلسطينية وصولاً إلى استشراف مستقبل هذا الصراع في البيئة السيبرانية ، وفيما يلي عرض لمحاور المقابلة :

❖ المحور الأول: الحرب النفسية والرأي العام في البيئة السيبرانية

- كيف تصفون لنا تحول معركة الوعي من الأساليب التقليدية إلى الحرب النفسية الرقمية بعد الطوفان؟ وهل أصبح الفضاء السيبراني هو الميدان الحقيقي لحسم الصراع؟

تكتسب دراسة التحولات التي طرأت على معركة الوعي في السياق الفلسطيني أهمية متزايدة في ظل التغيرات البنيوية التي شهدتها البيئة الرقمية، خاصة بعد "طوفان الأقصى" الذي شكّل نقطة انعطاف في طبيعة الصراع وأدواته، فقد انتقل هذا الصراع من نمط تقليدي كانت تتحكم فيه المؤسسات الإعلامية الكبرى، إلى فضاء رقمي مفتوح يتسم باللامركزية والتدفق اللحظي للمعلومات، ما أفضى إلى تداخل الأبعاد الإعلامية والنفسية والرمزية في تشكيل مخرجاته. وفي هذا الإطار، لم يعد التأثير مقتصرًا على الفعل الميداني، بل بات مرهونًا بمدى القدرة على إدارة الإدراك الجمعي وصياغة الرواية.

لقد أعادت البيئة السيبرانية تعريف الحرب النفسية بوصفها عملية مركبة تتجاوز الرسائل الدعائية المباشرة، لتشمل التلاعب بتدفقات المعلومات، وإعادة إنتاج المعنى عبر التفاعل الجماهيري والخوارزميات. ومع هذا التحول، أصبحت معركة الوعي ساحة مركزية لا تقل أهمية أو شراسة عن المواجهة العسكرية، حيث يُعاد من خلالها تحديد المجرم والضحية، وتُبنى القناعات التي تؤثر في مواقف الرأي العام الدولي وصناع القرار. ومن ثم، يمكن النظر إلى الفضاء الرقمي باعتباره ميدانًا حقيقيًا للصراع، وإن كان لا يحسمه منفردًا، إلا أنه يلعب دورًا حاسمًا في توجيه نتائجه السياسية والدبلوماسية.

- كيف استطاعت السردية الفلسطينية اختراق الحصون الرقمية الدولية التي كانت محتكرة لسنوات من طرف بروبغندا الاحتلال؟

في هذا السياق يمكن الإشارة إلى مسارين، حيث برز في المسار الأول الإعلام المقاوم كفاعل مركزي في إدارة هذه المعركة، من خلال انتقاله من موقع رد الفعل إلى موقع الفعل المبادر في إنتاج السردية الفلسطينية والحق في المقاومة لشعب يرزح تحت الاحتلال العنصري وفق الشرائع السماوية والقوانين والمواثيق الدولية، فقد استطاع إعلام المقاومة عبر توظيف التوثيق المباشر والمحتوى البصري الاحترافي والمكثف إبراز البطولة والجسارة والأخلاق الرفيعة التي تضبط المقاومة، أن يكسر احتكار الرواية الذي هيمن طويلاً على الفضاء الإعلامي الدولي لتشيويه صورتها واتهامها بالإرهاب وقطع رؤوس الأطفال واغتصاب النساء والاحتماء بالمدنيين والتي افتضح كذبها أمام العالم. أما المسار الثاني فقد

ركز على البعد الإنساني، من خلال إبراز الإبادة الجماعية وحرب التجويع ومعاناة المدنيين وقصص الأطفال والنساء واستهداف الأطباء والمسعفين والشرائح المكفولة بالحماية في القانون الدولي والإنساني، في نقل القضية الفلسطينية من إطارها السياسي المجرد إلى مستوى التجربة الإنسانية الملموسة، الأمر الذي عزز من قابلية تلقفها والتفاعل معها لدى جمهور واسع، خاصة في البيئات الغربية.

- كيف نجح " المواطن الصحفي " في كسر رقابة الخوارزميات التي تفرضها المنصات الكبرى الداعمة للكيان؟

تعزز هذا التحول بفعل الطابع اللامركزي للإنتاج الإعلامي، حيث لم تعد السردية الفلسطينية حكرًا على المؤسسات الرسمية، بل أصبحت نتاجًا تراكميًا لممارسات رقمية يشارك فيها الأفراد عبر ما يُعرف بـ"المواطن الصحفي". هذا الفاعل الجديد أسهم في تقويض جزء من القيود التي تفرضها المنصات الرقمية، من خلال إعادة إنتاج المحتوى بصيغ متعددة، وتوظيف شبكات التضامن الرقمي التي تضخم انتشاره، ما حدّ من قدرة الخوارزميات على الإقصاء الكامل للرواية الفلسطينية، رغم استمرار هذه القيود بشكل لافت وملحوظ.

❖ المحور الثاني: صراع السرديات وتحولات الصورة الدولية للقضية الفلسطينية:

- ما هي الأدوات الاتصالية التي مكنت حركة حماس من تجاوز حملات التشويه العالمية؟ وهل ترون أن الوعي الرقمي الجديد لدى الشعوب أصبح محصنًا؟

على مستوى صراع السرديات، شهدت الصورة الدولية للقضية الفلسطينية تحولًا ملحوظًا بعد السابع من أكتوبر، حيث كان من المفترض أن تدفن القضية الفلسطينية ويتم تصفيتا ونسيانها بالتزامن مع هرولة الدول العربية إلى التطبيع وانزلاقها إلى ما يسمى بالاتفاقيات الإبراهيمية وتجاهل العالم لمظلومية الشعب الفلسطيني وتجريم مقاومته وشتيتها ووصمها بالإرهاب. والحديث عن حملات التشويه والشيطنة هي في الأساس أداة صهيونية لاستهداف وضرب كل من يقاوم "إسرائيل" سواء كان سنيًا أو شيعيًا أو درزيًا أو مسيحيًا أو بلا دين، أما في ما يتعلق بالأدوات التي استخدمتها حركة حماس والمقاومة الفلسطينية في تجاوز حملات التشويه لم يكن نتيجة أداة واحدة، بل حصيلة تفاعل منظومة اتصالية متعددة المستويات أعادت تشكيل قواعد الاشتباك الإعلامي.

- كيف تحولت الصورة الدولية للقضية الفلسطينية برأيكم، ما هي المضامين الرقمية التي كان لها الأثر النفسي في نقل المعاناة الفلسطينية وتغيير مواقف الشعوب الغربية ؟

سخر الصحفي الفلسطيني التحولات التي شهدتها القضية الفلسطينية، مدفوعة بالمضامين الرقمية ذات الطابع الإنساني والتأثير العاطفي المباشر. فقد لعبت الصور ومقاطع الفيديو والشهادات الحية دورًا حاسمًا في إحداث صدمة إدراكية لدى المتلقي، عبر تقديم واقع المعاناة بشكل مباشر دون وسيط إعلامي يقوم بوضع الأخبار في أطر خبرية لا تخدم سوى أجندت المؤسسات الإعلامية التي ترتبط مصالحها بالاحتلال لا سيما وكالات الأنباء العالمية، كما أسهمت المقارنات البصرية بين أطراف الصراع في إعادة تأطير الحدث بالبعد الإنساني والحق في الحياة والحرية ومقاومة الاحتلال، بما أضعف الروايات التقليدية وفتح المجال أمام إعادة تقييم المواقف، خاصة لدى فئات الشباب في المجتمعات الغربية.

وقد انعكس ذلك في تزايد مظاهر التعاطف الرقمي والشعبي، خاصة في المجتمعات الغربية، مدفوعًا بتغير في أنماط استهلاك الإعلام وتراجع الثقة في الروايات الرسمية، غير أن هذا التحول رغم أهميته، لا يمكن اعتباره تحولًا نهائيًا أو مستقرًا، إذ يبقى عرضة للتراجع في ظل استمرار الحملات المضادة والتي رصد لها الاحتلال الإسرائيلي ضمن ميزانية العام 2026 نحو 730 مليون دولار مخصصة للدبلوماسية العامة أو ما يعرف باسم "هسبارا"، بالإضافة إلى تكثيف التفاهة وأدوات الإلهاء الإعلامي، ما يعكس هشاشة التوازن في معركة الوعي الرقمية، ويعبر عنها بخاصية "عدم الثبات" كأهم خاصية من خصائص الرأي العام.

- ما هي أبرز التحديات التي واجهت المقاومة الفلسطينية في إيصال الرسالة الإعلامية الرقمية؟

واجه الإعلام الفلسطيني المقاوم جملة من التحديات البنيوية، في مقدمتها القيود الخوارزمية التي تحدّ من انتشار المحتوى، والانحيازات المؤسسية للمنصات الكبرى وازدواجية المعايير، إضافة إلى فجوة اللغة والثقافة مع الجمهور الدولي. كما برزت إشكاليات تتعلق بإدارة الزخم الإعلامي في ظل كثافة الأحداث وخطر إرهاق الجمهور، ما يستدعي تطوير أدوات الخطاب وتجديد أساليبه للحفاظ على التأثير.

❖ المحور الثالث: الاستراتيجيات الإعلامية والسيناريوهات المستقبلية:

- هل ترون أن التحول الحاصل في الرأي العام العالمي حال تجاه القضية هو تحول استراتيجي دائم أم أنه مجرد تعاطف لحظي قد يتآكل أمام أدوات الإلهاء المستمرة؟ وما الإجراءات المطلوبة لتعزيز الإعلام الرقمي المقاوم؟

في ضوء هذه المعطيات، يظل مستقبل التحول في الرأي العام العالمي مفتوحاً على عدة سيناريوهات، يتراوح بين ترسيخ السردية الفلسطينية وانتصارها، أو استمرار حرب استنزاف رقمية بين الروايات والذي بات يُعرف "بحرب السرديات"، أو إعادة تشديد السيطرة على الفضاء الرقمي بما يحدّ من هذا التحول، غير أن المعطى الأبرز يتمثل في أن ما تحقق حتى الآن يمثل فرصة إستراتيجية، وليس تحولاً نهائياً، ما يستدعي استثماراً مستداماً للحفاظ على هذا الزخم وتطويره.

وعليه، فإن تعزيز موقع الإعلام المقاوم في البيئة السيبرانية يقتضي الانتقال من الممارسات العفوية إلى البناء المؤسسي، عبر تطوير فرق إعلامية متعددة اللغات، والاستثمار في إنتاج محتوى بصري عالي الجودة، وتبني استراتيجيات رقمية قادرة على المبادرة لا الاكتفاء برد الفعل. كما يستدعي الأمر تعزيز مهارات النشطاء في مجالات التأثير الرقمي والأمن المعلوماتي، وتوسيع الحضور على المنصات المختلفة، بما يضمن استمرارية الوصول إلى الجمهور الدولي.

في الختام، يمكن التأكيد على أن الإعلام الرقمي، في سياق الصراع الفلسطيني، لم يعد مجرد أداة لنقل الأحداث، بل تحول إلى فاعل بنيوي في تشكيلها وإعادة تعريفها. وفي هذا الإطار، يحتل الإعلام المقاوم موقعاً محورياً في إدارة الحرب النفسية وصراع السرديات بما يمتلكه من قدرة على تفكيك الخطاب المهيمن وإعادة بناء الوعي الجماهيري، وفتح أفق جديد لفهم الصراع حيث تغدو معركة الوعي أحد المحددات الأساسية لمآلاته المستقبلية.

تعد هذه المقابلة تنويجا للجانب التطبيقي للدراسة حيث أتاح تحليل مضمونها استخلاص جملة من المؤشرات الجوهرية التي ترسم ملامح الواقع الراهن و المستقبل الإستشرافي للقضية الفلسطينية ، فمن حيث الواقع ، أكدت المعطيات الميدانية نجاح السردية الفلسطينية في إحداث إزاحة معرفية كسرت احتكار السردية الصهيونية بفضل فاعلية المواطن الصحفي و تجاوز الرقابة الخوارزمية عبر أنماط رقمية بديلة . أما من حيث الاستقراء المستقبلي فقد خلصت المقابلة إلى أن استدامة هذا الزخم مرتبطة بمدى القدرة على الانتقال من الفعل العفوي إلى المؤسسة الرقمية لمواجهة حرب الاستنزاف التي يشنها الاحتلال عبر

الدبلوماسية العامة " الهاسبارا " و هو ما يعزز من فرص تحقق السيناريو التفاؤلي الذي يجعل من الوعي الرقمي العالمي متغيرا حاسما في حسم الصراع لصالح الحق الفلسطيني .

- استنتاجات:

على ضوء ما سبق نخلص إلى مجموعة من الاستنتاجات:

- ✓ انتقلت المعركة من الميدان التقليدي إلى الفضاء السيبراني كساحة مركزية و أساسية لحسم صراع السرديات و تشكيل الوعي الدّولي .
- ✓ نجحت السردية الفلسطينية في تفكيك هيمنة الخطاب الصهيوني من خلال المبادرة بالتوثيق المباشر و المصادقية البصرية
- ✓ أثبتت التجربة قدرة الفواعل الرقمية الجديدة على اختراق الرقابة الخوارزمية عبر شبكات تضامن عالمية عابرة للحدود .
- ✓ يتطلب ضمان استدامة التأثير في الرأي العام العالمي الانتقال من المجهودات الفردية العفوية إلى إستراتيجية إعلامية مؤسسة ومنظمة .

خُلاصَةُ الْفَصْلِ الثَّانِي :

نستخلص من دراستنا لهذا الفصل أن أحداث السابع من أكتوبر أي طوفان الأقصى لم تكن مجرد مواجهة عسكرية ميدانية بل شكلت نقطة تحول جيوسياسي ونفسي ، أدت إلى إعادة صياغة موازين القوى في البيئة الرقمية العالمية . فبعد عقود من هيمنة السردية الصهيونية التي كانت تقتات على الدعم المطلق من الحليف الصهيوني وكذا السيطرة على وسائل الإعلام التقليدية ، برز واقع جديد فرضته قوة المشهد الرقمي و التدفق الحر للمعلومات عبر الفضاء السيبراني.

لقد كشف تحليلنا لفاعلي السردية عن تباين جذري بين خطابين، خطاب فلسطيني اعتمد على أنسنة القضية ونشر الحقائق الميدانية بالصوت و الصورة وبين خطاب صهيوني حاول استعادة إستراتيجية الشيطنة ونزع الإنسانية عن المقاومة . هذا الاشتباك لم يظل حبيس المنصات الرقمية بل تحول إلى ساحة صراع حقيقة أدت إلى تراجع السردية الصهيونية التي فقدت الكثير من مصداقيتها أمام الرأي العام العالمي خاصة مع انكشاف زيف السرديات المضللة في الساعات الأولى للمعركة .

وبالنسبة لظاهرة الإزاحة الإعلامية التي رصدناها في هذا الفصل، أثبتت أن البيئة الرقمية رغم ما يشوبها من تشويش و رق عبر الخوارزميات قد مكنت السردية الفلسطينية من اختراق الوعي الدولي وإحداث تغيير جذري في الصورة الذهنية للقضية. فقد تجولت فلسطين من ملف سياسي هامشي إلى بوصلة أخلاقية تحرك الملايين في المنصات الرقمية و في الحياة الواقعية الأمر الذي وضع القوى الكبرى أمام ضغط شعبي غير مسبوق تجاوز حدود الجغرافيا و الانتماءات الأيديولوجية .

وفي الختام ومن خلال استشرافنا للسيناريوهات المستقبلية وتقاطعها مع آراء خبراء في الجانب التطبيقي يتبين أن معركة الوعي لا تزال مستمرة ومفتوحة على مسارات متعددة، فبين تفاؤل استدامة اليقظة الرقمية العالمية وتخوف من تغول أدوات الرقابة التقنية لإعادة فرض التهميش، تبقى الحقيقة الثابتة هي أن طوفان الأقصى قد كسر جدار الخوف الرقمي وصنع فجوة في جدار الهيمنة الإعلامية الغربية لا يمكن ترميمها بسهولة. وعليه، فإن هذا التحول في الرأي العام ليس مجرد تعاطف عابر بل هو إزاحة معرفية تؤسس لمرحلة جديدة تكون فيها السردية الفلسطينية هي الفاعل الأقوى في تشكيل الصورة الدولية للقضية مستقبلاً .

الخاتمة:

تُعد هذا الدراسة محاولة أكاديمية لتقصي أبعاد الحرب النفسية الرقمية وانعكاساتها الجوهرية على تحولات الرأي العام العالمي، في ظل المشهد الجيوسياسي المعقد الذي أفرزته معركة طوفان الأقصى. وقد انطلقت الدراسة من تساؤل مركزي صيغ في الإشكالية التالية : : إلى أي مدى تساهم أدوات الحرب النفسية الرقمية في صياغة مواقف الرأي العام العالمي حيال القضية الفلسطينية بعد معركة طوفان الأقصى ؟ و هي الإشكالية التي تفرعت عنها تساؤلات بحثت في آليات الاشتباك المعرفي و صراع السرديات في البيئة السيبرانية.

وللإجابة على هذه الطروحات جاء الفصل الأول كعتبة مفاهيمية ونظرية، حيث جرى فيه تفكيك بنية الحرب النفسية وتتبع مسار تطورها الكرونولوجي وصولاً إلى نمط الحرب المعرفية المعاصرة . كما غاص هذا الفصل في سيكولوجية الرأي العام العالمي وكيفية هندسة الصورة الذهنية عبر الفضاء الافتراضي، مع توضيح الدور الذي تلعبه الخوارزميات والفقاعات الرقمية في توجيه الإدراك وكذا كيفية بناء سرديات مضادة تمنح المناعة المعلوماتية مواجهة استراتيجيات التضليل السيبراني .

بينما انتقل البحث في الفصل الثاني إلى المختبر التحليلي والميداني من خلال إسقاط تلك الأطر النظرية على واقع معركة طوفان الأقصى بوصفها حاضنة للحرب النفسيّة. أين تم تحليل التداخل بين البعدين العسكري والإعلامي-النفسي، وتوصيف المنصات الرقمية كساحة صراع محتدم بين فاعلي السردية الفلسطينية و الصهيونية. وقد توج هذا المسار بمقابلة علمية مع الخبير الدكتور عزا لدين الرنتيسي التي أتاحت فرصة لتقييم الإزاحة الإعلامية الحاصلة في الضمير العالمي و رصد سيناريوهات التحول في الصورة الدولية للقضية الفلسطينية بعد أحداث 7 أكتوبر .

وعليه، يمكن القول أن أحداث طوفان الأقصى تجاوزت حدود المواجهة العسكرية لتصنع واقعا جديدا في صراع الوعي والمعلومات. إذ أثبتت التجربة الميدانية أن الأدوات الرقمية والمنصات البديلة استطاعت مواجهة الترسانة التكنولوجية الكبرى و منه تجاوز قيودها. فقد كشفت الدراسة عن تحول عميق في أساليب التأثير، حيث تلاحمت التكنولوجيا بالواقع بالإنساني لتفتح أمام القضية الفلسطينية نافذة تاريخية مكنتها من إعادة تقديم نفسها للعالم كقضية تحرر إنسانية عادلة. وعليه فإن التفاعل الرقمي المستمر خلق حالة إدراكية جديدة لدى المجتمع الدولي، حوّلت السردية الفلسطينية الصادقة إلى سلاح فعال قادر على تغيير القناعات وتصحيح الصور الذهنية المغلوطة، وهو ما يقودنا إلى تلخيص أهم المخرجات التي توصلنا إليها في النتائج الجوهرية التالية :

- أولاً : لعبت الحرب النفسية الرقمية دوراً حاسماً في إعادة صياغة التوجهات الدولية، لما وفره الزخم الإعلامي لمعركة طوفان الأقصى من بيئة اتصالية كسرت احتكار السردية الواحدة، ونجحت في نقل القضية من نزاع حدودي إلى مركزية التحرر الإنساني في الوعي العالمي
- ثانياً : أثبت الواقع الميداني وجود علاقة ارتباطية طردية بين تطور تكتيكات الحرب السيبرانية وتغير مواقف الشعوب، إذ استطاعت هندسة الصورة الذهنية البديلة اختراق المنظومات الخوارزمية المضللة، مما أحدث تحولاً ملموساً في اتجاهات الرأي العام الدولي الذي بات أكثر انفتاحاً على عدالة السردية الفلسطينية.
- ثالثاً: أكدت الدراسة التحليلية صحة الفرضية الفرعية الثانية، حيث تبين أن بروز فاعلين جدد وأدوات تأثير بديلة في صراع السرديات الرقمية قد أسهم فعلياً في تفكيك هيمنة الرواية الصهيونية، مما أحدث اختراقاً نوعياً في الصورة الذهنية الدولية للقضية الفلسطينية وحقق صعوداً غير مسبوق لمركزيتها عالمياً.
- وعليه تقترح الدراسة جملة من التوصيات والمقترحات التي نراها ضرورية وذلك وفق الآتي :
 - توصي الدراسة بضرورة الحفاظ على الحضور القوي للقضية الفلسطينية في الفضاء الرقمي كفعل يومي مستمر، وعدم حصر التفاعل الشعبي والإعلامي في فترات الحروب والأزمات فقط، وذلك لبقاء القضية حية في وعي العالم الدولي
 - ضرورة إدراج مادة الحرب النفسية الرقمية وصراع السرديات ضمن البرامج الجامعية لتخصصات العلوم السياسية والإعلام، بهدف تكوين باحثين قادرين على فهم وتفكيك أساليب التضليل التي يمارسها الاحتلال في الفضاء السيبراني .
 - التوجه لإنتاج محتوى رقمي بلغات حية (الإنجليزية و الفرنسية خاصة) يخاطب المجتمعات الغربية بلغة حقوقية و إنسانية، وذلك لكسر السردية الصهيونية و تصحيح الصور الذهنية المغلوطة عن الحق الفلسطيني.
 - البحث عن بدائل تقنية و منصات تواصل مستقلة تضمن وصول السردية الفلسطينية للعالم، بعيداً عن سياسات الحجب و التقييد التي تفرضها الشركات التكنولوجية الكبرى الداعمة للاحتلال الصهيوني على المحتوى الداعم لفلسطين.

➤ العمل على إنشاء أرشيف رقمي شامل يوثق كافة الحقوق و الانتهاكات التي رصدها الناشطون خلال المعركة، ليكون مرجعا تاريخيا و قانونيا يمنع الاحتلال من تزيف السردية أو محو الحقائق من الذاكرة الرقمية العالمية .

قائمة المراجع والمصادر:

أ) المراجع باللغة العربية :

◆ المصادر:

- القرآن الكريم ، سورة الأنفال، الآية 60.

◆ القواميس:

1. ابن منظور أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، بيروت: دار صادر، د.ت.
2. الفيروز آبادي مجد الدين محمد، القاموس المحيط، القاهرة: دار الحديث، 2008.

◆ الكتب :

1. أبو الشباب أحمد عوض، مقومات النصر في ضوء القرآن والسنة، بيروت: المكتبة العصرية، 1999.
2. أبو ضهير فريد عبد الفتاح، استراتيجيات العمليات النفسية في الخطابات الإعلامية، فلسطين: (ب.د)، 2024.
3. الأزعر محمد خالد، المقاومة الفلسطينية بين غزو لبنان والانتفاضة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1991.
4. إمام إبراهيم، الإعلام والمجتمع، (ب.ب): المؤسسة الجامعية للدراسات، 2018.
5. بابيه إيلان، التطهير العرقي في فلسطين (ترجمة أحمد خليفة)، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2006.
6. باقر طه (مترجم)، ألواح سامر (للمؤلف صموئيل كريمر)، القاهرة: مكتبة الخانجي، (د.ت).
7. برهان شاوي، الدعاية والاتصال الجماهيري عبر التاريخ (ج1)، بيروت: دار الفارابي، 2012.
8. بيكير منى، الترجمة والصراع: حكاية سردية (ترجمة طارق النعمان)، القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2018.
9. التهامي مختار، دراسات في الإعلام والسياسة، الجزائر: منشورات جامعة الجزائر، 2022.
10. حسين سمير محمد، الرأي العام "الأسس النظرية والجوانب المنهجية"، القاهرة: دار الفكر العربي، 2019.

11. الحاج حسن علي محمد، الحرب الناعمة: الأسس النظرية والتطبيقية، (ب.ب.): المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، 2018.
12. حمزاوي ميلود، الحرب النفسية الحديثة، الجزائر: الفا للوثائق للنشر والتوزيع، 2024.
13. حميد شاكر عبد، علم نفس الإبداع، مصر: دار غريب للطباعة والنشر، 1995.
14. خريبة محمد علي، الصهيونية بإيجاز، السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، 2001.
15. الدباغ مصطفى، المرجع في الحرب النفسية، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1998.
16. زغيب شيماء ذو الفقار، نظريات في تشكيل اتجاهات الرأي العام، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2004.
17. سليمان صالح، وسائل الإعلام والدبلوماسية العامة، القاهرة: دار الفكر، 2015.
18. شقرة علي خليل، الإعلام الجديد شبكات التواصل الاجتماعي، الأردن: دار أسامة للنشر، 2014.
19. صالح محسن محمد، حقائق وثوابت في القضية الفلسطينية، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2020.
20. الصلابي علي محمد، السيرة النبوية، القاهرة: مكتبة التوبة، 2003.
21. عابد زهير عبد اللطيف، الرأي العام وطرق قياسه، عمان: دار اليازوري العلمية، (د.ت).
22. العبد عاطف عدلي، الاتصال والرأي العام، القاهرة: دار الفكر العربي، 1993.
23. عبد الحليم محي الدين، الرأي العام، القاهرة: المكتبة الأنجلو مصرية، 2009.
24. عبد الفتاح علي، الإعلام الحربي والعسكري، الأردن: دار اليازوري، (د.ت).
25. عدوي عبد الله محمود، الرأي العام والقضية الفلسطينية، (ب.ب.): المكتب الفني في الملقى للنشر، 2021.
26. عجوة علي، العلاقات العامة والصورة الذهنية، القاهرة: عالم الكتب، 1999.
27. العيسوي عبد الرحمن محمد، الحرب النفسية والدعائية، بيروت: منشورات الحلبي الحقوقية، 2004.
28. فينلشتاين نورمان، صناعة الهولوكوست (ترجمة سعود عطية)، القاهرة: مطابع الهيئة العامة للاستعلامات، 2001.

29. فيليب تايلور، قصف العقول "الدعاية للحرب منذ العالم القديم حتى العصر النووي"، الكويت: عالم المعرفة، 1978.
30. فليحي محمد جاسم، الإعلام والرأي العام، عمان: دار الشروق، 2020.
31. قاسم حسن حاكم، الإعلام والحرب ودور الإعلام في الحروب المعاصرة، دمشق: مركز الدراسات العسكرية، 2016.
32. كواتي مسعود، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط الموحدين، الجزائر: دار هومة، 2009.
33. المباركفوري صفى الرحمن، الرحيق المختوم، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 2007.
34. مجاهد جمال، الرأي العام وقياسه (الأسس النظرية والمنهجية)، الأزارطية: دار المعرفة الجامعية، 2010.
35. المصري محمد محمود، الدولة العبرية والحرب النفسية، غزة: (ب.د)، 2004.
36. موسى فرح، خيارات الأمة وضرورات الأنظمة عند الشيخ محمد مهدي شمس الدين، بيروت: دار الهادي، 1995.
37. نقاش أنيس، الكونفدرالية المشرقية "صراع الهويات والسياسات"، بيروت: بيسان للنشر، 2015.
38. نصار نجيب، الصهيونية ملخص تاريخها غايتها امتدادها، القاهرة: مؤسسة هنداوي للنشر، 2012.
39. يوسف أحمد، الإعلام الجديد "المفهوم، الوسائل والتأثيرات"، بيروت: الدار العربية للعلوم، 2017.

♦ الدراسات والبحوث والمقالات العلمية :

1. التويب أيمن حسين مسعود، "مصر القديمة والغزو الفارسي الأول"، مجلة جامعة القدس المفتوحة للدراسات والأبحاث، 2013.
2. خريسان باسم علي، "دور الذكاء الاصطناعي في الحرب المعرفية"، المعهد العراقي للحوار، 2025.
3. العيفة جمال، "الإستراتيجية الإعلامية للمقاومة الفلسطينية في معركة طوفان الأقصى"، مجلة المعيار، 2024.

4. الحيدر حيدر عبد الرحمن، "الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية"، دراسة دكتوراة منشورة، أكاديمية الشرطة (مصر)، 2002.
5. طيايبة ساعد، "الدبلوماسية العامة... قوة ناعمة جديدة"، مجلة الأستاذ الباحث للدراسات القانونية والسياسية، 2017.
6. حاج سعد سليم، "الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية وأثرها على القضية الفلسطينية"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، (د.ت.).
7. كري كيظ عائشة، "خوارزميات الذكاء الاصطناعي وأخلاقيات محتوى مواقع التواصل الاجتماعي"، مجلة الإعلام والمجتمع، 2022.
8. مصباح عامر، "استراتيجية حرب العقول"، المجلة الجزائرية للسياسة العامة، 2013.
9. رقاد عبد المنعم وبوعمامة العربي، "تشكيل الرأي العام بين دكتاتورية الجماعات الافتراضية ودكتاتورية الخوارزميات"، مجلة روافد للدراسات والأبحاث العلمية، 2022.
10. موسى عصمان سليمان، "الرأي العام في الغرب والعالم العربي"، وقائع المؤتمر الدولي لمعهد الصحافة وعلوم الإخبار، 2008.
11. المختار فوزي محمد، "عملية طوفان الأقصى وأثرها على تغيير الصورة الذهنية للقضية الفلسطينية"، المجلة الدولية لعلوم الإعلام والاتصال، 2025.
12. حمشي محمد، "عن الموقف العربي الرسمي من عملية طوفان الأقصى"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2023.
13. طوالبية محمد، "استراتيجية حركة حماس الإعلامية أثناء طوفان الأقصى"، مجلة المعيار، 2024.
14. بن عياد مراد، "قراءة الصورة المصورة من خلال المنهاج البلاغي في التراث العربي"، المجلة التونسية لعلوم الاتصال، 1996.
15. ڤشارف مريم وبوجلة عبد المجيد، "الحرب النفسية دراسة في المفهوم والوسائل"، مجلة السابورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية، (د.ت.).
16. عينة المسعود، "مراحل صناعة الرأي العام وآليات تكوينه"، جامعة زيان عاشور، 2021.
17. ربيع وائل، "معركة طوفان الأقصى.. التطور العملياتي ووحدة الساحات الفلسطينية"، مجلة الأهرام، 2023.

18. عبد العال وائل، "الدبلوماسية الرقمية ومكانتها في الخارجية الفلسطينية"، بحث مقدم إلى جامعة بيرزيت، 2018.
19. فوزي وفاء، "مفاهيم الجيش الإلكتروني: الذباب الإلكتروني وصناعة الرأي العام"، مركز البيان للدراسات والتخطيط، 2023.
20. عبد الحي وليد، "أزمة الموقف الأوروبي من طوفان الأقصى"، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، 2024.
21. عنان آية، "تحولات الرأي العام الغربي تجاه القضية الفلسطينية بعد طوفان الأقصى"، مركز الحضارة للدراسات والبحوث، 2023.
22. الربضي رنا، "فقاعات التصفية وغرف الصدى"، مجلة ملهم، 2026.
23. حسين أحمد قاسم، "مقاربة الاتحاد الأوروبي للحرب الإسرائيلية على غزة: صراع القيم والمصالح"، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2024.

♦ المقالات والمواد الإعلامية :

1. أبو عبيدة، "خطة دقيقة لطوفان الأقصى"، موقع الجزيرة، 2023/10/13، متاح على : <https://www.aljazeera.net/news/2023/10/12> :تاريخ الاطلاع: 2026/04/14
2. أديب منير، "المسافة صفر في الصراع الفلسطيني الإسرائيلي"، العربية، 2023/11/18، متاح على: <https://www.alarabiya.net/politics/2023/11/18> :تاريخ الاطلاع: 2026/04/04.
3. الجزيرة تحقيق، "حسابات إسرائيلية روجت كذبة قطع رؤوس الأطفال قرب غزة"، 2023/10/15، متاح على <https://www.aljazeera.net/news/2023/10/15> : تاريخ الاطلاع: 2026/04/04
4. الجزيرة تقرير، "الإعلام الإسرائيلي: إسرائيل لا تفهم حماس وطوفان الأقصى أشبه بهجمات سبتمبر"، 2023/10/08، متاح على <https://www.aljazeera.net/news/2023/10/8> :تاريخ الاطلاع: 2026/04/05.
5. الجزيرة فيديو، "محمد الضيف: أطلقنا خلال نصف ساعة 5 آلاف صاروخ"، 2023/10/07، متاح على الرابط : https://www.youtube.com/watch?v=-cxL5_Nw1l0 : تاريخ الإطلاع : 2026/04/14

6. الجزيرة برنامج، "حلقة الطوفان.. ما خفي أعظم"، متاح على : <https://www.youtube.com/watch?v=GTvsWLVC9QU> تاريخ الاطلاع: 2026/04/24.
7. الجزيرة، "تلغرام متنفس للمقاومة الفلسطينية أغلقت أبوابه آبل وغوغل"، 2023/11/03، متاح على : <https://www.aljazeera.net/tech/2023/11/3> تاريخ الاطلاع: 2026/04/29.
8. جيلون أم كلثوم، "الذكرى الأولى لانطلاق طوفان الأقصى: الجزائر مواقف ثابتة ومبادئ راسخة"، الاتحاد، 2024/10/24.
9. حملة المركز العربي لتطوير الإعلام، "إحاطة بشأن واقع الحقوق الرقمية الفلسطينية منذ السابع من أكتوبر 2023".
10. درغام سيف، "سردية فلسطين وشرعيتها"، مؤسسة ميزان لحقوق الإنسان، ديسمبر 2024، متاح على : <https://meezaan.org> تاريخ الاطلاع: 2026/04/24
11. الربضي رنا، "فقااعات التصفية وغرف الصدى"، مجلة ملهم، متاح على : https://molhem.com/@Rana_alrabadi تاريخ الاطلاع: 2026/04/06
12. رميح طلعت، "كيف تفوق إعلام المقاومة"، شبكة الجزيرة، 2025/09/27.
13. روسيا اليوم، "إيطاليا: نعمل لتهدئة النزاع بين إسرائيل وفلسطين"، 2023/10/08.
14. شقير شفيق، "طوفان الأقصى سياقات وتداعيات"، مركز الجزيرة للدراسات، أكتوبر 2023، متاح على : <https://studies.aljazeera.net/ar/article/5875> تاريخ الاطلاع: 2026/04/15
15. عبد الرحمن طه، "الشر المطلق ومسؤولية الفيلسوف"، الجزيرة نت، مارس 2024، متاح على : <https://www.aljazeera.net/culture/2024/3/21> تاريخ الاطلاع: 2026/04/07
16. العالم قناة، "هل المثلث الأحمر المقولب رمز جديد للمقاومة الفلسطينية؟"، 2023/11/10، متاح على : <https://www.alalam.ir/news/6744908> تاريخ الاطلاع: 2026/04/14
17. العربية، تقرير، "الطائر المحاكي هكذا تفضح الأصوات المزيفة"، 2024/01/15، متاح على : <https://www.alarabiya.net/technology/2024/01/15> تاريخ الاطلاع: 2026/04/04.
18. عريقات سعيد، "تذكير قاتم بغزة: مئة كيلو طن تقابل سبع قنابل بحجم قنبلة هيروشيما"، القدس، 2025، متاح على : <https://www.alquds.com/he/posts/158908> تاريخ الاطلاع: 2026/04/07.

قائمة المراجع والمصادر

19. الأمم المتحدة ،أخبار، "الأمم المتحدة تدين الهجوم على بلدات إسرائيلية وتحت إلى ضبط النفس"، متاح على : <https://news.un.org/ar/story/2023/10/1124537> تاريخ الاطلاع: 2026/04/16.
20. الأمم المتحدة أخبار، "الأمم المتحدة تعيد التأكيد على حق الشعب الفلسطيني في العيش بسلام وكرامة"، متاح على : <https://news.un.org/ar/story/2023/11/1126482> تاريخ الاطلاع: 2026/04/16.
21. الميادين تقرير، "كيف قامت فيسبوك بتقييد الوصول إلى الأخبار الفلسطينية خلال العدوان"، متاح على: <https://www.almayadeen.net/news/politics> تاريخ الاطلاع: 2026/04/29.
22. الميادين ،تقرير، "معهد أبحاث إسرائيلي: 95% من تظاهرات العالم مؤيدة لفلسطين"، متاح على: <https://www.almayadeen.net/news/politics> : تاريخ الاطلاع: 2026/05/02.
23. مسموح أحمد، "تطور الفكر السياسي عند حركة حماس"، مدونات الجزيرة، 2020/01/15.
24. هيسبريس وكالة ، "إسرائيل تحذر مصر من مساعدة الفلسطينيين"، 2023/10/10.
25. يورونيوز، "طوفان الأقصى، 900 قتيل و2500 جريح إسرائيلي... قصف غير مسبوق"، أكتوبر 2023.

ب) المراجع الأجنبية :

◆ Dictionaries :

1. Britannica Editors, "Psychological warfare", Encyclopaedia Britannica, (n.d), Available at: <https://www.britannica.com>, (Accessed: 09/03/2026).
2. Cambridge Dictionary, "Psychological Warfare", Cambridge University Press, (n.d), Available at: <https://dictionary.cambridge.org>, (Accessed: 09/03/2026).
3. Sage Publications, "Psychological Warfare", The SAGE Encyclopedia of War, (n.d), Available at: <https://sk.sagepub.com>, (Accessed: 03/04/2026)

◆ Books :

1. Bernays Edward, Propaganda, New York: Horace Liveright, 1928.

2. Chomsky Noam, Media Control: The Spectacular Achievements of Propaganda, New York: Seven Stories Press, 1991.
3. Clausewitz Carl von, On War, London: N. Trübner, 1873.
4. Ellul Jacques, Propaganda: The Formation of Men's Attitudes, New York: Alfred A. Knopf, 1965.
5. Gray Colin S., Modern Strategy, Oxford: Oxford University Press, 1999.
6. Jowett Garth S. & O'Donnell Victoria, Propaganda & Persuasion, California: SAGE Publications, 2018.
7. Khalidi Rashid, The Hundred Years' War on Palestine, New York: Metropolitan Books, 2020.
8. Lasswell Harold, Propaganda Technique in World War I, New York: Peter Smith, 1927.
9. Linebarger Paul, Psychological Warfare, Washington: Infantry Journal Press, 1948.
10. Lippmann Walter, Public Opinion, New York: Harcourt, Brace and Co, 1922.
11. Nye Joseph, Soft Power: The Means to Success in World Politics, New York: Public Affairs, 2004.
12. Pappé Ilan, The Ethnic Cleansing of Palestine, Oxford: Oneworld Publications, 2006.
13. Sun Tzu, The Art of War (Translated by Lionel Giles), London: Luzac & Co, 1910.

◆ Foreign Articles & Studies :

1. Awan Imran, "Cyber-Islamophobia: The Reality of Online Hate", *International Journal of Cyber Criminology*, 2017.
2. Edgerly Stephanie & Thorson Kjerstin, "Political Communication and Public Opinion", *Public Opinion Quarterly*, 2020.
3. Floridi Luciano, "Artificial Intelligence: Deepfakes and the Future of Ectypes", *Philosophy & Technology*, 2018.

4. Giles Keir, "The Next Phase of Russian Information Warfare", *NATO Strategic Communications Centre of Excellence*, (n.d.).
5. Hayes J., "Palestinian Solidarity on Social Media: A Narrative Analysis", (Doctoral dissertation), *University of Sheffield*, 2023.
6. Katz Yaakov, "IDF Launches Psychological Warfare Unit", *The Jerusalem Post*, 2011.
7. Metaxas Panagiotis & Mustafaraj Eni, "The Manipulation of Search Engine Results during Elections", *Science Magazine*, 2012.
8. Paul Christopher & Matthews Miriam, "The Russian 'Firehose of Falsehood' Propaganda Model", *RAND Corporation*, 2016.
9. Sadeghi M. & Rafeei M., "The Impact of Social Media on Global Public Opinion Regarding the Palestinian Cause", *Journal of Political Communication*, 2024.
10. Tufekci Zeynep, "Big Data and Psychological Warfare", *Wired Magazine*, 2017.
11. Youmans William & York Jillian, "Social Media and the Activist Toolkit: User Agreements and Content Moderation", *Journal of Communication*, 2012.

◆ **International Reports :**

1. Amnesty International, "Israel/OPT: Civilian deaths and war crimes in Gaza", 2023, Available at: <https://www.amnesty.org>, (Accessed: 18/04/2026).
2. Human Rights Watch (HRW), "Gaza: Israel's Blockade and Information Warfare", 2023, Available at: <https://www.hrw.org>, (Accessed: 20/04/2026).
3. OCHA (United Nations Office for the Coordination of Humanitarian Affairs), "Hostilities in the Gaza Strip and Israel | Flash Update", 2023, Available at: <https://www.unocha.org>, (Accessed: 15/04/2026).
4. UN News, "The humanitarian impact of the conflict in Gaza", United Nations, 2023, Available at: <https://news.un.org>, (Accessed: 16/04/2026).

5. UNRWA, "Gaza situation report #1", 2023, Available at: <https://www.unrwa.org>, (Accessed: 25/04/2026).
6. World Health Organization (WHO), "Impact of hostilities on health care in the Gaza Strip", 2024, Available at: <https://www.who.int>, (Accessed: 02/05/2026)

◆ English Media & News Sites

1. Al Jazeera English, "Israel-Gaza war in maps and charts: Live Tracker", 2023, Available at: <https://www.aljazeera.com>, (Accessed: 15/04/2026).
2. BBC News, "How social media is shaping the narrative of the Gaza conflict", 2023, Available at: <https://www.bbc.com/news>, (Accessed: 10/04/2026).
3. CNN World, "Inside the information war between Israel and Hamas", 2023, Available at: <https://edition.cnn.com>, (Accessed: 12/04/2026).
4. Euro-Med Human Rights Monitor, "Numbers of victims and destruction in Gaza Strip", 2024, Available at: <https://euromedmonitor.org>, (Accessed: 05/05/2026).
5. Reuters, "The information war: How disinformation is spreading online", 2023, Available at: <https://www.reuters.com>, (Accessed: 12/04/2026).
6. The Guardian, "The war on TikTok: How the conflict is viewed by Gen Z", 2023, Available at: <https://www.theguardian.com>, (Accessed: 20/04/2026).
7. The Intercept, "How Israel uses social media to shape global opinion", 2024, Available at: <https://theintercept.com>, (Accessed: 25/04/2026).
8. The New York Times, "The battle for public opinion in the digital age", 2024, Available at: <https://www.nytimes.com>, (Accessed: 22/04/2026).
9. The Washington Post, "Gaza and the new era of psychological warfare", 2023, Available at: <https://www.washingtonpost.com>, (Accessed: 14/04/2026).
10. TIME Magazine, "The global shift in public opinion toward the Palestinian cause", 2024, Available at: <https://time.com>, (Accessed: 30/04/2026).